بسم الله الرحمن الرحيم

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا

جمعية تبليغ الإسلام

قبس من سير الأنبياء والمرسلين

على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ سورة النساء.

قبسٌ من سِيَرِ
الأنبياءِ والمرسَلين
على نبينا وعليهم أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم

مراجعه
فضيلة الشيخ/ خالد عبد العظيم بيومى الليثى
(عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف)

هدية من جمعية تبليغ الإسلام
Conveying Islamic Message Society
P.O. Box 834 – Alex – Egypt
Site: www.islamic-message.net
E-Mail: info_en@islamic-message.net
Tel : 0106901838

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تصدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ،،

فقد قمت بمراجعة كتاب ((قبس من سير الأنبياء والمرسلين .. على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم)) .. وهو منقول من مراجع معتمدة كلها لها أسانيد من القرآن الكريم والسنة المطهرة .. وأهم هذه المراجع : كتاب قصص الأنبياء للإمام / ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم للإمام / القرطبى ، شرائط قصص الأنبياء للدكتور / طارق السويدان ، وغيرها من كتب تفسير القرآن الكريم المعتمدة ..

ولا شك أن دراسة قصص الأنبياء والتأمل فيما تحتويه من عبر ومواعظ تَهدى الإنسان إلى طريق الرشاد والبعد عن طريق الغواية والضلال .

ونظرا لأن كثيرا من المسلمين والمسلمات فى أنحاء المعمورة يُلحُّون فى طلب هذا الكتاب منذ فترة طويلة لذا قامت جمعية تبليغ الإسلام بإصداره لينضم إلى مجموعة الكتب الإسلامية الصادرة بمعرفتها .. وهذه الكتب تكون مكتبة إسلامية شاملة جامعة لكل فروع العقيدة والشريعة الإسلامية .. فهى تحتوى على كتب تفسير القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والفقه بفروعه المختلفة من عبادات ومعاملات وزواج وطلاق وفقه المواريث ، كما تحتوى على كتب فى السيرة النبوية الشريفة ، وعلم التجويد ، والأذكار ، ومعجزات الرسول (ﷺ) ، وشخصية المرأة المسلمة ، وغيرها .. ومن يقتنى هذه المكتبة الإسلامية تغنيه عن أى كتب ومراجع أخرى .. فهى تتميز باليسر والأسانيد الصحيحة من القرآن والسنة ..

نسأل الله تعالى أن ينفع بنا وبما ننشره من علم على المسلمين والمسلمات فى أنحاء المعمورة ، فقد قال المصطفى (ﷺ) : ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ)) . رواه البخارى .. وقال (ﷺ) : ((لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)) . متفق عليه .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ،،

فضيلة الشيخ خالد عبد العظيم بيومى الليثى
(عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد ،،

فقَصَص الأنبياء والمرسلين جاءت فى القرآن الكريم بأسلوب حكيم مُعجِز .. فهى مرآة تعكس لأهل كل عصر ما وقع فى العصور الماضية من صراع بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ..

فالقَصَص فى القرآن الكريم تكشف عن مواطن العبرة والعظة التى يجب أن يستفيد منها كل عاقل ، وهى تفتح باب التأمل والنظر فى مصير كل من عصى الله ورسلَه منذ خلق آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)) [1] ..

والقصة فى القرآن الكريم تروى أحداثا ماضية وتعرض منها ما يفيد عرضه فى مجال الدعوة إلى التوحيد الخالص والخلق الفاضل ..

والقصص فى القرآن الكريم يختلف تماما عن قصص الكتب المقدسة السابقة .. يقول الله تعالى : ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝)) [2] ..

فالأصل فى الكتب السابقة أنها وَحْىٌ من عند الله ولكن من اسْتُحْفِظُوا عليها حرفوا ما فيها ، ومن ذلك : ما ألصقوه بالأنبياء والمرسلين من تُهَم باطلة ونسبوا إليهم أفعال لا تتفق مع عصمتهم كرسل وأنبياء الذين هم قدوة الأمم والمعصومون بعصمة الله لهم .. فى حين أن القرآن الكريم بَرَّأهم من كل عمل ينافى الفطرة السليمة والأخلاق الحميدة ..

---

[1] سورة يوسف آية ١١١ .

[2] سورة يوسف آية ٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا آدم عليه السلام

- **نبذة :**

هو أبو البشر، خلقه الله بيده وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء وخلق له زوجته وأسكنهما الجنة وأنذرهما أن لا يقربا شجرة معينة ولكن الشيطان وسوس لهما فأكلا منها فأنزلهما الله إلى الأرض ومكن لهما سبل العيش بها وطالبهما بعبادة الله وحده وحض الناس على ذلك ، وجعله خليفته في الأرض ، وهو رسول الله إلى أبنائه وهو أول الأنبياء .

- **خَلق سيدنا آدم عليه السلام :**

أخبر الله سبحانه وتعالى ملائكة بأنه سيخلق بشرا خليفة له في الأرض . فقال الملائكة : ((قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)) [1] .

ويوحي قول الملائكة هذا بأنه كان لديهم تجارب سابقة في الأرض ، أو إلهام وبصيرة ، يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق ، ما يجعلهم يتوقعون أنه سيفسد في الأرض ، وأنه سيسفك الدماء .. ثم هم ـــ بفطرة الملائكة البريئة التي لا تتصور إلا الخير المطلق ـــ يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له ، هو وحده الغاية للوجود .. وهو متحقق بوجودهم هم ، يسبحون بحمد الله ويقدسون له، ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته !

هذه الحيرة والدهشة التي ثارت في نفوس الملائكة بعد معرفة خبر خلق آدم أمر جائز على الملائكة ، ولا ينقص من أقدارهم شيئا ، لأنهم رغم قربهم من الله وعبادتهم له وتكريمه لهم لا يزيدون على كونهم عبيدا لله ، لا يشتركون معه في علمه ، ولا يعرفون حكمته الخافية ، ولا يعلمون الغيب .. لقد خفيت عليهم حكمة الله تعالى ، في بناء هذه الأرض وعمارتها ، وفي تنمية الحياة ، وفي تحقيق إرادة الخالق في تطويرها وترقيتها وتعديلها ، على يد خليفة الله في أرضه .. هذا الذي قد يفسد أحيانا ، وقد يسفك الدماء أحيانا .. عندئذ جاءهم القرار من العليم بكل شيء ،

[1] سورة البقرة آية ٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أمثلة التحريف التى ذكروها فى كتبهم أن سيدنا داود عليه السلام اشتهى امرأة أحد قـواد جيشه فأرسله فى معركة يعرف من البداية نـهايتها ، واستولى على امرأته !! .. كيف يحدث هذا وسيدنا داود عليه السلام يتصل قلبه بالله ، ويتصل تسبيحه بتسبيح الكائنات والجمـادات ؟!! .. يستحيل عليه أن يفعل ما نسب إليه ظلما وزورا .. كذلك ما نُسب إلى سليمان عليه السلام من أنه عبد الأوثان .. إلى آخرها من قصص البهتان والزور على الأنبياء والمرسلين ..

الأمر الثانى من مظاهر اختلاف القصص فى القرآن الكريم عن قصص الكتب المقدسة السابقة هو أن قصص القرآن مطابقة للواقع الذى حدث ، راويةً لأحداثه بدقة فائقة وأمانة تامة ، ليس فيهـا شئ من الخيال بأى حال ، لأن القرآن الكريم وَحْىٌ من الله لم يصل إليه يد تحريف .. يقول الله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)) [1] .. ويقول جل شأنه : ((إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ)) [2] ..

نسأل الله تعالى أن يجمعنا مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ فى أعلى عليين يوم القيامة .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ،،

---

[1] سورة الحجر آية ٩ .

[2] سورة آل عمران آية ٦٢ .

والخبير بمصائر الأمور : ((إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) .

وما ندري نحن كيف قال الله أو كيف يقول للملائكة .. وما ندري كذلك كيف يتلقى الملائكة عن الله ، فلا نعلم عنهم سوى ما بلغنا من صفاتهم في كتاب الله .. ولا حاجة بنا إلى الخوض في شيء من هذا الذي لا طائل وراء الخوض فيه .. إنما نمضي إلى مغزى القصة ودلالتها كما يقصها القرآن .

أدركت الملائكة أن الله سيجعل في الأرض خليفة .. وأصدر الله سبحانه وتعالى أمره إليهم تفصيلا ، فقال إنه سيخلق بشرا من طين ، فإذا سواه ونفخ فيه من روحه فيجب على الملائكة أن تسجد له ، والمفهوم أن هذا سجود تكريم لا سجود عبادة ، لأن سجود العبادة لا يكون إلا لله وحده .

جمع الله سبحانه وتعالى قبضة من تراب الأرض ، فيها الأبيض والأسود والأصفر والأحمر – ولهذا يجيء الناس ألوانا مختلفة – ومزج الله تعالى التراب بالماء فصار صلصالا من حمأ مسنون .. تعفن الطين وانبعثت له رائحة .. وكان إبليس يمر عليه فيعجب أي شيء يصير هذا الطين ؟!

- **سجود الملائكة لسيدنا آدم :**

من هذا الصلصال خلق الله تعالى سيدنا آدم .. سواه بيديه سبحانه ، ونفخ فيه من روحه سبحانه .. فتحرك جسد سيدنا آدم ودبت فيه الحياة .. فتح سيدنا آدم عينيه فرأى الملائكة كلهم ساجدين له ما عدا إبليس – الذي كان يقف مع الملائكة ، ولكنه لم يكن منهم – لم يسجد .. فهل كان إبليس من الملائكة ؟ ، الظاهر أنه لا .. لأنه لو كان من الملائكة ما عصى ، فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .. وسيجيء أنه خلق من نار .. والمأثور أن الملائكة خلق من نور .. ولكنه كان مع الملائكة وكان مأمورًا بالسجود .

أما كيف كان السجود ؟ وأين ؟ ومتى ؟ كل ذلك في علم الغيب عند الله .. ومعرفته لا تزيد في مغزى القصة شيئًا ..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوبّخ الله سبحانه وتعالى إبليس : ((قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ)) [1].. فردّ بمنطق يملأه الحسد : ((قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ)) [2].. هنا صدر الأمر الإلهي العالي بطرد هذا المخلوق المتمرد القبيح : ((قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ)) [3] وإنزال اللعنة عليه إلى يوم الدين .. ولا نعلم ما المقصود بقوله سبحانه (مِنْهَا) فهل هي الجنة ؟ أم هل هي رحمة الله ؟ .. هذا وذلك جائز .. ولا محل للجدل الكثير .. فإنما هو الطرد واللعنة والغضب جزاء التمرد والتجرؤ على أمر الله الكريم .. ((قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥)) [4] هنا تحول الحسد إلى حقد ، وإلى تصميم على الانتقام في نفس إبليس : ((قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩)) [5] .. واقتضت مشيئة الله للحكمة المقدرة في علمه أن يجيبه إلى ما طلب ، وأن يمنحه الفرصة التي أراد .. فكشف الشيطان عن هدفه الذي ينفق فيه حقده : ((قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢)) [6] ويستدرك فيقول : ((إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣)) [7] فليس للشيطان أي سلطان على عباد الله المؤمنين .

وبهذا تحدد منهجه وتحدد طريقه .. إنه يقسم بعزة الله ليغوين جميع الآدميين .. لا يستثني إلا من ليس له عليهم سلطان .. لا تطوعاً منه ولكن عجزاً عن بلوغ غايته فيهم ! .. وبهذا يكشف عن الحاجز بينه وبين الناجين من غوايته وكيده ؛ والعاصم الذي يحول بينهم وبينه .. إنه عبادة الله التي تخلصهم لله .. هذا هو طوق النجاة ، وحبل الحياة ! .. وكان هذا وفق إرادة الله وتقديره في الردى والنجاة .. فأعلن - سبحانه - إرادته ، وحدد المنهج والطريق : ((لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٥)) [8] .

---

(١) سورة ص آية ٧٥ .
(٢) سورة ص آية ٧٦ .
(٣) سورة ص آية ٧٧ .
(٤) سورة ص آية ٨٤ ، ٨٥
(٥) سورة ص آية ٧٩ .
(٦) سورة ص آية ٨٢ .
(٧) سورة ص آية ٨٣ .
(٨) سورة ص آية ٨٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهي المعركة إذن بين الشيطان وأبناء آدم ، يخوضونـــها على علم .. والعاقبة مكشوفة لهم في وعد الله الصادق الواضح المبين .. وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم بعد هذا البيان .. وقد شاءت رحمة الله ألا يدعهم جاهلين ولا غافلين .. فأرسل إليهم المنذرين .

- **تعليم سيدنا آدم الأســـماء :**

ثم يروي القرآن الكريم قصة السر الإلهي العظيم الذي أودعه الله هذا الكائن البشري ، وهو يسلمه مقاليد الخلافة : ((وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا)) [1].. سر القدرة على الرمـــز بالأسمـــاء للمسميات .. سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها – وهي ألفاظ منطوقة – رموزا لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة .. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض .. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى ، لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمـــز بالأسماء للمسميات ، والمشقة في التفاهم والتعامل ، حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه .. الشأن شأن نخلة فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا باستحضار جسم النخلة ! .. الشأن شأن جبل ، فلا سبيل إلى التفاهم عليـــه إلا بالذهاب إلى الجبل ! .. الشأن شأن فرد من الناس فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بتحضير هـــذا الفرد من الناس .. إنـــها مشقة هائلة لا تتصور معها حياة ! ، وإن الحياة ما كانت لتمضـــي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات .

أما الملائكة فلا حاجة لهم بـــهذه الخاصية ، لأنـــها لا ضرورة لها في وظيفتهم ، ومن ثَـــمَّ لم توهب لهم .. فلما عَلَّم الله سيدنا آدم هذا السر ، وعرض عليهم ما عرض لم يعرفوا الأسماء .. لم يعرفوا كيف يضعون الرموز اللفظية للأشياء والشخوص .. وجهروا أمام هذا العجـــز بتســـبيح ربـــهم ، والاعتراف بعجزهم ، والإقرار بحدود علمهم ، وهو ما علمهم .. ثم قام ســـيدنا آدم بإخبارهم بأسماء الأشياء .. ثم كان هذا التعقيب الذي يردهم إلى إدراك حكمة العليم الحكـــيم : ((قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)) [2] .

---

[1] سورة البقرة آية ٣١ .

[2] سورة البقرة آية ٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أراد الله تعالى أن يقول للملائكة إنه عَـلِـمَ ما أبدوه من الدهشة حين أخبرهم أنـه سـيخلق سيدنا آدم ، كما علم ما كتموه من الحيرة في فهم حكمة الله ، كما علم ما أخفاه إبليس مـن المعصية والجحود .. أدرك الملائكة أن سيدنا آدم هو المخلوق الذي يعرف .. وهذا أشرف شيء فيه .. قدرته على التعلم والمعرفة ..كما فهموا السر في أنه سيصبح خليفة في الأرض ، يتصرف فيها ويتحكم فيها .. بالعلم والمعرفة .. معرفة بالخالق .. وهذا ما يطلق عليه اسـم الإيمـان أو الإسلام .. وعلم بأسباب استعمار الأرض وتغييرها والتحكم فيها والسيادة عليها .. ويدخل في هذا النطاق كل العلوم المادية على الأرض .

إن نجاح الإنسان في معرفة هذين الأمرين (الخالق وعلوم الأرض) يكفل له حياة أرقى .. فكل من الأمرين مكمل للآخر .

- **سكن سيدنا آدم وحواء في الجنة :**

كان سيدنا آدم يحس الوحدة .. فخلق الله حواء من أحد ضلعيه ، فسمّاها سيدنا آدم حواء . وأسكنهما الجنة .. لا نعرف مكان هذه الجنة .. فقد سكت القرآن عن مكانـها واختلـف المفسرون فيها على خمسة وجوه .. قال بعضهم : إنـها جنة المأوى ، وأن مكانـها السماء . ونفى بعضهم ذلك لأنـها لو كانت جنة المأوى لحرم دخولها على إبليس ولما جاز فيها وقـوع عصيان .. وقال آخرون : إنـها جنة المأوى خلقها الله لآدم وحواء .. وقال غيرهم : إنـها جنة من جنات الأرض تقع في مكان مرتفع .. وذهب فريق إلى التسليم في أمرها والتوقف .. ونحن نختار هذا الرأي .. إن العبرة التي نستخلصها من مكانـها لا تساوي شيئا بالقياس إلى العبرة التي تستخلص مما حدث فيها .

لم يعد يحس سيدنا آدم الوحدة .. كان يتحدث مع حواء كثيرا .. وكان الله قد سمح لهمـا بأن يقتربا من كل شيء وأن يستمتعا بكل شيء ، ما عدا شجرة واحدة .. فأطاع سـيدنا آدم وحواء أمر ربـهما بالابتعاد عن الشجرة .. غير أن سيدنا آدم إنسان ، والإنسان ينسى ، وقلبه يتقلب ، وعزمه ضعيف .. واستغل إبليس إنسانية سيدنا آدم وجمع كل حقـده في صـدره ،

واستغل تكوين آدم النفسي ، وراح يثير في نفسه يوما بعد يوم .. راح يوسوس إليه يوما بعد يوم : ((هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ)) [1] .. تسائل سيدنا آدم بينه وبين نفسه : ماذا يحدث لو أكل من الشجرة ؟ ربما تكون شجرة الخلد حقا ، وكل إنسان يحب الخلود .. ومرت الأيام وسيدنا آدم وحواء مشغولان بالتفكير في هذه الشجرة .. ثم قررا يوما أن يأكلا منها .. نسيا أن الله حذرهما من الاقتراب منها .. نسيا أن إبليس عدوهما القديم .. ومد سيدنا آدم يده إلى الشجرة وقطف منها إحدى الثمار وقدمها لحواء .. وأكل الاثنان من الثمرة المحرمة .

ليس صحيحا ما تذكره صحف اليهود من إغواء حواء لسيدنا آدم وتحميلها مسئولية الأكل من الشجرة .. إن نص القرآن لا يذكر حواء ، إنما يذكر سيدنا آدم - كمسئول عما حدث- عليه الصلاة والسلام .. وهكذا أخطأ الشيطان وأخطأ سيدنا آدم .. أخطأ الشيطان بسبب الكبرياء ، وأخطأ سيدنا آدم بسبب الفضول .

لم يكد سيدنا آدم ينتهي من الأكل حتى اكتشف أنه أصبح عار ، وأن زوجته عارية .. وبدأ هو وزوجته يقطعان أوراق الشجر لكي يغطي بهما كل واحد منهما جسده العاري .. وأصدر الله تبارك وتعالى أمره بالهبوط من الجنة .

- **هبوط سيدنا آدم وحواء إلى الأرض :**

وهبط سيدنا آدم وحواء إلى الأرض .. واستغفرا ربهما وتابا إليه .. فأدركتهما رحمة الله التي تدرك دائما من يثوب إليها ويلوذ بها .. وأخبرهما الله أن الأرض هي مكانهما الأصلي .. يعيشان فيهما ، ويموتان عليها ، ويخرجان منها يوم البعث .

يتصور بعض الناس أن خطيئة سيدنا آدم بعصيانه هي التي أخرجتنا من الجنة ، ولولا هذه الخطيئة لكنا اليوم هناك .. وهذا التصور غير منطقي لأن الله تعالى حين شاء أن يخلق سيدنا آدم قال للملائكة : ((إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ)) [2] ولم يقل لهما إني جاعل في الجنة خليفة ..

---

[1] سورة طه آية ١٢٠ .

[2] سورة البقرة آية ٣٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لم يكن هبوط سيدنا آدم إلى الأرض هبوط إهانة ، وإنما كان هبوط كرامة كما يقول العارفون بالله .. كان الله تعالى يعلم أن سيدنا آدم وحواء سيأكلان من الشجرة ، ويهبطان إلى الأرض .. أما تجربة السكن في الجنة فكانت ركنا من أركان الخلافة في الأرض ، ليعلم آدم وحواء ويعلم جنسهما من بعدهما أن الشيطان طرد الأبوين من الجنة ، وأن الطريق إلى الجنة يمر بطاعة الله وعداء الشيطان .

- **هابيل وقابيل :**

لا يذكر لنا المولى عزّ وجلّ في كتابه الكريم الكثير عن حياة سيدنا آدم عليه السلام في الأرض .. لكن القرآن الكريم يروي قصة ابنين من أبناء آدم هما هابيل وقابيل .. حين وقعت أول جريمة قتل في الأرض .. وكانت قصتهما كالتالي .. كانت حواء تلد في البطن الواحد ابنا وبنتا .. وفي البطن التالي ابنا وبنتا .. فيحل زواج ابن البطن الأول من البطن الثاني .. ويقال أن قابيل كان يريد زوجة هابيل لنفسه .. فأمرهما سيدنا آدم أن يقدما قربانا ، فقدم كل واحد منهما قربانا ، فتقبل الله من هابيل و لم يتقبل من قابيل .. قال تعالى في سورة (المائدة) : ((وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾)) .. لاحظ كيف ينقل إلينا الله تعالى كلمات القتيل الشهيد ، ويتجاهل تماما كلمات القاتل .. عاد القاتل يرفع يده مهددا .. قال القتيل في هدوء : ((إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾)) .. انتهى الحوار بينهما وانصرف الشرير وترك الطيب مؤقتا . وبعد أيام .. كان الأخ الطيب نائما وسط غابة مشجرة .. فقام إليه أخوه قابيل فقتله .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال : " لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ " .

جلس القاتل أمام شقيقه الملقى على الأرض .. كان هذا الأخ القتيل أول إنسان يموت على الأرض .. و لم يكن دفن الموتى شيئا قد عرف بعد .. وحمل الأخ جثة شقيقه وراح يمشي بـــها .. ثم رأى القاتل غرابا حيا بجانب جثة غراب ميت .. وضع الغراب الحي الغراب الميت على الأرض وساوى أجنحته إلى جواره وبدأ يحفر الأرض بمنقاره ووضعه برفق في القبر وعاد يهيل عليه التراب .. بعدها طار في الجو وهو يصرخ .

اندلع حزن قابيل على أخيه هابيل كالنار فأحرقه الندم .. اكتشف أنـــه وهـــو الأســـوأ والأضعف ، قد قتل الأفضل والأقوى .. نقص أبناء سيدنا آدم واحدا .. وكسب الشيطان واحدا من أبناء سيدنا آدم .. واهتز جسد القاتل ببكاء عنيف ثم أنشب أظافره في الأرض وراح يحفر قبر شقيقه .

قال سيدنا آدم حين عرف القصـــة : (هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ) وحزن حزنا شديدا على خسارته في ولديه .. مات أحدهما ، وكسب الشيطان الثاني .. صلى سيدنا آدم على ابنه ، وعاد إلى حياته على الأرض إنسانا يعمل ويشقى ليصنع خبزه ، ونبيا يعظ أبنائه وأحفاده ويحدثهم عن الله ويدعوهم إليه ، ويحكي لهم عن إبليس ويحذرهم منه ، ويروي لهم قصته معه ، ويقص لهم قصته مع ابنه الذي دفعه لقتل شقيقه .

- **موت سيدنا آدم عليه السلام :**

وكبر سيدنا آدم .. ومرت سنوات وسنوات .. وعن فراش موته يروي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَقَالَ : إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : أَيْ بَنِيَّ ، إِنِّي أَشْتَهِي مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ، فَذَهَبُوا يَطْلُبُونَ لَهُ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَمَعَهُمْ أَكْفَانُهُ وَحَنُوطُهُ ، وَمَعَهُمُ الْفُؤُوسُ وَالْمَسَاحِي وَالْمَكَاتِلُ ، فَقَالُوا لَهُمْ : يَا بَنِي آدَمَ مَا تُرِيدُونَ وَمَا تَطْلُبُونَ ؟ (أَوْ : مَا تُرِيدُونَ وَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟) ، قَالُوا : أَبُونَا مَرِيضٌ فَاشْتَهَى مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ، قَالُوا لَهُمْ : ارْجِعُوا فَقَدْ قُضِيَ قَضَاءُ أَبِيكُمْ . فَجَاءُوا فَلَمَّـــا رَأَتْهُمْ حَوَّاءُ عَرَفَتْهُمْ فَلَاذَتْ بِآدَمَ ، فَقَالَ : إِلَيْكِ إِلَيْكِ عَنِّي ، فَإِنِّي إِنَّمَا أُوتِيتُ مِنْ قِبَلِكِ ، خَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى . فَقَبَضُوهُ وَغَسَّلُوهُ وَكَفَنُوهُ وَحَنَّطُوهُ ، وَحَفَرُوا لَهُ وَأَلْحَدُوا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَهُ ، وَصَلَّوْا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلُوا قَبْرَهُ ، فَوَضَعُوهُ فِي قَبْرِهِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ اللَّبِنَ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْقَبْرِ ، ثُمَّ حَثَوْا عَلَيْهِ التُّرَابَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا بَنِي آدَمَ هَذه سُنَّتُكُمْ . [1]

وفي موته يروي الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَة هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِه إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَان مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُور ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ مَنْ هَؤُلَاء ؟ ، قَالَ : هَؤُلَاء ذُرِّيَّتُكَ ، فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْه ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ ، فَقَالَ : رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ ؟ ، قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً ، قَالَ : أَيْ رَبِّ زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً . فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْت ، فَقَالَ : أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟! ، قَالَ : أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ ؟!. قَالَ : فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ ".

[1] رواه أحمد .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا إدريس عليه السلام

ذكر الله سيدنا إدريس عليه السلام مع الأنبياء والمرسلين فى مواضع من كتابه العزيز عَـدًّا و لم يذكر له قصة ، ولكن وصفه فى سورة مـريم فقـال : ((وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾)) ، ووصفه مع جملة من الأنبيـاء المرسـلين فى سـورة الأنبيـاء فقـال : ((وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾)) .

فهو كما وصفه الله صديقٌ نبىٌّ ، صابرٌ ، صالحٌ ، مرفوعٌ عند الله مكاناً عليًّا .. وهو نـبى مرسل لِعَدِّه من جملة المرسلين فى سورة مريم وفى سورة الأنبياء .

والصديق : هو من بلغ الكمال فى الصدق أو قاربه .. وكونه نبيًّا يجعله كاملاً فيه بلا شك .

إن الصدق من موجبات النبوة ومن أوصافها التى لا تتخلف عنها ، فكل نبى لابـد أن يكـون متصفًا بالصدق والأمانة معصومًا من الكذب والخيانة ومن كل ذنب كبير وصغير قبـل النبـوة وبعدها علىٰ الأصح من أقوال العلماء .

ووصفه بالصبر يدل على أنه قد لقى من قومه عنتًا شديدًا وأذًى كثيرًا ، وابتُلى بأنواع من البلاء ، فقابلها بالشكر والرضا ، لهذا وصفه الله بالصلاح ، وهو أعظم وصف يتمناه عباد الله المخلصين .. وصلاح الأنبياء أكمل من صلاح الأولياء ، ولكنهم درجات كما قال تعـالى : ((تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ)) [1] .

وقد رفع الله إدريس مكانا عليًّا ، رفعة مكانة لا رفعة مكان ، فعظم من شأنه ، وخلـد ذكره فى العالمين ، ويبدو ـــ والله أعلم ـــ أنه لم يعمر طويلا ، و لم تكن له شريعة ذات أحكام كثيرة ، و لم يكن فى قصته شئ من العبر يزيد على ما جاء فى قصص الأنبياء من بعده فطواها

---

[1] سورة البقرة آية ٢٥٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله استغناءً عنها لذلك .

هذا .. وقد حاك بعض القصاص من أهل الكتاب وغيرهم ممن لا يقبل قولهم ولا يصح سندهم ـــ فى شأنه ـــ أساطير ، هى إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ، ذكر بعضها ابن كثير فى البداية والنهاية وحكم عليها بالوضع والكذب .

- **ولكن من هو إدريس عليه السلام ؟**

قال ابن كثير : هو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن انوش بن شيث بن آدم أبى البشر عليه السلام . واسمه فى الكتب السابقة " خنوخ " . وهو فى عمود نسب سيدنا محمد ﷺ على ما ذكر غير واحد من العلماء .

وهو أول من أعطى النبوة بعد شيث عليه السلام ، وشيث أعطى النبوة بعد أبيه سيدنا آدم عليه السلام ، ولم يُذكر شيث فى القرآن لأن نبوته كانت امتدادا لنبوة أبيه .. والله تعالى أعلم .

سيدنا نوح عليه السلام

- **نبذة :**

كان سيدنا نوح تقيا صادقا أرسله الله ليهدي قومه وينذرهم عذاب الآخرة ولكنهم عصوه وكذبوه ، ومع ذلك استمر يدعوهم إلى الدين الحنيف فاتبعه قليل من الناس ، واستمر الكفرة في طغيانهم فمنع الله عنهم المطر ، ودعاهم سيدنا نوح أن يؤمنوا حتى يرفع الله عنهم العذاب فآمنوا فرفع الله عنهم العذاب ، ولكنهم رجعوا إلى كفرهم ، وأخذ يدعوهم ٩٥٠ سنة ثم أمره الله ببناء السفينة وأن يأخذ معه زوجا من كل نوع ثم جاء الطوفان فأغرق الكفار جميعا .

- **حال الناس قبل بعثة سيدنا نوح :**

قبل أن يولد قوم سيدنا نوح عاش خمسة رجال صالحين من أجداد قوم سيدنا نوح ، عاشوا زمنا ثم ماتوا ، كانت أسماء الرجال الخمسة هي : (وَدّ ، سُوَاع ، يَغُوث ، يَعُوق ، نَسْرا) .. بعد موتهم صنع الناس لهم تماثيل في مجال الذكرى والتكريم ، ومضى الوقت .. ومات الذين نحتوا التماثيل .. وجاء أبنائهم .. ومات الأبناء وجاء أبناء الأبناء .. ثم نسجت قصصا وحكايات حول التماثيل تعزز لها قوة خاصة .. واستغل إبليس الفرصة ، وأوهم الناس أن هذه تماثيل آلهة تملك النفع وتقدر على الضرر .. وبدأ الناس يعبدون هذه التماثيل .

- **إرسال سيدنا نوح عليه السلام :**

كان سيدنا نوح على الفطرة مؤمنا بالله تعالى قبل بعثته إلى الناس .. وكل الأنبياء مؤمنون بالله تعالى قبل بعثتهم .. وكان كثير التوجه لله عزّ وجلّ .. فاختاره الله لحمل الرسالة .. فخرج سيدنا نوح على قومه وبدأ دعوته : ((يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) [1] .. بهذه الجملة الموجزة وضع سيدنا نوح قومه أمام حقيقة الألوهية ، وحقيقة البعث .. هناك إله خالق وهو وحده الذي يستحق العبادة .. وهناك موت ثم بعث ثم يوم

[1] سورة الأعراف آية ٥٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للقيامة .. يوم عظيم ، فيه عذاب يوم عظيم .. شرح " سيدنا نوح" لقومه أنه يستحيل أن يكون هناك غير إله واحد هو الخالق .. أفهمهم أن الشيطان قد خدعهم زمنا طويلا ، وأن الوقت قد جاء ليتوقف هذا الخداع .. حدثهم سيدنا نوح عن تكريم الله للإنسان .. كيف خلقه ، ومنحه الرزق ، وأعطاه نعمة العقل .. ووعظهم بالابتعاد عن عبادة الأصنام .

تحرك قوم سيدنا نوح في اتجاهين بعد دعوته .. لَمَسَت الدعوة قلوب الضعفاء والفقراء والبؤساء ، وانحنت على جراحهم وآلامهم بالرحمة .. أما الأغنياء والأقوياء والكبراء ، تأملوا الدعوة بعين الشك .. ولما كانوا يستفيدون من بقاء الأوضاع على ما هي عليه فقد بدءوا حربهم ضد سيدنا نوح .

في البداية اتهموا سيدنا نوحا بأنه بشر مثلهم : ((فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا)) [1] .

قال تفسير القرطبي : الملأ الذين كفروا من قومه هم الرؤساء الذين كانوا في قومه .. يسمون الملأ لأنهم مليئون بما يقولون .

قال هؤلاء الملأ لسيدنا نوح : أنت بشر يا نوح .

رغم أن سيدنا نوحا لم يقل غير ذلك ، وأكد أنه مجرد بشر (والله يرسل إلى الأرض رسولا من البشر، لأن الأرض يسكنها البشر ، ولو كانت الأرض تسكنها الملائكة لأرسل الله رسولا من الملائكة) استمرت الحرب بين الكافرين وسيدنا نوح .

في البداية ، تصور الكفرة يومها أن دعوة سيدنا نوح لا تلبث أن تنطفئ وحدها ، فلما وجدوا الدعوة تجتذب الفقراء والضعفاء وأهل الصناعات البسيطة بدءوا الهجوم على سيدنا نوح من هذه الناحية .. هاجموه في أتباعه ، وقالوا له : لم يتبعك غير الفقراء والضعفاء والأراذل .

هكذا اندلع الصراع بين سيدنا نوح ورؤساء قومه .. ولجأ الذين كفروا إلى المساومة .. قالوا

---

[1] سورة هود آية ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لسيدنا نوح : اسمع يا نوح ، إذا أردت أن نؤمن لك فاطرد الذين آمنوا بك ، إنهم ضعفاء وفقراء ، ونحن سادة القوم وأغنياؤهم ، ويستحيل أن تضمنا دعوة واحدة مع هؤلاء .

واستمع سيدنا نوح إلى كفار قومه وأدرك أنهم يعاندون ، ورغم ذلك كان طيبا في رده .. أفهم قومه أنه لا يستطيع أن يطرد المؤمنين ، لأنهم أولا ليسوا ضيوفه ، إنما هم ضيوف الله .. وليست الرحمة بيته الذي يدخل فيه من يشاء أو يطرد منه من يشاء ، إنما الرحمة بيت الله الذي يستقبل فيه من يشاء .

كان سيدنا نوح يناقش كل حجج الكافرين بمنطق الأنبياء الكريم الوجيه .. وهو منطق الفكر الذي يجرد نفسه من الكبرياء الشخصي وهوى المصالح الخاصة .. قال لهم : إن الله قد آتاه الرسالة والنبوة والرحمة ، ولم يروا هم ما آتاه الله ، وهو بالتالي لا يجبرهم على الإيمان برسالته وهم كارهون .. إن كلمة لا إله إلا الله لا تفرض على أحد من البشر .. أفهمهم أنه لا يطلب منهم مقابلا لدعوته ، لا يطلب منهم مالا فيثقل عليهم ، إن أجره على الله ، هو الذي يعطيه ثوابه .. أفهمهم أنه لا يستطيع أن يطرد الذين آمنوا بالله ، وأن له حدوده كنبي ، وحدوده لا تعطيه حق طرد المؤمنين لسببين : أنهم سيلقون الله مؤمنين به فكيف يطرد مؤمنا بالله؟ ، ثم أنه لو طردهم لخاصموه عند الله ، ويجازي من طردهم ، فمن الذي ينصر نوحا من الله لو طردهم؟ .. وهكذا انتهى سيدنا نوح إلى أن مطالبة قومه له بطرد المؤمنين جهل منهم .

وعاد سيدنا نوح يقول لهم أنه لا يدعى لنفسه أكثر مما له من حق ، وأخبرهم بتذلله وتواضعه لله عز وجل ، فهو لا يدعي لنفسه ما ليس له من خزائن الله ، وهي إنعامه على من يشاء من عباده .. وهو لا يعلم الغيب ، لأن الغيب علم اختص الله تعالى وحده به .. أخبرهم أيضا أنه ليس ملكا ، بمعنى أن منزلته ليست كمنزلة الملائكة .. قال لهم سيدنا نوح : إن الذين تزدري أعينكم وتحتقر وتستثقل ، إن هؤلاء المؤمنين الذي تحتقرونهم لن تبطل أجورهم وتضيع لاحتقاركم لهم ، الله أعلم بما في أنفسهم ، هو الذي يجازيهم عليه ويؤاخذهم به .. أظلم نفسي لو قلت إن الله لن يؤتيهم خيرا .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسئم الملأ يومها من هذا الجدل الذي يجادله سيدنا نوح .. حكى الله موقفهم منه في سورة (هود) : ((قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾)) .

أضاف سيدنا نوح إغواءهم إلى الله تعالى ، تسليما بأن الله هو الفاعل في كل حال ، غير أنهم استحقوا الضلال بموقفهم الاختياري وملئ حريتهم وكامل إرادتهم .. فالإنسان صانع لأفعاله ولكنه محتاج في صدورها عنه إلى ربه .. بهذه النظرة يستقيم معنى مساءلة الإنسان عن أفعاله .. كل ما في الأمر أن الله ييسر كل مخلوق لما خلق له ، سواء أكان التيسير إلى الخير أم إلى الشر .. وهذا من تمام الحرية وكمالها .. يختار الإنسان بحريته فييسر له الله تعالى طريق ما اختاره .. اختار كفار قوم سيدنا نوح طريق الغواية فيسره الله لهم .

وتستمر المعركة .. وتطول المناقشة بين الكافرين من قوم سيدنا نوح وبينه حيث انهارت كل حجج الكافرين و لم يعد لديهم ما يقال .. بدءوا يخرجون عن حدود الأدب ويشتمون نبي الله : ((قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾)) [1] .. ورد عليهم سيدنا نوح بأدب الأنبياء العظيم : ((قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾)) [2] .

ويستمر سيدنا نوح في دعوة قومه إلى الله ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، وعاما بعد عام .. ومرت الأعوام وسيدنا نوح يدعو قومه .. كان يدعوهم ليلا ونهارا ، وسرا وجهرا ، يضرب لهم الأمثال ، ويشرح لهم الآيات ، ويبين لهم قدرة الله في الكائنات ، وكلما دعاهم إلى الله فروا منه ، وكلما دعاهم ليغفر الله لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا عن سماع الحق ..

---

[1] سورة الأعراف آية ٦٠ .

[2] سورة الأعراف آية ٦١ ، ٦٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

واستمر سيدنا نوح يدعو قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما .

وكان يلاحظ أن عدد المؤمنين لا يزيد ، بينما يزيد عدد الكافرين .. وحزن سيدنا نوح غير أنه لم يفقد الأمل ، وظل يدعو قومه ويجادلهم ، وظل قومه على الكبرياء والكفر والتبجح . وحزن سيدنا نوح على قومه ، لكنه لم يبلغ درجة اليأس ، ظل محتفظا بالأمل طوال ٩٥٠ سنة . ويبدو أن أعمار الناس قبل الطوفان كانت طويلة ، وربما يكون هذا العمر الطويل لنوح معجزة خاصة له .

وجاء يوم أوحى الله إليه : ((وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾)) [١] . حينئذ دعا سيدنا نوح على الكافرين بالهلاك : ((وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾)) [٢] .. برر سيدنا نوح دعوته بقوله : ((إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾)) [٣] .

- **الطوفان :**

ثم أصدر الله تعالى حكمه على الكافرين بالطوفان .. أخبر الله تعالى عبده نوحا أنه سيصنع سفينة ((بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) أي بعلم الله وتعليمه ، وعلى مرأى منه وطبقا لتوجيهاته ومساعدة الملائكة .. أصدر الله تعالى أمره إلى سيدنا نوح : ((وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)) [٤] يغرق الله الذين ظلموا مهما كانت أهميتهم أو قرابتهم للنبي، وينهى الله نبيه أن يخاطبه أو يتوسط لهم .

وبدأ سيدنا نوح يغرس الشجر ويزرعه ليصنع منه السفينة .. انتظر سنوات ، ثم قطع ما زرعه ، وبدأ نجارته .. كانت سفينة عظيمة الطول والارتفاع والمتانة ، وقد اختلف المفسرون في حجمها ،

---

[١] سورة هود آية ٣٦ .

[٢] سورة نوح آية ٢٦ .

[٣] سورة نوح آية ٢٧ .

[٤] سورة هود آية ٣٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهيئتها ، وعدد طبقاتـــها ، ومدة عملها ، والمكان الذي عملت فيه ، ومقدار طولها ، وعرضها ، على أقوال متعارضة لم يصح منها شيء .. وقال الفخر الرازي في هذا كله : أعلم أن هذه المباحث لا تعجبني ، لأنـــها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلا .. نحن نتفق مع الرازي في مقولته هذه ، فنحن لا نعرف عن حقيقة هذه السفينة إلا ما حدثنا الله به .. تجاوز الله تعالى هذه التفصيلات التي لا أهمية لها إلى مضمون القصة ومغزاها المهم .

بدأ سيدنا نوح يبني السفينة ، ويمر عليه الكفار فيرونه منهمكا في صنع السفينة ، والجفاف سائد ، وليست هناك أنـــهار قريبة أو بحار .. كيف ستجري هذه السفينة إذن يا نوح؟! هل ســـتجري على الأرض؟! أين الماء الذي يمكن أن تسبح فيه سفينتك؟! ، قالوا : لقد جن نوح .. وترتفـــع ضحكات الكافرين وتزداد سخريتهم من سيدنا نوح .. وكانوا يسخرون منه قائلين : صـــرت نجارا بعد أن كنت نبيا !

إن قمة الصراع في قصة سيدنا نوح تتجلى في هذه المساحة الزمنية ، إن الباطل يسخر من الحق ، يضحك عليه طويلا ، متصورا أن الدنيا ملكه ، وأن الأمن نصيبه ، وأن العذاب غير واقع .. غير أن هذا كله مؤقت بموعد حلول الطوفان .. عندئذ يسخر المؤمنون من الكـــافرين ، وتكـــون سخريتهم هي الحق .

انتهى صنع السفينة .. وجلس سيدنا نوح ينتظر أمر الله .. أوحى الله إلى سيدنا نوح أنه إذا فـــار التنور هذا علامة على بدء الطوفان .. قيل في تفسير التنور أنه بركان في المنطقة ، وقيل أنه الفرن الكائن في بيت نوح ، إذا خرج منه الماء وفار كان هذا أمرا لنوح بالحركة .

وجاء اليوم الرهيب .. فار التنور .. وأسرع سيدنا نوح يفتح سفينته ويدعو المؤمنين به .. وهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض .. حمل سيدنا نوح إلى السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجـــين اثنين ، بقرا وثورا ، فيلا وفيلة ، عصفورا وعصفورة ، نمرا ونمرة ، إلى آخر المخلوقات .. كـــان سيدنا نوح قد صنع أقفاصا للوحوش وهو يصنع السفينة .. وساق جبريل عليه السلام أمامه من كـــل زوجين اثنين ، لضمان بقاء نوع الحيوان والطير على الأرض .. وهذا معناه أن الطوفان أغـــرق

الأرض كلها .. فلولا ذلك ما كان هناك معنى لحمل هذه الأنواع من الحيوان والطير .. وبدأ صعود السفينة .. صعدت الحيوانات والوحوش والطيور ، وصعد من آمن بنوح ، وكان عدد المؤمنين قليلا .

لم تكن زوجة سيدنا نوح مؤمنة به فلم تصعد .. وكان أحد أبنائه يخفي كفره ويبدي الإيمان أمام سيدنا نوح ، فلم يصعد هو الآخر .. وكانت أغلبية الناس غير مؤمنة هي الأخرى ، فلم تصعد .. وصعد المؤمنون .. قال ابن عباس رضي الله عنهما : آمن من قوم نوح ثمانون إنسانا .

ارتفعت المياه من فتحات الأرض وانهمرت من السماء أمطارا غزيرة بكميات لم تر مثلها الأرض ، فالتقت أمطار السماء بمياه الأرض ، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة .. فقدت البحار هدوئها ، وانفجرت أمواجها تجور على اليابسة ، وتكتسح الأرض .. وغرقت الكرة الأرضية للمرة الأولى في المياه .

ارتفعت المياه أعلى من الناس ، وتجاوزت قمم الأشجار ، وقمم الجبال ، وغطت سطح الأرض كله .. وفي بداية الطوفان نادى نوح ابنه ، كان ابنه يقف بمعزل منه ، ويحكي لنا المولى عز وجل في سورة هود الحوار القصير الذي دار بين سيدنا نوح عليه السلام وابنه قبل أن يحول بينهما الموج فجأة .. نادى نوح ابنه قائلا : ((يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)) ، ورد الابن عليه : ((قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ)) ، عاد نوح يخاطبه : ((قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ)) ، وانتهى الحوار بين سيدنا نوح وابنه : انظر إلى تعبير القرآن الكريم ((وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ)) أنهى الموج حوارهما فجأة .. نظر سيدنا نوح فلم يجد ابنه .. لم يجد غير جبال الموج التي ترتفع وترفع معها السفينة ، وتفقدها رؤية كل شيء غير المياه .. وشاءت رحمة الله أن يغرق الابن بعيدا عن عين الأب ، رحمة منه بالأب ، واعتقد سيدنا نوح أن ابنه المؤمن تصور أن الجبل سيعصمه من الماء ، فغرق .

واستمر الطوفان .. استمر يحمل سفينة سيدنا نوح .. بعد ساعات من بدايته ، كانت كل عين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تطرف على الأرض قد هلكت غرقا ، لم يعد باقيا من الحياة والأحياء غير هذا الجزء الخشبي من سفينة نوح ، وهو ينطوي على الخلاصة المؤمنة من أهل الأرض وأنواع الحيوانات والطيور التي اختيرت بعناية .. ومن الصعب اليوم تصور هول الطوفان أو عظمته .. كان شيئا مروعا يدل على قدرة الخالق .. كانت السفينة تجري بهم في موج كالجبال .. ويعتقد بعض العلماء الجيولوجيا اليوم إن انفصال القارات وتشكل الأرض في صورتها الحالية ، قد وقعا نتيجة طوفان قديم جبار ، ثارت فيه المياه ثورة غير مفهومة حتى غطت سطح الجزء اليابس من الأرض ، وارتفعت فيه قيعان المحيطات ووقع فيه ما نستطيع تسميته بالثورة الجغرافية .

استمر طوفان سيدنا نوح زمنا لا نعرف مقداره .. ثم صدر الأمر الإلهي إلى السماء أن تكف عن الإمطار ، وإلى الأرض أن تستقر وتبتلع الماء ، وإلى أخشاب السفينة أن ترسو على الْجُودِيِّ ، وهو اسم مكان قديم يقال أنه جبل في العراق .. طهر الطوفان الأرض وغسلها .. قال تعالى في سورة (هود) : ((وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾)) .

(وَغِيضَ الْمَاء) : بمعنى نقص الماء وانصرف عائدا إلى فتحات الأرض .. (وَقُضِيَ الأَمْرُ) : بمعنى أنه أحكم وفرغ منه ، يعني هلك الكافرون من قوم سيدنا نوح تماما . ويقال أن الله أعقم أرحامهم أربعين سنة قبل الطوفان ، فلم يكن فيمن هلك طفل أو صغير . (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) : بمعنى رست عليه ، وقيل كان ذلك يوم عاشوراء ، فصامه سيدنا نوح ، وأمر من معه بصيامه . (وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) : أي هلاكا لهم . طهر الطوفان الأرض منهم وغسلها.

ذهب الهول بذهاب الطوفان .. وانتقل الصراع من الموج إلى نفس نوح .. تذكر ابنه الذي غرق .. لم يكن سيدنا نوح يعرف حتى هذه اللحظة أن ابنه كافر .. كان يتصور أنه مؤمن عنيد ، آثر النجاة باللجوء إلى جبل .. وكان الموج قد أنهى حوارهما قبل أن يتم .. فلم يعرف سيدنا نوح حظ ابنه من الإيمان .. تحركت في قلب الأب عواطف الأبوة .. قال تعالى في سورة (هود) : ((وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾)) .

أراد سيدنا نوح أن يقول لله أن ابنه من أهله المؤمنين .. وقد وعده الله بنجاة أهله المؤمنين .. قال الله سبحانه وتعالى ، مطلعا نوحا على حقيقة ابنه للمرة الأولى : ((يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾)) .

قال القرطبي – نقلا عن شيوخه من العلماء – وهو الرأي الذي نؤثره : كان ابنه عنده – أي نوح– مؤمنا في ظنه ، و لم يك سيدنا نوح يقول لربه : (إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى) إلا وذلك عنده كذلك ، إذ محال أن يسأل هلاك الكفار ، ثم يسأل في إنجاء بعضهم . وكان ابنه يُسِرُّ الكفر ويظهر الإيمان . فأخبر الله تعالى نوحا بما هو منفرد به من علم الغيوب . أي علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت . وكان الله حين يعظه أن يكون من الجاهلين ، يريد أن يبرئه من تصور أن يكون ابنه مؤمنا ، ثم يهلك مع الكافرين .

وثمة درس مهم تنطوي عليه الآيات الكريمة التي تحكي قصة سيدنا نوح وابنه .. أراد الله سبحانه وتعالى أن يقول لنبيه الكريم أن ابنه ليس من أهله ، لأنه لم يؤمن بالله ، وليس الدم هو الصلة الحقيقية بين الناس .. ابن النبي هو ابنه في العقيدة ، هو من يتبع الله والنبي ، وليس ابنه مس يكفر به ولو كان من صلبه .. هنا ينبغي أن يتبرأ المؤمن من غير المؤمن .. وهنا أيضا ينبغي أن تتصل بين المؤمنين صلات العقيدة فحسب .. لا اعتبارات الدم أو الجنس أو اللون أو الأرض .

واستغفر سيدنا نوح ربه وتاب إليه ، ورحمه الله وأمره أن يهبط من السفينة محاطا ببركة الله ورعايته .. وهبط سيدنا نوح من سفينته .. أطلق سراح الطيور والوحش ، فتفرقت في الأرض ، ونزل المؤمنون بعد ذلك .. ولا يحكي لنا القرآن الكريم قصة من آمن مع سيدنا نوح بعد نجاتهم من الطوفان .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا هود عليه السلام

- **نبذة :**

أُرسل إلى قوم عاد الذين كانوا بالأحقاف .. وكانوا أقوياء الجسم والبنيان وآتاهم الله الكثير من رزقه ولكنهم لم يشكروا الله على ما آتاهم وعبدوا الأصنام فأرسل لهم الله هودا نبيا مبشرا .. كان حكيما ولكنهم كذبوه وآذوه فجاء عقاب الله وأهلكهم بريح صرصر عاتية استمرت سبع ليال وثمانية أيام .

- **عبادة الناس للأصنام :**

بعد أن ابتلعت الأرض مياه الطوفان الذي أغرق من كفر بنوح عليه السلام قام من آمن معه ونجى بعمارة الأرض .. فكان كل من على الأرض في ذلك الوقت من المؤمنين ، لم يكن بينهم كافر واحد .. ومرت سنوات وسنوات .. مات الآباء والأبناء ، وجاء أبناء الأبناء .. نسى الناس وصية سيدنا نوح ، وعادت عبادة الأصنام .. انحرف الناس عن عبادة الله وحده ، وتم الأمر بنفس الخدعة القديمة .

قال أحفاد قوم سيدنا نوح : لا نريد أن ننسى آبائنا الذين نجاهم الله من الطوفان .. وصنعوا للناجين تماثيل ليذكروهم بها ، وتطور هذا التعظيم جيلا بعد جيل ، فإذا الأمر ينقلب إلى العبادة ، وإذا بالتماثيل تتحول بمكر من الشيطان إلى آلهة مع الله .. وعادت الأرض تشكو من الظلام مرة ثانية .. وأرسل الله سيدنا هودا إلى قومه .

- **إرسال سيدنا هود عليه السلام :**

كان "هود" من قبيلة اسمها "عاد" وكانت هذه القبيلة تسكن مكانا يسمى الأحقاف .. وهو صحراء تمتلئ بالرمال ، وتطل على البحر .. أما مساكنهم فكانت خياما كبيرة لها أعمدة شديدة الضخامة والارتفاع ، وكان قوم عاد أعظم أهل زمانهم في قوة الأجسام ، والطول والشدة .. كانوا عمالقة وأقوياء ، فكانوا يتفاخرون بقوتهم ، فلم يكن في زمانهم أحد في قوتهم .

ورغم ضخامة أجسامهم ، كانت لهم عقول مظلمة ، كانوا يعبدون الأصنام ، ويدافعون عنها ، ويحاربون من أجلها ، ويتهمون نبيهم ويسخرون منه .. وكان المفروض ما داموا قد اعترفوا أنهم أشد الناس قوة أن يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة .

قال لهم سيدنا هود نفس الكلمة التي يقولها كل رسول ، لا تتغير ولا تنقص ولا تتردد ولا تخاف ولا تتراجع ، كلمة واحدة هي الشجاعة كلها ، وهي الحق وحده : ((يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) [1] .. وسأله قومه : هل تريد أن تكون سيدا علينا بدعوتك ؟ وأي أجر تريده ؟ .. إن هذه الظنون السئية تتكرر على ألسنة الكافرين عندما يدعوهم نبيهم للإيمان بالله وحده .. فعقولهم الصغيرة لا تتجاوز الحياة الدنيوية .. ولا يفكروا إلا بالمجد والسلطة والرياسة .

أفهمهم سيدنا هود أن أجره على الله ، إنه لا يريد منهم شيئا غير أن يغسلوا عقولهم في نور الحقيقة . حدثهم عن نعمة الله عليهم ، كيف جعلهم خلفاء لقوم نوح ، كيف أعطاهم بسطة في الجسم ، وشدة في البأس ، كيف أسكنهم الأرض التي تمنح الخير والزرع ، كيف أرسل عليهم المطر الذي يجيى به الأرض .. وتلفت قوم هود حولهم فوجدوا أنهم أقوى من على الأرض ، وأصابتهم الكبرياء وزادوا في العناد .

قالوا لسيدنا هود : كيف تتهم آلهتنا التي وجدنا آباءنا يعبدونها ؟

قال سيدنا هود : كان آباؤكم مخطئين .

قال قوم هود : هل تقول يا هود إننا بعد أن نموت ونصبح ترابا يتطاير في الهواء ، سنعود إلى الحياة ؟

قال سيدنا هود : ستعودون يوم القيامة ، ويسأل الله كل واحد فيكم عما فعل .

انفجرت الضحكات بعد هذه الجملة الأخيرة .. ما أغرب ادعاء هود ، هكذا تهامس الكافرون من قومه .. إن الإنسان يموت ، فإذا مات تحلل جسده ، فإذا تحلل جسده تحول إلى

---

[1] سورة الأعراف آية ٦٥ .

www.alukah.net

تراب ، ثم يهب الهواء ويتطاير التراب ، كيف يعود هذا كله إلى أصله؟! ، ثم ما معنى وجود يوم للقيامة ؟ لماذا يقوم الأموات من موتـــهم ؟

استقبل سيدنا هود كل هذه الأسئلة بصبر كريم .. ثم بدأ يحدث قومه عن يوم القيامة .. أفهمهم أن إيمان الناس بالآخرة ضرورة تتصل بعدل الله ، مثلما هي ضرورة تتصل بحياة الناس .. قال لهم ما يقوله كل نبي عن يوم القيامة .. إن حكمة الخالق المدبر لا تكتمل بمجرد بدء الخلق ثم انتـــهاء حياة المخلوقين في هذه الأرض .. إن هذه الحياة اختبار ، يتم الحساب بعدها .. فليست تصرفات الناس في الدنيا واحدة ، هناك من يظلم ، وهناك من يقتل ، وهناك من يعتدي .. وكثيرا ما نرى الظالمين يذهبون بغير عقاب ، كثيرا ما نرى المعتدين يتمتعون في الحياة بالاحترام والسلطة .. أين تذهب شكاة المظلومين ؟ وأين يذهب ألم المضطهدين ؟ هل يدفن معهم في التراب بعد الموت ؟ إن العدالة تقتضي وجود يوم للقيامة .. إن الخير لا ينتصر دائما في الحياة .. أحيانا ينظم الشـــر جيوشه ويقتل حملة الخير .. هل تذهب هذه الجريمة بغير عقاب ؟

إن ظلما عظيما يتأكد لو افترضنا أن يوم القيامة لن يجئ .. ولقد حرم الله تعالى الظلم علـــى نفســـه وجعله محرما بين عباده .. ومن تمام العدل وجود يوم للقيامة والحساب والجزاء .. ذلك أن يوم القيامة هو اليوم الذي تعاد فيه جميع القضايا مرة أخرى أمام الخالق ، ويعاد نظرها مرة أخرى ، ويحكم فيهـــا رب العالمين سبحانه .. هذه هي الضرورة الأولى ليوم القيامة ، وهي تتصل بعدالة الله ذاته .

وثمة ضرورة أخرى ليوم القيامة ، وهي تتصل بسلوك الإنسان نفسه .. إن الاعتقاد بيوم الدين ، والإيمان ببعث الأجساد ، والوقوف للحساب ، ثم تلقي الثواب والعقاب ، ودخول الجنة أو النار ، هذا شيء من شأنه أن يعلق أنظار البشر وقلوبـــهم بعالَم آخر بعد عالَم الأرض ، فلا تســـتبد بـــهم ضرورات الحياة ، ولا يستعبدهم الطمع ، ولا تتملكهم الأنانية ، ولا يقلقهم أنـــــهم لم يحققوا جزاء سعيهم في عمرهم القصير المحدود ، وبذلك يسمو الإنسان على الطين الذي خلق منه إلى الروح الذي نفخه ربه فيه .. ولعل مفترق الطريق بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمهـــا وموازينها ، والتعلق بقيم الله العليا ، والانطلاق اللائق بالإنسان ، يكمن في الإيمان بيوم القيامة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حدثهم سيدنا هود بـــهذا كله فاستمعوا إليه وكذبوه .. قالوا له هيهات هيهات.. واستغربوا أن يبعث الله من في القبور ، استغربوا أن يعيد الله خلق الإنسان بعد تحوله إلى التراب ، رغم أنه خلقه من قبل من التراب .. وطبقا للمقاييس البشرية ، كان ينبغي أن يحس المكذبون للبعث أن إعـــادة خلق الإنسان من التراب والعظام أسهل من خلقه الأول .. لقد بدأ الله الخلق فأي صـــعوبة في إعادته ؟! إن الصعوبة – طبقا للمقياس البشري- تكمن في الخلق .. أما الله ، فليست هناك أمور صعبة أو سهلة بالنسبة إليه سبحانه ، تجري الأمور بالنسبة إليه سبحانه بمجرد الأمر .

- **موقف الملأ من دعوة سيدنا هود :**

يروي المولى عزَّ وجل موقف الملأ (وهم الرؤساء) من دعوة سيدنا هود عليه السلام .. ســـنرى هؤلاء الملأ في كل قصص الأنبياء .. سنرى رؤساء القوم وأغنيائهم ومترفيهم يقفون ضد الأنبياء .. يصفهم الله تعالى بقوله : ((وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)) [1] .. من مواقع الثراء والغنى والترف يولد الحرص على استمرار المصالح الخاصة .. ومن مواقع الثراء والغنى والترف والرياسة يولـــد الكبرياء ..

ويلتفت الرؤساء في القوم إلى أنفسهم ويتساءلون : أليس هذا النبي بشرا مثلنا ، يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ؟ .. بل لعله بفقره يأكل أقل مما نأكل ، ويشرب في أكواب صدئة ، ونحن نشرب في أكواب الذهب والفضة ؟ .. كيف يدعي أنه على الحق ونحن على الباطل ؟ ، هـــذا بشر .. كيف نطيع بشرا مثلنا ؟ ، ثم.. لماذا اختار الله بشرا من بيننا ليوحى إليه ؟

قال رؤساء قوم هود : أليـــس غريبـــا أن يختـــار الله مـــن بيننـــا بشـــرا ويـــوحي إليـــه ؟! تسائل هو: ما هو الغريب في ذلك؟ إن الله الرحيم بكم قد أرسلني إليكم لأحذركم .. إن سفينة نوح ، وقصة نوح ليست ببعيدة عنكم ، لا تنسوا ما حدث ، لقد هلك الذين كفروا بـــالله ، وسيهلك الذين يكفرون بالله دائما ، مهما يكونوا أقوياء .

قال رؤساء قوم هود : من الذي سيهلكنا يا هود ؟

---

[1] سورة المؤمنون آية ٣٣ .

www.alukah.net

قال سيدنا هود : الله .

قال الكافرون من قوم هود : ستتجينا آلهتنا .

وأفهمهم سيدنا هود أن هذه الآلهة التي يعبدونها لتقربهم من الله ، هي نفسها التي تبعدهم عن الله .. أفهمهم أن الله هو وحده الذي ينجي الناس ، وأن أي قوة أخرى في الأرض لا تستطيع أن تضر أو تنفع .

واستمر الصراع بين سيدنا هود وقومه .. وكلما استمر الصراع ومرت الأيام زاد قوم هود استكبارا وعنادا وطغيانا وتكذيبا لنبيهم .. وبدءوا يتهمون " سيدنا هودا" عليه السلام بأنه سفيه مجنون .. قالوا له يوما : لقد فهمنا الآن سر جنونك ، إنك تسب آلهتنا وقد غضبت آلهتنا عليك ، وبسبب غضبها صرت مجنونا .

انظروا للسذاجة التي وصل إليها تفكيرهم .. إنهم يظنون أن هذه الحجارة لها قوى على من صنعها .. لها تأثير على الإنسان مع أنها لا تسمع ولا ترى ولا تنطق .. لم يتوقف سيدنا هود عند هذيانهم ، و لم يغضبه أن يظنوا به الجنون والهذيان ، ولكنه توقف عند قولهم : ((وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)) [1] .. بعد هذا التحدي لم يبق لسيدنا هود إلا التحدي .. لم يبق له إلا التوجه إلى الله وحده .. لم يبق أمامه إلا إنذار أخير ينطوي على وعيد للمكذبين وتهديدا لهم .. وتحدث سيدنا هود : ((إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾)) [2] .

---

[1] سورة هود آية ٥٣ .

[2] سورة هود .

إن الإنسان ليشعر بالدهشة لهذه الجرأة في الحق ! .. رجل واحد يواجه قوما غلاظا شدادا وحمقى يتصورون أن أصنام الحجارة تستطيع الإيذاء ! .. إنسان بمفرده يقف ضد جبارين فيسفه عقيدتهم ، ويتبرأ منهم ومن آلهتهم ، ويتحداهم أن يكيدوا له بغير إبطاء أو إهمال ! .. فهو على استعداد لتلقي كيدهم ، وهو على استعداد لحربهم فقد توكل على الله .. والله هو القوي بحق ، وهو الآخذ بناصية كل دابة في الأرض ، سواء الدواب من الناس أو دواب الوحوش أو الحيوان . لا شيء يعجز الله .

بهذا الإيمان بالله ، والثقة بوعده ، والاطمئنان إلى نصره ، يخاطب هود الذين كفروا من قومه . وهو يفعل ذلك رغم وحدته وضعفه ، لأنه يقف مع الأمن الحقيقي ويُبلِّغ عن الله .. وهو في حديثه يفهم قومه أنه أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة .. فإن كفروا فسوف يستخلف الله قوما غيرهم ، سوف يستبدل بهم قوما آخرين ، وهذا معناه أن عليهم أن ينتظروا العذاب

- **هلاك عاد :**

وهكذا أعلن سيدنا هود لهم براءته منهم ومن آلهتهم .. وتوكل على الله الذي خلقه .. وأدرك أن العذاب واقع بمن كفر من قومه .. هذا قانون من قوانين الحياة .. يعذب الله الذين كفروا ، مهما كانوا أقوياء أو أغنياء أو جبابرة أو عمالقة .

انتظر سيدنا هود وانتظر قومه وعد الله .. وبدأ الجفاف في الأرض . لم تعد السماء تمطر .. وهرع قوم هود إليه .. ما هذا الجفاف يا هود؟ .. قال سيدنا هود : إن الله غاضب عليكم ، ولو آمنتم فسوف يرضى الله عنكم ويرسل المطر فيزيدكم قوة إلى قوتكم .. وسخر قوم هود منه وزادوا في العناد والسخرية والكفر .. وزاد الجفاف ، واصفرت الأشجار الخضراء ومات الزرع .. وجاء يوم فإذا سحاب عظيم يملأ السماء .. وفرح قوم هود وخرجوا من بيوتهم يقولون : ((هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا)) [1] .. تغير الجو فجأة من الجفاف الشديد والحر إلى البرد الشديد القارس .. بدأت الرياح تهب .. ارتعش كل شيء ، ارتعشت الأشجار والنباتات والرجال والنساء

[1] سورة الأحقاف آية ٢٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والخيام .. واستمرت الريح ليلة بعد ليلة ، ويوما بعد يوم .. كل ساعة كانت برودتـــها تزداد .. وبدأ قوم هود يفرون ، أسرعوا إلى الخيام واختبئوا داخلها ، اشتد هبوب الرياح واقتلعت الخيام ، واختبئوا تحت الأغطية ، فاشتد هبوب الرياح وتطايرت الأغطية .. كانت الرياح تمزق الملابـــس وتمزق الجلد وتنفذ من فتحات الجسم وتدمره .. لا تكاد الريح تمس شيئا إلا قتلتـــه ودمرتـــه ، وجعلته كالرميم .

استمرت الرياح مسلطة عليهم سبع ليال وثمانية أيام لم تر الدنيا مثلها قط .. ثم توقفت الريح بإذن ربـــها .. لم يعد باقيا ممن كفر من قوم هود إلا ما يبقى من النخل الميت .. مجرد غلاف خارجي لا تكاد تضع يدك عليه حتى يتطاير ذرات في الهواء .

نجا سيدنا هود ومن آمن معه .. وهلك الجبابرة .. وهذه نـــهاية عادلة لمن يتحدى الله ويستكبر عن عبادته .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا صالح عليه السلام

- **نبذة :**

أرسله الله إلى قوم ثمود وكانوا قوما جاحدين آتاهم الله رزقا كثيرا ولكنهم عصوا ربهم وعبدوا الأصنام وتفاخروا بينهم بقوتهم فبعث الله إليهم صالحا مبشرا ومنذرا ، ولكنهم كذبوه وعصوه وطالبوه بأن يأتي بآية ليصدقوه ، فأتاهم بالناقة وأمرهم أن لا يؤذوها ، ولكنهم أصروا على كبرهم فعقروا الناقة وعاقبهم الله بالصاعقة فصعقوا جزاء لفعلتهم ونجى الله صالحا والمؤمنين .

- **إرسال سيدنا صالح عليه السلام لثمود :**

جاء قوم ثمود بعد قوم عاد ، وتكررت قصة العذاب بشكل مختلف مع ثمود .. كانت ثمود قبيلة تعبد الأصنام هي الأخرى ، فأرسل الله سيدنا "صالحا" إليهم .. وقال سيدنا صالح لقومه : ((يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ)) [1] نفس الكلمة التي يقولها كل نبي .. لا تتبدل ولا تتغير ، كما أن الحق لا يتبدل ولا يتغير .

فوجئ الكبار من قوم صالح بما يقوله .. إنه يتهم آلهتهم بأنها بلا قيمة ، وهو ينهاهم عن عبادتها ويأمرهم بعبادة الله وحده .. وأحدثت دعوته هزة كبيرة في المجتمع .. وكان سيدنا صالح معروفا بالحكمة والنقاء والخير ..كان قومه يحترمونه قبل أن يوحي الله إليه ويرسله بالدعوة إليهم .. وقال قوم صالح له : ((قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝)) [2] .. تأمل وجهة نظر الكافرين من قوم صالح .. إنهم يزلفون إليه من باب شخصي بحت . لقد كان لنا رجاء فيك ، كنت مرجوا فينا لعلمك وعقلك وصدقك وحسن تدبيرك ، ثم خاب رجاؤنا فيك .. أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟! يا للكارثة .. كل شيء يا صالح إلا هذا .. ما كنا نتوقع منك أن تعيب آلهتنا التي وجدنا آبائنا عاكفين عليها .. وهكذا يعجب القوم مما يدعوهم إليه ، ويستنكرون ما هو واجب

---

[1] سورة الأعراف آية ٧٣ .

[2] سورة هود آية ٦٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحق ، ويدهشون أن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده .. لماذا ؟ .. ما كان ذلك كله إلا لأن آبائهم كانوا يعبدون هذه الآلهة .

- **معجزة سيدنا صالح عليه السلام :**

ورغم نصاعة دعوة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام ، فقد بدا واضحا أن قومه لن يصدقونه .. كانوا يشكون في دعوته ، واعتقدوا أنه مسحور ، وطالبوه بمعجزة تثبت أنه رسول من الله إليهم .. وشاءت إرادة الله أن تستجيب لطلبهم .. وكان قوم ثمود ينحتون من الجبال بيوتا عظيمة .. كانوا يستخدمون الصخر في البناء ، وكانوا أقوياء قد فتح الله عليهم رزقهم من كل شيء .. جاءوا بعد قوم عاد فسكنوا الأرض التي استعمروها .

قال سيدنا صالح لقومه حين طالبوه بمعجزة ليصدقوه : ((وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾))[1] .. والآية هي المعجزة ، ويقال إن الناقة كانت معجزة لأن صخرة بالجبل انشقت يوما وخرجت منها الناقة .. وُلِدَتْ من غير الطريق المعروف للولادة .. ويقال إنها كانت معجزة لأنها كانت تشرب المياه الموجودة في الآبار في يوم فلا تقترب بقية الحيوانات من المياه في هذا اليوم ، وقيل إنها كانت معجزة لأنها كانت تدر لبنا يكفي لشرب الناس جميعا في هذا اليوم الذي تشرب فيه الماء فلا يبقى شيء للناس .. كانت هذه الناقة معجزة ، وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله : (نَاقَةُ ٱللَّهِ) أضافها لنفسه سبحانه بمعنى أنها ليست ناقة عادية وإنما هي معجزة من الله .. وأصدر الله أمره إلى سيدنا صالح أن يأمر قومه بعدم المساس بالناقة أو إيذائها أو قتلها ، أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله ، وألا يمسوها بسوء ، وحذرهم أنهم إذا مدوا أيديهم بالأذى للناقة فسوف يأخذهم عذاب قريب.

في البداية تعاظمت دهشة ثمود حين وُلِدَت الناقة من صخور الجبل .. كانت ناقة مباركة .. كان لبنها يكفي آلاف الرجال والنساء والأطفال ..كان واضحا إنها ليست مجرد ناقة عادية ، وإنما هي آية من الله .. وعاشت الناقة بين قوم صالح ، آمن منهم من آمن ، وبقي أغلبهم على العناد

---

[1] سورة هود آية ٦٤ .

والكفر .. وذلك لأن الكفار عندما يطلبون من نبيهم آية ، ليس لأنهم يريدون التأكد من صدقه والإيمان به ، وإنما لتحديه وإظهار عجزه أمام البشر .. لكن الله كان يخذلهم بتأييد أنبياءه بمعجزات من عنده .

كان سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام يحدث قومه برفق وحب ، وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وينبههم إلى أن الله قد أخرج لهم معجزة هي الناقة ، دليلا على صدقه وبينة على دعوته .. وهو يرجو منهم أن يتركوا الناقة تأكل في أرض الله ، وكل الأرض أرض الله .. وهو يحذرهم أن يمسوها بسوء خشية وقوع عذاب الله عليهم .. كما ذكرهم بإنعام الله عليهم : بأنه جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد .. وأنعم عليهم بالقصور والجبال المنحوتة والنعيم والرزق والقوة .. لكن قومه تجاوزوا كلماته وتركوه ، واتجهوا إلى الذين آمنوا بصالح يسألونهم سؤال استخفاف وزراية : ((أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ)) ؟ [1] .. قالت الفئة الضعيفة التي آمنت بسيدنا صالح ((إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ)) .. فأخذت الذين كفروا العزة بالإثم .. ((قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ)) .. هكذا باحتقار واستعلاء وغضب .

- **تآمر الملأ على الناقة :**

وتحولت الكراهية عن سيدنا صالح إلى الناقة المباركة .. تركزت عليها الكراهية ، وبدأت المؤامرة تنسج خيوطها ضد الناقة .. كره الكافرون هذه الآية العظيمة ، ودبروا في أنفسهم أمرا .. وفي إحدى الليالي ، انعقدت جلسة لكبار القوم ، وقد أصبح من المألوف أن نرى أن في قصص الأنبياء هذه التدابير للقضاء على النبي أو معجزاته أو دعوته تأتي من رؤساء القوم ، فهم من يخافون على مصالحهم إن تحول الناس للتوحيد ، ومن خشيتهم إلى خشية الله وحده .. أخذ رؤساء القوم يتشاورون فيما يجب القيام به لإنهاء دعوة سيدنا صالح .. فأشار عليهم واحد منهم بقتل الناقة ومن ثم قتل صالح نفسه .

---

[1] سورة الأعراف آية ٧٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا هو سلاح الظلمة والكفرة في كل زمان ومكان ، يعمدون إلى القوة والسلاح بدل الحوار والنقاش بالحجج والبراهين .. لأنهم يعلمون أن الحق يعلوا ولا يُعلى عليه ، ومهما امتد بهم الزمان سيظهر الحق ويبطل كل حججهم .. وهم لا يريدون أن يصلوا لهذه المرحلة ، وقرروا القضاء على الحق قبل أن تقوى شوكته .

لكن أحدهم قال : حذرنا صالح من المساس بالناقة ، وهددنا بالعذاب القريب . فقال أحدهم سريعا قبل أن يؤثر كلام من سبقه على عقول القوم : أعرف من يجرأ على قتل الناقة .. ووقع الاختيار على تسعة من جبابرة القوم .. وكانوا رجالا يعيثون الفساد في الأرض ، الويل لمن يعترضهم .

هؤلاء هم أداة الجريمة .. اتفقوا على موعد الجريمة ومكان التنفيذ .. وفي الليلة المحددة وبينما كانت الناقة المباركة تنام في سلام انتهى المجرمون التسعة من إعداد أسلحتهم وسيوفهم وسهامهم لارتكاب الجريمة .. هجم الرجال على الناقة فنهضت الناقة مفزوعة .. امتدت الأيدي الآثمة القاتلة إليها.. وسالت دمائها .

- **هلاك ثمود :**

علم النبي صالح بما حدث فخرج غاضبا على قومه .. قال لهم : ألم أحذركم من أن تمسوا الناقة ؟ .. قالوا : قتلناها فأتنا بالعذاب واستعجله .. ألم تقل أنك من المرسلين ؟ .. قال سيدنا صالح لقومه : ((تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)) [1] .. بعدها غادر سيدنا صالح قومه .. تركهم ومضى .. انتهى الأمر ووعده الله بهلاكهم بعد ثلاثة أيام .

ومرت ثلاثة أيام على الكافرين من قوم صالح وهم يهزءون من العذاب وينتظرون ، وفي فجر اليوم الرابع : انشقت السماء عن صيحة جبارة واحدة .. انقضت الصيحة على الجبال فهلك فيها كل شيء حي .. هي صرخة واحدة .. لم يكد أولها يبدأ وآخرها يجيء حتى كان كفار قوم صالح قد صعقوا جميعا صعقة واحدة .. هلكوا جميعا قبل أن يدركوا ما حدث .. أما الذين آمنوا بسيدنا صالح ، فكانوا قد غادروا المكان مع نبيهم ونجوا .

---

[1] سورة هود آية ٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا إبراهيم عليه السلام

- **نبذة :**

هو خليل الله .. اصطفاه الله برسالته وفَضَّلَهُ على كثير من خلقه .. كان سيدنا إبراهيم يعيش في قوم يعبدون الكواكب ، فلم يكن يرضيه ذلك ، وأحس بفطرته أن هناك إلها أعظم حتى هداه الله واصطفاه برسالته .. وأخذ سيدنا إبراهيم يدعو قومه لوحدانية الله وعبادته ولكنهم كذبوه وحاولوا إحراقه فأنجاه الله من بين أيديهم .. جعل الله الأنبياء من نسل سيدنا إبراهيم فولد له سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق .. قام سيدنا إبراهيم ببناء الكعبة مع سيدنا إسماعيل .

- **منزلة سيدنا إبراهيم عليه السلام :**

هو أحد أولي العزم الخمسة الكبار الذين أخذ الله منهم ميثاقا غليظا ، وهم : سيدنا نوح ، وسيدنا إبراهيم ، وسيدنا موسى ، وسيدنا عيسى ، وسيدنا محمد .. عليهم جميعا الصلاة والسلام .. بترتيب بعثهم . وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين .. بلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب .. ورغم حدة الشدة وعنت البلاء كان سيدنا إبراهيم هو العبد الدي وَفَّى .. وزاد على الوفاء بالإحسان . وقد كرم الله تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم تكريما خاصا ، فجعل ملته هي التوحيد الخالص النقي من الشوائب .. وجعل العقل في جانب الذين يتبعون دينه .

وكان من فضل الله على سيدنا إبراهيم أن جعله الله إماما للناس .. وجعل في ذريته النبوة والكتاب .. فكل الأنبياء من بعد سيدنا إبراهيم هم من نسله فهم أولاده وأحفاده .. حتى إذا جاء آخر الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، جاء تحقيقا واستجابة لدعوة سيدنا إبراهيم التي دعا الله فيها أن يبعث في الأميين رسولا منهم .

ولو مضينا نبحث في فضل سيدنا إبراهيم وتكريم الله له فسوف نمتلئ بالدهشة .. نحن أمام بشر جاء ربه بقلب سليم .. إنسان لم يكد الله يقول له أسلم حتى قال أسلمت لرب العالمين .. نبي هو أول من سمانا المسلمين .. نبي كان جدا وأبا لكل أنبياء الله الذين جاءوا بعده .. نبي هادئ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متسامح حليم أواه منيب .

يذكر لنا ربنا ذو الجلال والإكرام أمرا آخر أفضل من كل ما سبق .. فيقول الله عز وجل في محكم آياته : ((وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا)) [1] لم يرد في كتاب الله ذكر لنبي اتخذه الله خليلا غير إبراهيم .. قال العلماء : الخُلَّة هي شدة المحبة .. وبذلك تعني الآية : واتخذ الله إبراهيم حبيبا .. فوق هذه القمة الشامخة يجلس سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .. إن منتهى أمل السالكين ، وغاية هدف المحققين والعارفين بالله ، أن يحبوا الله عز وجل .. أما أن يحلم أحدهم أن يحبه الله ، أن يفرده بالحب ، أن يختصه بالخُلَّة وهي شدة المحبة ، فذلك شيء وراء آفاق التصور.. كان سيدنا إبراهيم هو هذا العبد الرباني الذي استحق أن يتخذه الله خليلا .

- **حال المشركين قبل بعثة سيدنا إبراهيم :**

لا يتحدث القرآن عن ميلاده أو طفولته ، ولا يتوقف عند عصره صراحة ، ولكنه يرسم صورة لجو الحياة في أيامه ، فتدب الحياة في عصره ، وترى الناس قد انقسموا ثلاث فئات :

١- فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية .

٢- وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر .

٣- وفئة تعبد الملوك والحكام .

- **نشأة سيدنا إبراهيم عليه السلام :**

وفي هذا الجو ولد سيدنا إبراهيم .. ولد في أسرة من أسر ذلك الزمان البعيد .. لم يكن رب الأسرة كافرا عاديا من عبدة الأصنام ، كان كافرا متميزا يصنع بيديه تماثيل الآلهة .. وقيل أن أباه مات قبل ولادته فرباه عمه ، وكان له بمثابة الأب ، وكان سيدنا إبراهيم يدعوه بلفظ الأبوة ، وقيل أن أباه لم يمت وكان آزر هو والده حقا ، وقيل أن آزر اسم صنم اشتهر أبوه بصناعته .. ومهما يكن من أمر فقد ولد سيدنا إبراهيم في هذه الأسرة .

---

[1] سورة النساء آية ١٢٥ .

رب الأسرة أعظم نحات يصنع تماثيل الآلهة .. ومهنة الأب تضفي عليه قداسة خاصة في قومه ، وتجعل لأسرته كلها مكانا ممتازا في المجتمع .. هي أسرة مرموقة ، أسرة من الصفوة الحاكمة .

من هذه الأسرة المقدسة ولد طفل قدر له أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه وضد ظنون الكهنة وضد العروش القائمة وضد عبدة النجوم والكواكب وضد كل أنواع الشرك باختصار .

مرت الأيام .. وكبر سيدنا إبراهيم .. كان قلبه يمتلأ من طفولته بكراهية صادقة لهذه التماثيل التي يصنعها والده .. لم يكن يفهم كيف يمكن لإنسان عاقل أن يصنع بيديه تمثالا ، ثم يسجد بعد ذلك لما صنع بيديه .. لاحظ سيدنا إبراهيم إن هذه التماثيل لا تشرب ولا تأكل ولا تتكلم ولا تستطيع أن تعتدل لو قلبها أحد على جنبها .. كيف يتصور الناس أن هذه التماثيل تضر وتنفع ؟!

- **مواجهة عبدة الكواكب والنجوم :**

قرر سيدنا إبراهيم عليه السلام مواجهة عبدة النجوم من قومه ، فأعلن عندما رأى أحد الكواكب في الليل ، أن هذا الكوكب ربه .. ويبدو أن قومه اطمأنوا له ، وحسبوا أنه يرفض عبادة التماثيل ويهوى عبادة الكواكب .. وكانت الملاحدة حرة بين الوثنيات الثلاث : عبادة التماثيل والنجوم والملوك .. غير أن سيدنا إبراهيم كان يدخر لقومه مفاجأة مذهلة في الصباح .. لقد أفل الكوكب الذي التحق بديانته بالأمس ، وسيدنا إبراهيم لا يحب الآفلين .. فعاد سيدنا إبراهيم في الليلة الثانية يعلن لقومه أن القمر ربه .. لم يكن قومه على درجة كافية من الذكاء ليدركوا أنه يسخر منهم برفق ولطف وحب .. كيف يعبدون ربا يختفي ثم يظهر ، يأفل ثم يشرق .. لم يفهم قومه هذا في المرة الأولى فكرره مع القمر .. لكن القمر كالزهرة كأي كوكب آخر يظهر ويختفي .. فقال سيدنا إبراهيم عندما أفل القمر : ((لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)) [1]

نلاحظ هنا أنه عندما يحدث قومه عن رفضه لألوهية القمر .. فإنه يمزق العقيدة القمرية بهدوء ولطف .. كيف يعبد الناس ربا يختفي ويأفل؟! . ((لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي)) يفهمهم أن له ربا غير

[1] سورة الأنعام آية ٧٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كل ما يعبدون .. غير أن اللفتة لا تصل إليهم .. ويعاود سيدنا إبراهيم محاولته في إقامة الحجة على الفئة الأولى من قومه .. عبدة الكواكب والنجوم .. فيعلن أن الشمس ربه لأنها أكبر من القمر .. وما أن غابت الشمس حتى أعلن براءته من عبادة النجوم والكواكب .. فكلها مخلوقات تأفل .. وأنهى جولته الأولى بتوجيهه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفا .. ليس مشركا مثلهم .

استطاعت حجة سيدنا إبراهيم أن تظهر الحق .. وبدأ صراع قومه معه .. لم يسكت عنه عبدة النجوم والكواكب .. بدءوا جدالهم وتخويفهم له وتهديده .. ورد سيدنا إبراهيم عليهم قال : ((أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١)) [1] .

لا نعرف رهبة الهجوم عليه ، ولا حدة الصراع ضده ، ولا أسلوب قومه الذي اتبعه معه لتخويفه .. تجاوز القرآن هذا كله إلى رده هو .. كان جدالهم باطلا فأسقطه القرآن من القصة ، وذكر رد سيدنا إبراهيم المنطقي العاقل .. كيف يخوفونه ولا يخافون هم ؟ أي الفريقين أحق بالأمن ؟

بعد أن بين سيدنا إبراهيم عليه السلام حجته لفئة عبدة النجوم والكواكب ، استعد لتبيين حجته لعبدة الأصنام .. آتاه الله الحجة في المرة الأولى كما سيؤتيه الحجة في كل مرة .

سبحانه .. كان يؤيد سيدنا إبراهيم ويريه ملكوت السماوات والأرض .. لم يكن معه غير إسلامه حين بدأ صراعه مع عبدة الأصنام .. هذه المرة يأخذ الصراع شكلا أعظم حدة .. أبوه في الموضوع .. هذه مهنة الأب وسر مكانته وموضع تصديق القوم .. وهي العبادة التي تتبعها الأغلبية .

---

[1] سورة الأنعام .

● **مواجهة عبدة الأصنام :**

خرج سيدنا إبراهيم على قومه بدعوته .. فتحدث إليهم بحسم غاضب وغيرة على الحق : ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾)) [1] .

انتهى الأمر وبدأ الصراع بين سيدنا إبراهيم وقومه .. كان أشدهم ذهولا وغضبا هو أباه أو عمه الذي رباه كأب .. واشتبك الأب والابن في الصراع .. فصلت بينهما المبادئ فاختلفا.. الابن يقف مع الله ، والأب يقف مع الباطل .

قال الأب لابنه : مصيبتي فيك كبيرة يا إبراهيم .. لقد خذلتني وأسأت إليّ .

قال سيدنا إبراهيم : ((يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾)) [2] .

انتفض الأب واقفا وهو يرتعش من الغضب ، قال لسيدنا إبراهيم وهو ثائر : إذا لم تتوقف عن دعوتك هذه فسوف أرجمك ، سأقتلك ضربا بالحجارة ، هذا جزاء من يقف ضد الآلهة ، اخرج من بيتي ، لا أريد أن أراك ، اخرج .

انتهى الأمر وأسفر الصراع عن طرد سيدنا إبراهيم من بيته ، كما أسفر عن تهديده بالقتل رميا بالحجارة .. رغم ذلك تصرف سيدنا إبراهيم كابن بار ونبي كريم .. خاطب أباه بأدب الأنبياء فقال لأبيه ردا على الإهانات والتجريح والطرد والتهديد بالقتل : ((قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ

---

[1] سورة الأنبياء .

[2] سورة مريم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾)) [1] .

وخرج سيدنا إبراهيم من بيت أبيه .. هجر قومه وما يعبدون من دون الله .. وقرر في نفسه أمرا : كان يعرف أن هناك احتفالا عظيما يقام على الضفة الأخرى من النهر ، وينصرف الناس جميعا إليه ، وانتظر حتى جاء الاحتفال وخلت المدينة التي يعيش فيها من الناس .

وخرج سيدنا إبراهيم حذرا وهو يقصد بخطاه المعبد .. كانت الشوارع المؤدية إلى المعبد خالية .. وكان المعبد نفسه مهجورا .. انتقل كل الناس إلى الاحتفال .. دخل سيدنا إبراهيم المعبد ومعه فأس حادة .. نظر إلى تماثيل الآلهة المنحوتة من الصخر والخشب ، نظر إلى الطعام الذي وضعه الناس أمامها كنذور وهدايا ، اقترب سيدنا إبراهيم من التماثيل وسألهم : ((أَلَا تَأْكُلُونَ)) [2] كان يسخر منهم ويعرف أنهم لا يأكلون .. وعاد يسأل التماثيل : ((مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ)) [3] ثم هوى بفأسه على الآلهة .

وتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة .. إلا كبير الأصنام فقد تركه سيدنا إبراهيم لهم ((لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ)) [4] فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة ! ولعلهم حينئذ يراجعون القضية كلها ، فيرجعون إلى صوابهم .

إلا أن قوم إبراهيم الذين عطّلت الخرافة عقولهم عن التفكير ، وغلّ التقليد أفكارهم عن التأمل والتدبر ، لم يسألوا أنفسهم : إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئا ؟! وهذا كبيرها كيف لم يدفع عنها ؟! وبدلا من ذلك قالوا : ((مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)) [5] .. عندئذ تذكر الذين سمعوا سيدنا إبراهيم ينكر على أبيه ومن معه

---

[1] سورة مريم .
[2] سورة الصافات آية ٩١ .
[3] سورة الصافات آية ٩٢ .
[4] سورة الأنبياء آية ٥٨ .
[5] سورة الأنبياء آية ٥٩ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عبادة التماثيل ، ويتوعدهم أن يكيد لآلهتهم بعد انصرافهم عنها ! .. فأحضروا سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وتجمّع الناس ، وسألوه : ((ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ)) ؟ [١] ، فأجابهم سيدنا إبراهيم : ((بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ)) [٢] .. والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر .. فلا داعي لتسمية هذه كذبة من سيدنا إبراهيم عليه السلام والبحث عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون .. فالأمر أيسر من هذا بكثير! .. إنما أراد أن يقول لهم : إن هذه التماثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكا ، فهي جماد لا إدراك له أصلا ، وأنتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل ، فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم أن هذا التمثال هو الذي حطمها ! .

ويبدو أن هذا التهكم الساخر قد هزهم هزا ، وردهم إلى شيء من التدبر والتفكر : ((فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٦٤)) [٣] .

وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخف ، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم ، وأن تتفتح بصيرتهم لأول مرة فيتدبروا ذلك السخف الذي يأخذون به أنفسهم ، وذلك الظلم الذي هم فيه قائمون .. ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام ، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود : ((ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥)) [٤] .

وحقا كانت الأولى رجعة إلى النفوس ، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس ؛ كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب .. كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر .. أما الثانية فكانت انقلابا على الرأس فلا عقل ولا تفكير .. وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم .. وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون ؟!

---

[١] سورة الأنبياء آية ٦٢ .
[٢] سورة الأنبياء آية ٦٣ .
[٣] سورة الأنبياء آية ٦٤ .
[٤] سورة الأنبياء آية ٦٥ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن ثم يجيبهم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم ، لأن السخف هنا يجاوز صبر الحليم : ((قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧)) [1] .. وهي قولة يظهر فيها ضيق الصدر وغيظ النفس ، والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف .

عند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائما حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل ، فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ : ((قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ۝٦٨)) [2] .

- **نجاة سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار :**

وفعلا.. بدأ الاستعداد لإحراق سيدنا إبراهيم .. انتشر النبأ في المملكة كلها .. وجاء الناس من القرى والجبال والمدن ليشهدوا عقاب الذي تجرأ على الآلهة وحطمها واعترف بذلك وسخر من الكهنة .. وحفروا حفرة عظيمة ملئوها بالحطب والخشب والأشجار ، وأشعلوا فيها النار .. وأحصروا المنجنيق وهو آلة جبارة ليقذفوا سيدنا إبراهيم فيها فيسقط في حفرة النار.. ووضعوا سيدنا إبراهيم بعد أن قيدوا يديه وقدميه في المنجنيق .. واشتعلت النار في الحفرة وتصاعد اللهب إلى السماء .. وكان الناس يقفون بعيدا عن الحفرة من فرط الحرارة اللاهبة .. وأصدر كبير الكهنة أمره بإطلاق سيدنا إبراهيم في النار .

جاء جبريل عليه السلام ووقف عند رأس سيدنا إبراهيم وسأله : يا إبراهيم .. ألك حاجة ؟

قال إبراهيم : أما إليك فلا .. وأما من الله فعلمه بحالي يغني عن سؤالي .

انطلق المنجنيق ملقيا سيدنا إبراهيم في حفرة النار .. كانت النار موجودة في مكانها ، ولكنها لم تكن تمارس وظيفتها في الإحراق .. فقد أصدر الله جل جلاله إلى النار أمره بأن تكون ((بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ)) .. أحرقت النار قيوده فقط .. وجلس سيدنا إبراهيم وسطها كأنه يجلس

---

[1] سورة الأنبياء آية ٦٦ ، ٦٧ .

[2] سورة الأنبياء آية ٦٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسط حديقة .. كان يسبّح بحمد ربه ويمجّده .. لم يكن في قلبه مكان خال يمكن أن يمتلئ بالخوف أو الرهبة أو الجزع .. كان القلب مليئا بالحب وحده .. ومات الخوف .. وتلاشت الرهبة .. وتحولت النار إلى سلام بارد يلطف عنه حرارة الجو .

جلس الكهنة والناس يرقبون النار من بعيد .. كانت حرارتها تصل إليهم على الرغم من بعدهم عنها .. وظلت النار تشتعل فترة طويلة حتى ظن الكافرون أنها لن تنطفئ أبدا .. فلما انطفأت فوجئوا بسيدنا إبراهيم يخرج من الحفرة سليما كما دخل .. ووجهه يتلألأ بالنور والجلال .. وثيابه كما هي لم تحترق .. وليس عليه أي أثر للدخان أو الحريق .. خرج سيدنا إبراهيم من النار كما لو كان يخرج من حديقة .. وتصاعدت صيحات الدهشة الكافرة .. خسروا جولتهم خسارة مريرة وساخرة .. ((وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ)) [1] .. لا يحدثنا القرآن الكريم عن عمر سيدنا إبراهيم حين حطم أصنام قومه ، لا يحدثنا عن السن التي كلف فيها بالدعوة إلى الله .. ويبدو من استقراء النصوص القديمة أن سيدنا إبراهيم كان شابا صغيرا حين فعل ذلك ، بدليل قول قومه عنه : ((سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ)) [2] . وكلمة الفتى تطلق على السن التي تسبق العشرين .

- **مواجهة عبدة الملوك :**

إن زمن اصطفاء الله تعالى لسيدنا إبراهيم غير محدد في القرآن .. وبالتالي فنحن لا نستطيع أن نقطع فيه بجواب نهائي .. كل ما نستطيع أن نقطع فيه برأي هو أن سيدنا إبراهيم أقام الحجة على عبدة التماثيل بشكل قاطع ، كما أقامها على عبدة النجوم والكواكب من قبل بشكل حاسم ، ولم يبق إلا أن تقام الحجة على الملوك المتألهين وعبادهم .. وبذلك تقوم الحجة على جميع الكافرين . فذهب سيدنا إبراهيم عليه السلام لملك متألّه كان في زمانه .. وتجاوز القرآن اسم الملك لانعدام أهميته ، لكن روي أن الملك المعاصر لسيدنا إبراهيم كان يلقب (بالنمرود) وهو ملك الآراميين بالعراق .. كما تجاوز حقيقة مشاعره ، كما تجاوز الحوار الطويل الذي دار بين سيدنا إبراهيم وبينه .. لكن

[1] سورة الأنبياء آية ٧٠ .
[2] سورة الأنبياء آية ٦٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله تعالى في كتابه الحكيم أخبرنا الحجة الأولى التي أقامها سيدنا إبراهيم عليه السلام على الملك الطاغية ، فقال سيدنا إبراهيم بهدوء : ((رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ)) [1] .. قال الملك : ((أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ)) ، أستطيع أن أحضر رجلا يسير في الشارع وأقتله ، وأستطيع أن أعفو عن محكوم عليه بالإعدام وأنجيه من الموت ، وبذلك أكون قادرا على الحياة والموت .. لم يجادل سيدنا إبراهيم الملك لسذاجة ما يقول ، غير أنه أراد أن يثبت للملك أنه يتوهم في نفسه القدرة وهو في الحقيقة ليس قادرا .. فقال سيدنا إبراهيم : ((فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ)) .. استمع الملك إلى تحدي سيدنا إبراهيم صامتا .. فلما انتهى كلام النبي بهت الملك .. أحس بالعجز و لم يستطع أن يجيب .. لقد أثبت له سيدنا إبراهيم أنه كاذب .. قال له إن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فهل يستطيع هو أن يأتي بها من المغرب .. إن للكون نظما وقوانين يمشي طبقا لها .. قوانين خلقها الله ولا يستطيع أي مخلوق أن يتحكم فيها .. ولو كان الملك صادقا في ادعائه الألوهية فليغير نظام الكون وقوانينه .. ساعتها أحس الملك بالعجز ، وأخرسه التحدي ، و لم يعرف ماذا يقول ، ولا كيف يتصرف .. انصرف سيدنا إبراهيم من قصر الملك بعد أن بهت الذي كفر .

- **هجرة سيدنا إبراهيم عليه السلام :**

انطلقت شهرة سيدنا إبراهيم في المملكة كلها .. تحدث الناس عن معجزته ونجاته من النار، وتحدث الناس عن موقفه مع الملك وكيف أخرس الملك فلم يعرف ماذا يقول .. واستمر سيدنا إبراهيم في دعوته لله تعالى .. بذل جهده ليهدي قومه ، حاول إقناعهم بكل الوسائل ، ورغم حبه لهم وحرصه عليهم فقد غضب قومه وهجروه ، و لم يؤمن معه من قومه سوى امرأة ورجل واحد .. امرأة تسمى سارة ، وقد صارت فيما بعد زوجته ، ورجل هو لوط ، وقد صار نبيا فيما بعد .. وحين أدرك سيدنا إبراهيم أن أحدا لن يؤمن بدعوته قرر الهجرة .

قبل أن يهاجر، دعا والده للإيمان ، ثم تبين لسيدنا إبراهيم أن والده عدو لله ، وأنه لا ينوي الإيمان ،

---

[1] سورة البقرة آية ٢٥٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فتبرأ منه وقطع علاقته به .

للمرة الثانية في قصص الأنبياء نصادف هذه المفاجأة .. في قصة سيدنا نوح كان الأب نبيا والابن كافرا ، وفي قصة سيدنا إبراهيم كان الأب كافرا والابن نبيا .. وفي القصتين نرى المؤمن يعلن براءته من عدو الله رغم كونه ابنه أو والده .. وكأن الله يفهمنا من خلال القصة أن العلاقة الوحيدة التي ينبغي أن تقوم عليها الروابط بين الناس هي علاقة الإيمان لا علاقة الميلاد والدم .

خرج سيدنا إبراهيم عليه السلام من بلده وبدأ هجرته .. سافر إلى مدينة تدعى أور ، ومدينة تسمى حاران .. ثم رحل إلى فلسطين ومعه زوجته ، المرأة الوحيدة التي آمنت به .. وصحب معه لوطا ، الرجل الوحيد الذي آمن به .

بعد فلسطين ذهب سيدنا إبراهيم إلى مصر .. وطوال هذا الوقت وخلال هذه الرحلات كلها كان يدعو الناس إلى عبادة الله ، ويحارب في سبيله ، ويخدم الضعفاء والفقراء ، ويعدل بين الناس ويهديهم إلى الحقيقة والحق .

وتأتي بعض الروايات لتبين قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة وموقفهما مع ملك مصر . فتقول : وصلت الأخبار لملك مصر بوصول رجل لمصر معه أمرأة هي أجمل نساء الأرض .. فطمع بها .. وأرسل جنوده ليأتونه بهذه المرأة .. وأمرهم بأن يسألوا عن الرجل الذي معها، فإن كان زوجها فليقتلوه .. فجاء الوحي لسيدنا إبراهيم عليه السلام بذلك .. فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام لسارة إن سألوك عني فأنت أختي – أي أخته في الله – وقال لها ما على هذه الأرض مؤمن غيري وغيرك – فكل أهل مصر كفرة ، ليس فيها موحد لله عز وجل .. فجاء الجنود وسألوا سيدنا إبراهيم : ما تكون هذه منك ؟ ، قال : أختي .

لنقف هنا قليلا .. قال سيدنا إبراهيم حينما قال لقومه (إني سقيم) و (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوه) و (هي أختي) .. كلها كلمات تحتمل التأويل .. لكن مع هذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام خائفا جدا من حسابه على هذه الكلمات يوم القيامة .. فعندما يذهب البشر له يوم القيامة ليدعوا الله أن يبدأ الحساب يقول لهم : لا .. إني كذبت على ربي ثلاث مرات .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونجد أن البشر الآن يكذبون أمام الناس من غير استحياء ولا خوف من خالقهم .

لما عرفت سارة أن ملك مصر فاجر ويريدها له أخذت تدعو الله قائلة : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلاَّ عَلَى زَوْجِي فَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ .. فلما أدخلوها عليه مَدَّ يده إليها ليلمسها فَشُلَّ وتجمدت يده في مكانها ، فبدأ بالصراخ لأنه لم يعد يستطيع تحريكها ، وجاء أعوانه لمساعدته لكنهم لم يستطيعوا فعل شيء. فخافت سارة على نفسها أن يقتلوها بسبب ما فعلته بالملك ، فقالت : يا رب اتركه لا يقتلوني به . فاستجاب الله لدعائها .. لكن الملك لم يتب وظن أن ما حدث كان أمرا عابرا وذهب .. فهجم عليها مرة أخرى ، فَشُلَّ مرة ثانية .. فقال : فكيني .. فدعت الله تعالى فَفَكَّه .. فمد يده ثالثة فَشُلَّ .. فقال : فكيني وأطلقك وأكرمك .. فدعت الله سبحانه وتعالى فَفُك .. فصرخ الملك بأعوانه : أبعدوها عني فإنكم لم تأتوني بإنسان بل أتيتموني بشيطان .. فأطلقها وأعطاها شيئا من الذهب ، كما أعطاها أَمَةً اسمها "هَاجَر" .

هذه الرواية مشهورة عن دخول سيدنا إبراهيم عليه السلام لمصر .

وكانت زوجته سارة لا تلد .. وكان ملك مصر قد أهداها سيدة مصرية لتكون في خدمتها .. وكان سيدنا إبراهيم قد صار شيخا ، وابيض شعره من خلال عمر أنفقه في الدعوة إلى الله .. وفكرت سارة : إنها وإبراهيم وحيدان ، وهي لا تنجب أولادا ، ماذا لو قدمت له السيدة المصرية لتكون زوجة لزوجها ؟ .. وكان اسم المصرية "هاجر" .. وهكذا زوجت سارة سيدنا إبراهيم من هاجر ، وولدت هاجر ابنها الأول فأطلق والده عليه اسم "إسماعيل" .. كان إبراهيم شيخا حين ولدت له هاجر أول أبنائه إسماعيل .

ولسنا نعرف أبعاد المسافات التي قطعها سيدنا إبراهيم في رحلته إلى الله .. كان دائما هو المسافر إلى الله .. سواء استقر به المقام في بيته أو حملته خطواته سائحا في الأرض .. مسافر إلى الله يعلم إنها أيام على الأرض وبعدها يجيء الموت ثم ينفخ في الصور وتقوم قيامة الأموات ويقع البعث .

- **إحياء الموتى :**

ملأ اليوم الآخر قلب سيدنا إبراهيم بالسلام والحب واليقين .. وأراد أن يرى يوما كيف يحيي الله عز وجل الموتى .. حكى الله هذا الموقف في سورة (البقرة) .. قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى)) .. لا تكون هذه الرغبة في طمأنينة القلب مع الإيمان إلا درجة من درجات الحب لله .. ((قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) .. فعل سيدنا إبراهيم ما أمره به الله ..ذبح أربعة من الطير وفرق أجزاءها على الجبال .. ودعاها باسم الله فنهض الريش يلحق بجناحه ، وبحثت الصدور عن رؤوسها ، وتطايرت أجزاء الطير مندفعة نحو الالتحام ، والتقت الضلوع بالقلوب ، وسارعت الأجزاء الذبيحة للالتئام ، ودبت الحياة في الطير ، وجاءت طائرة مسرعة ترمي بنفسها في أحضان سيدنا إبراهيم ..اعتقد بعض المفسرين إن هذه التجربة كانت حب استطلاع من سيدنا إبراهيم .. واعتقد بعضهم أنه أراد أن يرى يد ذي الجلال الخالق وهي تعمل ، فلم ير الأسلوب وإن رأى النتيجة .. واعتقد بعض المفسرين أنه اكتفى بما قاله له الله و لم يذبح الطير .. ونعتقد أن هذه التجربة كانت درجة من درجات الحب قطعها المسافر إلى الله .. ألا وهو سيدنا إبراهيم .

- **رحلة سيدنا إبراهيم مع هاجر وإسماعيل لوادي مكة :**

استيقظ سيدنا إبراهيم يوما فأمر زوجته هاجر أن تحمل ابنها وتستعد لرحلة طويلة .. وبعد أيام بدأت رحلة سيدنا إبراهيم مع زوجته هاجر ومعهما ابنهما سيدنا إسماعيل .. وكان الطفل رضيعا لم يفطم بعد .. وظل سيدنا إبراهيم يسير وسط أرض مزروعة تأتي بعدها صحراء تجيء بعدها جبال .. حتى دخل إلى صحراء الجزيرة العربية .. وقصد سيدنا إبراهيم واديا ليس فيه زرع ولا ثمر ولا شجر ولا طعام ولا مياه ولا شراب .. كان الوادي يخلو تماما من علامات الحياة .. وصل سيدنا إبراهيم إلى الوادي ، وهبط من فوق ظهر دابته ، وأنزل زوجته وابنه وتركهما هناك ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ترك معهما جرابا فيه بعض الطعام ، وقليلا من الماء ، ثم استدار وتركهما وسار .

أسرعت خلفه زوجته وهي تقول له : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بـــهذا الوادي الذي ليس فيه شيء ؟ .. لم يرد عليها سيدنا إبراهيم .. ظل يسير .. عادت تقول له ما قالته وهو صـــامت .. أخيرا فهمت أنه لا يتصرف هكذا من نفسه .. أدركت أن الله أمره بذلك ، وسألته : هـــل الله أمرك بـــهذا ؟ .. قال سيدنا إبراهيم عليه السلام : نعم .. قالت زوجته المؤمنة العظيمة : لن نضيع ما دام الله معنا وهو الذي أمرك بـــهذا .. وسار سيدنا إبراهيم حتى إذا أخفاه جبل عنهما وقـــف ورفع يديه الكريمتين إلى السماء وراح يدعو الله : ((رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ)) [1] .

لم يكن بيت الله قد أعيد بناؤه بعد ، لم تكن الكعبة قد بنيت .. وكانت هناك حكمة عليا في هذه التصرفات الغامضة .. فقد كان سيدنا إسماعيل الطفل الذي ترك مع أمه في هذا المكان ، كان هذا الطفل هو الذي سيصير مسئولا مع والده عن بناء الكعبة فيما بعد .. وكانت حكمة الله تقضي أن يمتد العمران إلى هذا الوادي ، وأن يقام فيه بيت الله الذي نتجه جميعا إليه أثناء الصلاة بوجوهنا .

ترك سيدنا إبراهيم زوجته وابنه الرضيع في الصحراء وعاد راجعا إلى كفاحـــه في دعـــوة الله .. أرضعت أم إسماعيل ابنها وأحست بالعطش .. كانت الشمس ملتهبة وساخنة وتثير الإحســـاس بالعطش .. بعد يومين انتهى الماء تماما ، وجف لبن الأم .. وأحست هاجر وإسماعيل بالعطش .. كان الطعام قد انتهى هو الآخر .. وبدا الموقف صعبا وحرجا للغاية .

- **ماء زمزم :**

بدأ إسماعيل يبكي من العطش .. وتركته أمه وانطلقت تبحث عن ماء .. راحـــت تمشـــي مسرعة حتى وصلت إلى جبل اسمه "الصفا" .. فصعدت إليه وراحت تبحث لهما عـــن بئـــر أو إنسان أو قافلة .. لم يكن هناك شيء .. ونزلت مسرعة من الصفا حتى إذا وصلت إلى الـــوادي راحت تسعى سَعْي الإنسان المجهد حتى جاوزت الوادي ووصلت إلى جبل "المروة" ، فصعدت

[1] سورة ابراهيم آية ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إليه ونظرت لترى أحدا لكنها لم تر أحدا .. وعادت الأم إلى طفلها فوجدته يبكي وقد اشتد عطشه .. وأسرعت إلى الصفا فوقفت عليه ، وهرولت إلى المروة فنظرت من فوقه .. وراحت تذهب وتجيء سبع مرات بين الجبلين الصغيرين .. سبع مرات وهي تذهب وتعود .. ولهذا يذهب الحجاج سبع مرات ويعودون بين الصفا والمروة إحياء لذكريات أمهم الأولى ونبيهم العظيم سيدنا إسماعيل .. عادت هاجر بعد المرة السابعة وهي مجهدة متعبة تلهث .. وجلست بجوار ابنها الذي كان صوته قد بح من البكاء والعطش .

وفي هذه اللحظة اليائسة أدركتها رحمة الله .. وضرب إسماعيل بقدمه الأرض وهو يبكي فانفجرت تحت قدمه بئر زمزم .. وفار الماء من البئر .. أُنقذت حياتا الطفل والأم .. راحت الأم تغرف بيدها وهي تشكر الله .. وشربت وسقت طفلها وبدأت الحياة تدب في المنطقة .. صَدَقَ ظَنُّها حين قالت : لن نضيع ما دام الله معنا .

وبدأت بعض القوافل تستقر في المنطقة .. وجذب الماء الذي انفجر من بئر زمزم عديدا من الناس .. وبدأ العمران يبسط أجنحته على المكان .

- **الأمر بذبح سيدنا إسماعيل عليه السلام :**

كبر سيدنا إسماعيل .. وتعلق به قلب سيدنا إبراهيم .. جاءه العقب على كبر فأحبه .. وابتلى الله تعالى إبراهيم بلاء عظيما بسبب هذا الحب .. فقد رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه الوحيد إسماعيل .. وسيدنا إبراهيم يعلم أن رؤيا الأنبياء وحي .

انظر كيف يختبر الله عباده .. تأمل أي نوع من أنواع الاختبار .. نحن أمام نبي قلبه أرحم قلب في الأرض .. اتسع قلبه لحب الله وحب من خلق .. جاءه ابن على كبر .. وقد طعن هو في السن ولا أمل هناك في أن ينجب .. ثم ها هو ذا يستسلم للنوم فيرى في المنام أنه يذبح ابنه وبكره ووحيده الذي ليس له غيره ..

أي نوع من الصراع نشب في نفسه .. يخطئ من يظن أن صراعا لم ينشأ قط .. لا يكون بلاء مبينا هذا المؤقف الذي يخلو من الصراع .. نشب الصراع في نفس سيدنا إبراهيم .. صراع أثارته

www.alukah.net

عاطفة الأبوة الحانية .. لكن سيدنا إبراهيم لم يسأل عن السبب وراء ذبح ابنه .. فليس سيدنا إبراهيم من يسأل ربه عن أوامره .

فكر سيدنا إبراهيم في ولده .. ماذا يقول له إذا أرقده على الأرض ليذبحه .. الأفضل أن يقول لولده ليكون ذلك أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قهرا ويذبحه قهرا .. هذا أفضل .. انتهى الأمر وذهب إلى ولده ((قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ)) [1] .. انظر إلى تلطفه في إبلاغ ولده ، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة .. إن الأمر مقضي في نظر سيدنا إبراهيم لأنه وحي من ربه .. فماذا يرى الابن الكريم في ذلك ؟ .. أجاب سيدنا إسماعيل : هذا أمر يا أبي فبادر بتنفيذه ((يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)) .

تأمل رد الابن .. إنسان يعرف أنه سيذبح فيمتثل للأمر الإلهي ويقدم المشيئة ويطمئن والده أنه سيجده ((إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)) هو الصبر على أي حال وعلى كل حال .. وربما استعذب الابن أن يموت ذبحا بأمر من الله .. ها هو ذا سيدنا إبراهيم يكتشف أن ابنه ينافسه في حب الله .. لا نعرف أي مشاعر جاشت في نفس سيدنا إبراهيم بعد استسلام ابنه الصابر .

ينقلنا الحق نقلة خاطفة : فإذا بسيدنا إسماعيل راقد على الأرض ، وجهه في الأرض رحمة به كي لا يرى نفسه وهو يذبح .. وإذا بسيدنا إبراهيم يرفع يده بالسكين .. وإذا أمر الله مطاع .. ((فَلَمَّآ أَسْلَمَا)) [2] استخدم القرآن هذا التعبير ((فَلَمَّآ أَسْلَمَا)) هذا هو الإسلام الحقيقي .. تعطي كل شيء ، فلا يتبقى منك شيء .

عندئذ فقط .. وفي اللحظة التي كان السكين فيها يتهيأ لإمضاء أمره .. نادى الله سيدنا إبراهيم .. انتهى اختباره .. وفدى الله سيدنا إسماعيل بذبح عظيم .. وصار اليوم عيدا لقوم لم يولدوا بعد ، هم المسلمون .. صارت هذه اللحظات عيدا للمسلمين .. عيدا يذكرهم بمعنى الإسلام الحقيقي الذي كان عليه سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل .

---

[1] سورة الصافات آية ١٠٢ .

[2] سورة الصافات آية ١٠٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومضت قصة سيدنا إبراهيم .. ترك ولده إسماعيل وعاد يضرب في أرض الله داعيا إليه ، خليلا له وحده .. ومرت الأيام .. كان سيدنا إبراهيم قد هاجر من أرض الكلدانيين مسقط رأسه في العراق وعبر الأردن وسكن في أرض كنعان في البادية .. و لم يكن سيدنا إبراهيم ينسى خلال دعوته إلى الله أن يسأل عن أخبار سيدنا لوط مع قومه .. وكان سيدنا لوط أول من آمن به ، وقد أنابه الله بأن بعثه نبيا إلى قوم من الفاجرين العصاة .

- **البشرى بإسحاق :**

كان سيدنا إبراهيم جالس لوحده .. في هذه اللحظة ، هبطت على الأرض أقدام ثلاثة من الملائكة : جبريل وإسرافيل وميكائيل .. يتشكلون في صور بشرية من الجمال الخارق .. ساروا صامتين .. مهمتهم مزودجة : المرور على سيدنا إبراهيم وتبشيره ، ثم زيارة قوم لوط ووضع حد لجرائمهم .. سار الملائكة الثلاثة قليلا .. ألقى أحدهم حصاة أمام سيدنا إبراهيم .. رفع إبراهيم رأسه .. تأمل وجوههم .. لا يعرف أحدا فيهم .. بادروه بالتحية ، قالوا : سلاما .. قال : سلام . نهض سيدنا إبراهيم ورحب بهم .. أدخلهم بيته وهو يظن أنهم ضيوف وغرباء .. أجلسهم واطمأن أنهم قد اطمأنوا ، ثم استأذن وخرج .. راغ إلى أهله .

نهضت زوجته سارة حين دخل عليها .. كانت عجوزا قد ابيض شعرها و لم يعد يتوهج بالشباب فيها غير وميض الإيمان الذي يطل من عينيها .. قال سيدنا إبراهيم لزوجته : زارنا ثلاثة غرباء .. سألته : من يكونون ؟ .. قال : لا أعرف أحدا فيهم ، وجوه غريبة على المكان ، لا ريب أنهم من مكان بعيد ، غير أن ملابسهم لا تدل على السفر الطويل ، أي طعام جاهز لدينا ؟ .. قالت : نصف شاة .. قال وهو يهم بالانصراف : نصف شاة .. اذبحي لهم عجلا سمينا .. هم ضيوف وغرباء ، ليست معهم دواب أو أحمال أو طعام .. ربما كانوا جوعى وربما كانوا فقراء .

اختار سيدنا إبراهيم عجلا سمينا وأمر بذبحه ، فذكروا عليه اسم الله وذبحوه .. وبدأ شواء العجل على الحجارة الساخنة .. وأعدت المائدة .. ودعا سيدنا إبراهيم ضيوفه إلى الطعام .. أشار سيدنا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إبراهيم بيده أن يتفضلوا باسم الله .. وبدأ هو يأكل ليشجعهم .. كان سيدنا إبراهيم كريما يعرف أن الله لا يتخلى عن الكرماء وربما لم يكن في بيته غير هذا العجل ، وضيوفه ثلاثة ونصف شاة يكفيهم ويزيد ، غير أنه كان سيدا عظيم الكرم .. راح سيدنا إبراهيم يأكل ثم استرق النظر إلى ضيوفه ليطمئن أنهم يأكلون .. لاحظ أن أحدا لا يمد يده إلى الطعام .. قرب إليهم الطعام وقال : ألا تأكلون ؟ .. عاد إلى طعامه ثم اختلس إليهم نظرة فوجدهم لا يأكلون .. رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام .. عندئذ ((نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً)) [1] . في تقاليد البادية التي عاش فيها سيدنا إبراهيم ، كان معنى امتناع الضيوف عن الأكل أنهم يقصدون شرا بصاحب البيت .

ولاحظ سيدنا إبراهيم بينه وبين نفسه أكثر من ملاحظة تؤيد غرابة ضيوفه .. لاحظ أنهم دخلوا عليه فجأة .. لم يرهم إلا وهم عند رأسه .. لم يكن معهم دواب تحملهم .. لم تكن معهم أحمال .. وجوههم غريبة تماما عليه .. كانوا مسافرين وليس عليهم أثر لتراب السفر .. ثم ها هو ذا يدعوهم إلى طعامه فيجلسون إلى المائدة ولا يأكلون .. ازداد خوف سيدنا إبراهيم .

كان الملائكة يقرءون أفكاره التي تدور في نفسه ، دون أن يشي بها وجهه .. قال له أحد الملائكة : ((لَا تَخَفْ)) .. رفع سيدنا إبراهيم رأسه وقال بصدق عظيم وبراءة : اعترف إني خائف .. لقد دعوتكم إلى الطعام ورحبت بكم ، ولكنكم لا تمدون أيديكم إليه .. هل تنوون بي شرا ؟ .. ابتسم أحد الملائكة وقال : نحن لا نأكل يا إبراهيم .. نحن ملائكة الله .. وقد ((أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ)) .. فلما نظرت سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت عجبا لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون طعامنا .. التفت إليها أحد الملائكة وبشرها بإسحاق .. صكت العجوز وجهها تعجبا : ((قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝)) [2] .

---

[1] سورة هود آية ٧٠ .

[2] سورة هود آية ٧٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عاد أحد الملائكة يقول لها : ((وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ)) [١] .

جاشت المشاعر في قلب سيدنا إبراهيم وزوجته .. شف جو الحجرة وانسحب خوف سيدنا إبراهيم واحتل قلبه نوع من أنواع الفرح الغريب المختلط .. كانت زوجته العاقر تقف هي الأخرى وهي ترتجف .. إن بشارة الملائكة تهز روحها هزا عميقا .. إنها عجوز عقيم وزوجها شيخ كبير .. كيف؟! .. كيف يمكن؟! .

وسط هذا الجو الندي المضطرب تساءل سيدنا إبراهيم : ((أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ)) [٢] .. أكان يريد أن يسمع البشارة مرة أخرى ؟ .. أكان يريد أن يطمئن قلبه ويسمع للمرة الثانية منة الله عليه ؟ .. أكان ما بنفسه شعورا بشريا يريد أن يستوثق ؟ .. ويهتز بالفرح مرتين بدلا من مرة واحدة ؟ .. أكد له الملائكة أنهم بشروه بالحق .. ((قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾)) [٣]

لم يفهم الملائكة إحساسه البشري ، فنوه عن أن يكون من القانطين ، وأفهمهم أنه ليس قانطا .. إنما هو الفرح .

لم تكن البشرى شيئا بسيطا في حياة سيدنا إبراهيم وزوجته .. لم يكن لسيدنا إبراهيم غير ولد واحد هو سيدنا إسماعيل ، تركه هناك بعيدا في الجزيرة العربية .. ولم تكن زوجته سارة قد أنجبت خلال عشرتها الطويلة لإبراهيم ، وهي التي زوجته من جاريتها هاجر ، ومن هاجر جاء سيدنا إسماعيل .. أما سارة ، فلم يكن لها ولد .. وكان حنينها إلى الولد عظيما ، لم يطفئ مرور الأيام من توهجه .. ثم دخلت شيخوختها واحتضر حلمها ومات .. كانت تقول : إنها مشيئة الله عز وجل .. هكذا أراد الله لها .. وهكذا أراد لزوجها .. ثم ها هي ذي في مغيب العمر تتلقى البشارة .. ستلد غلاما .. ليس هذا فحسب ، بشرتها الملائكة بأن ابنها سيكون له ولد تشهد

---

[١] سورة هود آية ٧١ .

[٢] سورة الحجر آية ٥٤ .

[٣] سورة الحجر .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مولده وتشهد حياته .. لقد صبرت طويلا ثم يئست ثم نسيت .. ثم يجيء جزاء الله مفاجأة تمحو هذا كله في لحظة .

فاضت دموعها وهي تقف .. وأحس سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بإحساس محير .. جاشت نفسه بمشاعر الرحمة والقرب ، وعاد يحس بأنه إزاء نعمة لا يعرف كيف يوفيها حقها من الشكر .. وخرّ سيدنا إبراهيم ساجدا على وجهه .

انتهى الأمر واستقرت البشرى في ذهنيهما معا .. نهض سيدنا إبراهيم من سجوده وقد ذهب عنه خوفه ، واطمأنت حيرته ، وغادره الروع ، وسكنت قلبه البشرى التي حملوها إليه .. وتذكر أنهم أرسلوا إلى قوم لوط .. ولوط ابن أخيه النازح معه من مسقط رأسه ، والساكن على مقربة منه .. وسيدنا إبراهيم يعرف معنى إرسال الملائكة إلى لوط وقومه .. هذا معناه وقوع عذاب مروع .. وطبيعة سيدنا إبراهيم الرحيمة الودودة لا تجعله يطيق هلاك قوم في تسليم .. ربما رجع قوم لوط وأقلعوا وأسلموا وأجابوا رسولهم .

وبدأ إبراهيم يجادل الملائكة في قوم لوط .. حدثهم عن احتمال إيمانهم ورجوعهم عن طريق الفجور، وأفهمه الملائكة أن هؤلاء قوم مجرمون ، وأن مهمتهم هي إرسال حجارة من طين مسومة من عند ربك للمسرفين .. وعاد سيدنا إبراهيم ، بعد أن سد الملائكة باب هذا الحوار، عاد يحدثهم عن المؤمنين من قوم لوط .. فقالت الملائكة : نحن أعلم بمن فيها .. ثم أفهموه أن الأمر قد قضي .. وإن مشيئة الله تبارك وتعالى قد اقتضت نفاذ الأمر وهلاك قوم لوط .. أفهموا سيدنا إبراهيم أن عليه أن يعرض عن هذا الحوار .. ليوفر حلمه ورحمته .. لقد جاء أمر ربه .. وتقرر عليهم ((عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)) [1] عذاب لن يرده جدال إبراهيم .. كانت كلمة الملائكة إيذانا بنهاية الجدال .. سكت سيدنا إبراهيم .. وتوجهت الملائكة لقوم سيدنا لوط عليه السلام .

سنورد قصة بناء بيت الله تعالى في قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام .

---

[1] سورة هود آية ٧٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا لوط عليه السلام

- **نبذة :**

أرسله الله ليهدي قومه ويدعوهم إلى عبادة الله .. وكانوا قوما ظالمين يأتون الفواحش ويعتدون على الغرباء .. وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء .. فلما دعاهم سيدنا لوط لترك المنكرات أرادوا أن يخرجوه هو وقومه .. فلم يؤمن به غير بعض من آل بيته .. أما امرأته فلم تؤمن .. ولما يئس سيدنا لوط دعا الله أن ينجيهم ويهلك المفسدين .. فجاءت له الملائكة وأخرجوا سيدنا لوط ومن آمن به وأهلكوا الآخرين بحجارة مُسَوَّمَة .

- **حال قوم لوط :**

دعا سيدنا لوط قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن كسب السيئات والفواحش .. واصطدمت دعوته بقلوب قاسية وأهواء مريضة ورفض متكبر .. وحكموا على سيدنا لوط وأهله بالطرد من القرية .. فقد كان القوم الذين بعث إليهم سيدنا لوط يرتكبون عددا كبيرا من الجرائم البشعة .. كانوا يقطعون الطريق ، ويخونون الرفيق ، ويتواصون بالإثم ، ولا يتناهون عن منكر ، وقد زادوا في سجل جرائمهم جريمة لم يسبقهم بها أحد من العالمين ، كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء .

لقد اختلت المقاييس عند قوم لوط .. فصار الرجال أهدافا مرغوبة بدلا من النساء ، وصار النقاء والطهر جريمة تستوجب الطرد .. كانوا مرضى يرفضون الشفاء ويقاومونه .. ولقد كانت تصرفات قوم لوط تحزن قلب سيدنا لوط .. كانوا يرتكبون جريمتهم علانية في ناديهم .. وكانوا إذا دخل المدينة غريب أو مسافر أو ضيف لم ينقذه من أيديهم أحد .. وكانوا يقولون لسيدنا لوط : استضف أنت النساء ودع لنا الرجال .. واستطارت شهرتهم الوبيلة ، وجاهدهم سيدنا لوط جهادا عظيما ، وأقام عليهم حجته .. ومرت الأيام والشهور والسنوات وهو ماض في دعوته بغير أن يؤمن له أحد .. لم يؤمن به غير أهل بيته .. حتى أهل بيته لم يؤمنوا به جميعا .. كانت زوجته كافرة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وزاد الأمر بأن قام الكفرة بالاستهزاء برسالة سيدنا لوط عليه السلام ، فكانوا يقولون : ((ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ)) [1].. فيئس سيدنا لوط منهم ، ودعا الله أن ينصره ويهلك المفسدين .

- **ذهاب الملائكة لقوم لوط :**

خرج الملائكة من عند سيدنا إبراهيم قاصدين قرية لوط .. بلغوا أسوار سدوم .. وابنة سيدنا لوط واقفة تملأ وعاءها من مياه النهر .. رفعت وجهها فشاهدتهم .. فسألها أحد الملائكة : يا جارية ، هل من منزل ؟ .. قالت [وهي تذكر قومها] : مكانكم لا تدخلوا حتى أخبر أبي وآتيكم .. أسرعت نحو أبيها فأخبرته .. فهرع سيدنا لوط يجري نحو الغرباء .. فلم يكد يراهم حتى ((سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)) [2] سألهم : من أين جاءوا ؟ ، وما هي وجهتهم ؟ .. فصمتوا عن إجابته ، وسألوه أن يُضَيِّفَهُم .. استحى منهم وسار أمامهم قليلا ثم توقف والتفت إليهم يقول : لا أعلم على وجه الأرض أخبث من أهل هذا البلد .. قال كلمته ليصرفهم عن المبيت في القرية .. غير أنهم غضوا النظر عن قوله و لم يعلقوا عليه .. وعاد يسير معهم ويلوي عنق الحديث ويقسره قسرا ويمضي به إلى أهل القرية .. حدثهم أنهم خبثاء ، أنهم يخزون ضيوفهم ، حدثهم أنهم يفسدون في الأرض .. وكان الصراع يجري داخله محاولا التوفيق بين أمرين : صرف ضيوفه عن المبيت في القرية دون إحراجهم ، وبغير إخلال بكرم الضيافة .. عبثا حاول إفهامهم والتلميح لهم أن يستمروا في رحلتهم دون نزول بهذه القرية .. سقط الليل على المدينة .. صحب سيدنا لوط ضيوفه إلى بيته .. لم يرهم من أهل المدينة أحد .. لم تكد زوجته تشهد الضيوف حتى تسللت خارجة بغير أن تشعره .. أسرعت إلى قومها وأخبرتهم الخبر .. وانتشر الخبر مثل النار في الهشيم .. وجاء قوم لوط له مسرعين .. تساءل سيدنا لوط بينه وبين نفسه : من الذي أخبرهم ؟ .. وقف القوم على باب البيت .. خرج إليهم سيدنا لوط متعلقا بأمل أخير ، وبدأ بوعظهم : ((هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)) [3].. قال لهم : أمامكم النساء - زوجاتكم- هن أطهر .. فهن يلبين الفطرة السوية .. كما أن الخالق - جَلَّ في

---

[1] سورة العنكبوت آية ٢٩ . [2] سورة هود آية ٧٧ . [3] سورة هود آية ٧٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عُلاَه- قد هيَّئهن لهذا الأمر .. ((فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)) .. يلمس نفوسهم من جانب التقوى بعد أن لمسها من جانب الفطرة .. اتقوا الله وتذكروا أن الله يسمع ويرى .. ويغضب ويعاقب وأجدر بالعقلاء اتقاء غضبه .. ((وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ)) .. هي محاولة يائسة لِلَمْس نخوتهم وتقاليدهم .. و ينبغي عليهم إكرام الضيف لا فضحه .. ((أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ)) .. أليس فيكم رجل عاقل ؟ .. إن ما تريدونه - لو تحقق- هو عين الجنون .

إلا أن كلمات سيدنا لوط عليه السلام لم تلمس الفطرة المنحرفة المريضة ، ولا القلب الجامد الميت ، ولا العقل المريض الأحمق .. ظلت الشهوة الشاذة على اندفاعها .. أحس سيدنا لوط بضعفه وهو غريب بين القوم .. نازح إليهم من بعيد بغير عشيرة تحميه ، ولا أولاد ذكور يدافعون عنه .. دخل سيدنا لوط غاضبا وأغلق باب بيته .. كان الغرباء الذين استضافهم يجلسون هادئين صامتين .. فاهش سيدنا لوط من هدوئهم .. وازدادت ضربات القوم على الباب .. وصرخ سيدنا لوط في لحظة يأس خانق فقال : ((لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝)) [1] .. تمنى أن تكون له قوة تصدهم عن ضيفه .. وتمنى لو كان له ركن شديد يحتمي فيه ويأوي إليه .. غاب عن سيدنا لوط في شدته وكربته أنه يأوي إلى ركن شديد .. ركن الله الذي لا يتخلى عن أنبيائه وأوليائه .. قال سيدنا رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية : " يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ " . رواه البخارى .

- **هلاك قوم لوط :**

عندما بلغ الضيق ذروته .. وقال النبي كلمته .. تحرك ضيوفه ونهضوا فجأة .. أفهموه أنه يأوي إلى ركن شديد .. فقالوا له لا تجزع يا لوط ولا تخف .. نحن ملائكة .. ولن يصل إليك هؤلاء القوم .. ثم نهض جبريل عليه السلام وأشار بيده إشارة سريعة ، ففقد القوم أبصارهم .. التفتت الملائكة إلى سيدنا لوط وأصدروا إليه أمرهم أن يصحب أهله أثناء الليل ويخرج .. سيسمعون أصواتا مروعة تزلزل الجبال .. لا يلتفت منهم أحد كي لا يصيبه ما يصيب القوم ..

---

[1] سورة هود آية ٨٠ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي عذاب هذا ؟! .. هو عذاب من نوع غريب ، يكفي لوقوعه بالمرء مجرد النظر إليه .. أفهموه أن امرأته كانت من الغابرين .. امرأته كافرة مثلهم وستلتفت خلفها فيصيبها ما أصابهم .. سأل سيدنا لوط الملائكة : أينزل الله العذاب بهم الآن ؟ .. أنبئوه أن موعدهم مع العذاب هو الصبح .. ((أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)) ؟ [1] .. خرج سيدنا لوط مع بناته وزوجته .. ساروا في الليل .. وامتد السير .. واقترب الصبح .. كان سيدنا لوط قد ابتعد مع أهله .. ثم جاء أمر الله تعالى .. قال العلماء : اقتلع جبريل عليه السلام بطرف جناحه مدنهم السبع من قرارها البعيد ، رفعها جميعا إلى عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ، قلب المدن السبع وهوى بها في الأرض .. أثناء السقوط كانت السماء تمطرهم بحجارة من الجحيم .. حجارة صلبة قوية يتبع بعضها بعضا ، ومعلمة بأسمائهم ، ومقدرة عليهم .. استمر الجحيم يمطرهم .. وانتهى قوم لوط تماما .. لم يعد هناك أحد .. نكست المدن على رؤوسها ، وغارت في الأرض ، حتى انفجر الماء من الأرض .. هلك قوم لوط ومحيت مدنهم .

كان سيدنا لوط يسمع أصوات مروعة .. وكان يحاذر أن يلتفت خلفه .. نظرت زوجته نحو مصدر الصوت فانتهت .. تسهرأ جسدها وتفتت مثل عمود ساقط من الملح .

قال العلماء : إن مكان المدن السبع .. بحيرة غريبة .. ماؤها أجاج .. وكثافة الماء أعظم من كثافة مياه البحر الملحة .. وفي هذه البحيرة صخور معدنية ذائبة .. توحي بأن هذه الحجارة التي ضرب بها قوم لوط كانت شهبا مشعلة .. يقال إن البحيرة الحالية التي نعرفها باسم "البحر الميت" في فلسطين .. هي مدن قوم لوط السابقة .

انطوت صفحة قوم لوط .. انمحت مدنهم وأسمائهم من الأرض .. سقطوا من ذاكرة الحياة والأحياء .. وطويت صفحة من صفحات الفساد .. وتوجه سيدنا لوط إلى سيدنا إبراهيم .. زار سيدنا إبراهيم وقص عليه نبأ قومه .. وأدهشه أن سيدنا إبراهيم كان يعلم .. ومضى سيدنا لوط في دعوته إلى الله .. مثلما مضى الحليم الأواه المنيب سيدنا إبراهيم في دعوته إلى الله .. مضى الاثنان ينشران الإسلام في الأرض .

---

[1] سورة هود آية ٨١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا إسماعيل عليه السلام

● **نبذة :**

هو ابن سيدنا إبراهيم البكر وولد السيدة هاجر .. سار إبراهيم بـهاجر - بأمر من الله - حتى وضعها وابنها في موضع مكة وتركهما ومعهما قليل من الماء والتمر ، ولما نفد الزاد جعلت السيدة هاجر تطوف هنا وهناك حتى هداها الله إلى ماء زمزم ، ووفد عليها كثير من الناس حتى جاء أمر الله لسيدنا إبراهيم ببناء الكعبة ورفع قواعد البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجر وإبراهيم يبني حتى أتما البناء .. ثم جاء أمر الله بذبح إسماعيل حيث رأى سيدنا إبراهيم في منامه أنه يذبح ابنه فعرض عليه ذلك فقال ((يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ)) [1] ففداه الله بذبح عظيم .. كان سيدنا إسماعيل فارسا ، فهو أول من استأنس الخيل .. وكان صبورا حليما .. يقال إنه أول من تحدث بالعربية البينة .. وكان صادق الوعد ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة .. وكان ينادي بعبادة الله ووحدانيته .

ذكر الله في كتابه الكريم ثلاث مشاهد من حياة سيدنا إسماعيل عليه السلام ..كل مشهد عبارة عن محنة واختبار لكل من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

● **الاختبار الأول :**

أول هذه المشاهد هو أمر الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم بترك إسماعيل وأمه في واد مقفر ، لا ماء فيه ولا طعام ، فما كان من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا الاستجابة لهذا الأمر الرباني .. وهذا بخلاف ما ورد في الإسرائيليات من أن سيدنا إبراهيم حمل ابنه وزوجته لوادي مكة لأن سارة - زوجة إبراهيم الأولى- اضطرته لذلك من شدة غيرتها من هاجر .. فالمتأمل لسيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام سيجد أنه لم يكن ليتلقى أوامره من أحد غير الله .

أنزل زوجته وابنه وتركهما هناك ، ترك معهما جرابا فيه بعض الطعام ، وقليلا من الماء ، ثم استدار

---

[1] سورة الصافات آية ١٠٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتركهما وسار .

أسرعت خلفه زوجته وهي تقول له : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بـــهذا الوادي الذي ليس فيه شيء ؟ .. لم يرد عليها سيدنا إبراهيم .. ظل يسير .. عادت تقول له ما قالته وهو صـــامت .. أخيرا فهمت أنه لا يتصرف هكذا من نفسه .. أدركت أن الله أمره بذلك ، وسألته : هـــل الله أمرك بـــهذا ؟ .. قال سيدنا إبراهيم عليه السلام : نعم .. قالت زوجته المؤمنة العظيمة : لن نضيع ما دام الله معنا وهو الذي أمرك بـــهذا .. وسار سيدنا إبراهيم حتى إذا أخفاه جبل عنهما وقـــف ورفع يديه الكريمتين إلى السماء وراح يدعو الله : ((رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ)) [1] .

لم يكن بيت الله قد أعيد بناؤه بعد .. لم تكن الكعبة قد بنيت .. وكانت هناك حكمة عليا في أمر الله سبحانه لسيدنا إبراهيم .. فقد كان إسماعيل – الطفل الذي تُرِكَ مع أمه في هذا المكـــان – ووالده اللذين سيكونان المسئولان لبناء الكعبة فيما بعد .. وكانت حكمة الله تقضي أن يُسْكَن في هذا الوادي ليمتد إليه العمران .

بعد أن ترك سيدنا إبراهيم زوجته وابنه الرضيع في الصحراء بأيام نفد الماء وانتهى الطعام ، وجف لبن الأم .. وأحست هاجر وإسماعيل بالعطش .

بدأ إسماعيل يبكي من العطش .. فتركته أمه وانطلقت تبحث عن ماء .. راحت تمشي مسرعة حتى وصلت إلى جبل اسمه "الصفا".. فصعدت إليه وراحت تبحث به عن بئر أو إنسان أو قافلـــة .. لم يكن هناك شيء .. ونزلت مسرعة من الصفا حتى إذا وصلت إلى الوادي راحت تسعى سَـــعْي الإنسان المجهد حتى جاوزت الوادي ووصلت إلى جبل "المروة" ، فصعدت إليه ونظرت لتـــرى أحدا لكنها لم تر أحدا .. وعادت الأم إلى طفلها فوجدته يبكي وقد اشتد عطشه .. وأسرعت إلى الصفا فوقفت عليه ، وهرولت إلى المروة فنظرت من فوقه .. وراحت تذهب وتجيء ســـبع مرات بين الجبلين الصغيرين .. سبع مرات وهي تذهب وتعود .. ولهذا يذهب الحجاج ســـبع

[1] سورة ابراهيم آية ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مرات ويعودون بين الصفا والمروة إحياء لذكريات أمهم الأولى ونبيهم العظيم سيدنا إسماعيل .. عادت هاجر بعد المرة السابعة وهي مجهدة متعبة تلهث .. وجلست بجوار ابنها الذي كان صوته قد بح من البكاء والعطش .

وفي هذه اللحظة اليائسة أدركتها رحمة الله .. وضرب إسماعيل بقدمه الأرض وهو يبكي فانفجرت تحت قدمه بئر زمزم .. وفار الماء من البئر .. أنقذت حياتا الطفل والأم .. راحت الأم تغرف بيدها وهي تشكر الله .. وشربت وسقت طفلها وبدأت الحياة تدب في المنطقة .. صدق ظنها حين قالت : لن نضيع ما دام الله معنا .

وبدأت بعض القوافل تستقر في المنطقة .. وجذب الماء الذي انفجر من بئر زمزم عديدا من الناس .. وبدأ العمران يبسط أجنحته على المكان .

كانت هذه هي المحنة الاولى .. أما المحنة الثانية فهي الذبح .

- **الاختبار الثاني :**

وهذا ما سبق أن ذكرناه تفصيلا فى قصة سيدنا إبراهيم .. صفحة ٤٦ .

خبر زوجة سيدنا إسماعيل :

عاش سيدنا إسماعيل في شبه الجزيرة العربية ما شاء الله له أن يعيش .. روض الخيل واستأنسها واستخدمها .. وساعدت مياه زمزم على سكنى المنطقة وتعميرها .. اسنفرت بها بعض القوافل .. وسكنتها القبائل .. وكبر سيدنا إسماعيل وتزوج .. وزاره سيدنا إبراهيم فلم يجده في بيته ووجد امرأته .. سألها عن عيشهم وحالهم ، فشكت إليه من الضيق والشدة .. قال لها سيدنا إبراهيم : إذا جاء زوجك مُرِيه أن يغير عتبة بابه .. فلما جاء سيدنا إسماعيل ، ووصفت له زوجته الرجل .. قال : هذا أبي وهو يأمرني بفراقك .. ألحقي بأهلك .

وتزوج سيدنا إسماعيل امرأة ثانية .. زارها سيدنا إبراهيم ، يسألها عن حالها ، فحدثته أنهم في نعمة وخير .. وطاب صدر سيدنا إبراهيم بهذه الزوجة لابنه .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- **الاختبار الثالث :**

وها نحن الآن أمام الاختبار الثالث .. اختبار لا يمس سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل فقط .. بل يمس ملايين البشر من بعدهم إلى يوم القيامة .. إنها مهمة أوكلها الله تعالى لهذين النبيين الكريمين .. مهمة بناء بيت الله تعالى في الأرض .

كبر سيدنا إسماعيل .. وبلغ أشده .. وجاءه سيدنا إبراهيم وقال له : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر .. قال سيدنا إسماعيل : فاصنع ما أمرك به ربك .. قال سيدنا إبراهيم : وتعينني؟ .. قال : وأعينك .. فقال سيدنا إبراهيم : فإن الله أمرني أن ابني هنا بيتا .. أشار بيده لصحن منخفض هناك .

صدر الأمر ببناء بيت الله الحرام .. هو أول بيت وضع للناس في الأرض .. وهو أول بيت عبد فيه الإنسان ربه .. ولما كان سيدنا آدم هو أول إنسان هبط إلى الأرض .. فإليه يرجع فضل بنائه أول مرة .. قال العلماء : إن سيدنا آدم بناه وراح يطوف حوله مثلما يطوف الملائكة حول عرش الله تعالى .

بنى سيدنا آدم بيتا يُعبد فيه الله .. شيء طبيعي أن يبني سيدنا آدم - بوصفه نبيا- بيتا لعبادة ربه .. وحفت الرحمة بهذا المكان .. ثم مات سيدنا آدم ومرت القرون .. وطال عليه العهد فضاع أثر البيت وخفي مكانه .. وها هو ذا سيدنا إبراهيم يتلقى الأمر ببنائه مرة ثانية .. وبدأ بناء الكعبة ..

هدمت الكعبة في التاريخ أكثر من مرة .. وكان بناؤها يعاد في كل مرة .. فهي باقية منذ عهد سيدنا إبراهيم إلى اليوم .. وحين بعث رسول الله ﷺ تحقيقا لدعوة سيدنا إبراهيم .. وجد الرسول ﷺ الكعبة حيث بنيت آخر مرة ، وقد قصر الجهد بمن بناها فلم يحفر أساسها كما حفره إبراهيم .

نفهم من هذا أن سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل بذلا فيها وحدهما جهدا استحالت - بعد ذلك- محاكاته على عدد كبير من الرجال .. ولقد صرح الرسول ﷺ بأنه يحب هدمها وإعادتها إلى أساس إبراهيم ، لولا قرب عهد القوم بالجاهلية ، وخشيته أن يفتن الناس هدمها وبناؤها من جديد .. فقد كان النبي ﷺ يحب أن يتم بناؤها بحيث تصل إلى قواعد إبراهيم وإسماعيل .

أي جهد شاق بذله النبيان الكريمان وحدهما ؟! .. كان عليهما حفر الأساس لعمق غائر في

الأرض ، وكان عليهما قطع الحجارة من الجبال البعيدة والقريبة ، ونقلها بعد ذلك ، وتسويتها ، وبناؤها وتعليتها .. وكان الأمر يستوجب جهد جيل من الرجال ، ولكنهما بنياها معا .

لا نعرف كم هو الوقت الذي استغرقه بناء الكعبة ، كما نجهل الوقت الذي استغرقه بناء سفينة نوح ، المهم أن سفينة نوح والكعبة كانتا معا ملاذا للناس ومثوبة وأمنا .. والكعبة هي سفينة نوح الثابتة على الأرض أبدا .. وهي تنتظر الراغبين في النجاة من هول الطوفان دائما .

لم يحدثنا الله عن زمن بناء الكعبة .. حدثنا عن أمر أخطر وأجدى .. حدثنا عن تجرد نفسية من كان يبنيها .. ودعائه وهو يبنيها : ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾)) [1] .

إن أعظم مُسْلِمَيْن على وجه الأرض يومها يدعوان الله أن يتقبل عملهما ، وأن يجعلهما مسلمين له .. يعرفان أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن .. وتبلغ الرحمة بهما أن يسألا الله أن يخرج من ذريتهما أمة مسلمة له سبحانه .. يريدان أن يزيد عدد العابدين الموجودين والطائفين والركع السجود .. إن دعوة إبراهيم وإسماعيل تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن .. إنه يبني لله بيته ، ومع هذا يشغله أمر العقيدة ، ذلك إيحاء بأن البيت رمز العقيدة .. ثم يدعوان الله أن يريهم أسلوب العبادة الذي يرضاه ، وأن يتوب عليهم فهو التواب الرحيم .. بعدها يتجاوز اهتمامها هذا الزمن الذي يعيشان فيه .. يجاوزانه ويدعوان الله أن يبعث رسولا لهؤلاء البشر .. وتحققت هذه الدعوة الأخيرة حين بُعث سيدنا محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .. تحققت بعد أزمنة وأزمنة .

انتهى بناء البيت .. وأراد سيدنا إبراهيم حجرا مميزا يكون علامة خاصة يبدأ منها الطواف حول

---

[1] سورة البقرة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكعبة .. أمر سيدُنا إبراهيم سيدَنا إسماعيل أن يأتيه بحجر مميز يختلف عن لون حجارة الكعبة .. سار سيدنا إسماعيل مليبا أمر والده .. حين عاد ، كان سيدنا إبراهيم قد وضع الحجر الأسود في مكانه .. فسأله سيدنا إسماعيل : من الذي أحضره إليك يا أبت ؟ .. فأجاب سيدنا إبـــراهيم : أحضره جبريل عليه السلام .

انتهى بناء الكعبة .. وبدأ طواف الموحدين والمسلمين حولها .. ووقف سيدنا إبراهيم يدعو ربـــه نفس دعائه من قبل .. أن يجعل أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إلى المكان .. انظر إلى التعبير .. إن الهوى يصور انحدارا لا يقاومه شيء .. وقمة ذلك هوى الكعبة .. من هذه الدعوة ولد الهوى العميق في نفوس المسلمين ، رغبة في زيارة البيت الحرام .

وصار كل من يزور المسجد الحرام ويعود إلى بلده يحس أنه يزداد عطشا كلما ازداد ريا منـــه ، ويعمق حنينه إليه كلما بعد منه .. وتجيء أوقات الحج في كل عام فينشب الهوى الغامض أظافره في القلب نزوعا إلى رؤية البيت ، وعطشا إلى بئر زمزم .

قال تعالى حين جادل المجادلون في إبـــراهيم وإسماعيـــل : ((مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾))[1] .

عليه الصلاة والسلام .. استجاب الله دعاءه .. وكان إبراهيم أول من سمانا المسلمين .

[1] سورة آل عمران آية ٦٧ .

سيدنا إسحاق عليه السلام

- **نبذة :**

هو ولد سيدنا إبراهيم من زوجته سارة .. وقد كانت البشارة بمولده من الملائكة لإبـــراهيم وسارة لما مروا بـــهم مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط ليدمروها عليهم لكفرهم وفجورهم .. ذكره الله في القرآن بأنه "غلام عليم" .. جعله الله نبيا يهدي الناس إلى فعل الخيرات .. جاء من نسله سيدنا يعقوب .

- **سيرته :**

لا يذكر القرآن الكريم غير ومضات سريعة عن قصة سيدنا إسحاق .. كان ميلاده حـــدثا خارقا ، بشرت به الملائكة ، وورد في البشرى اسم ابنه يعقوب .. وقد جاء ميلاده بعد سنوات من ولادة أخيه إسماعيل .. ولقد قر قلب سارة بمولد إسحق ومولد ابنه يعقوب ، عليهما الصلاة والسلام .. غير أننا لا نعرف كيف كانت حياة سيدنا إسحق ، ولا نعرف بماذا أجابه قومـــه .. كل ما نعرفه أن الله أثنى عليه كنبي من الصالحين .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا يعقوب عليه السلام

● **نبذة :**

ابن سيدنا إسحاق .. ويقال له "إسرائيل" وتعني عبد الله .. كان نبيا لقومه ، وكان تقيا .. وبشرت به الملائكة جده سيدنا إبراهيم وزوجته سارة عليهما السلام .. وهو والد سيدنا يوسف .

● **سيرته :**

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .. اسمه إسرائيل .. كان نبيا إلى قومه .. ذكر الله تعالى ثلاث أجزاء من قصته :

- بشارة ميلاده .. وقد بشر الملائكة به إبراهيم جده وسارة جدته .
- أيضا ذكر الله تعالى وصيته عند وفاته .
- وسيذكره الله فيما بعد - بغير إشارة لاسمه - في قصة سيدنا يوسف .

نعرف مقدار تقواه من هذه الإشارة السريعة إلى وفاته .. نعلم أن الموت كارثة تدهم الإنسان ، فلا يذكر غير همه ومصيبته .. غير أن سيدنا يعقوب لا ينسى وهو يموت أن يدعو إلى ربه .. قال تعالى في سورة (البقرة) : ((أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾))[1] .

إن هذا المشهد بين سيدنا يعقوب وبنيه في ساعة الموت ولحظات الاحتضار .. مشهد عظيم الدلالة .. نحن أمام ميت يحتضر .. ما القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ .. ما الأفكار التي تعبر ذهنه الذي يتهيأ للانزلاق مع سكرات الموت ؟ .. ما الأمر الخطير الذي يريد أن يطمئن عليه قبل موته ؟ .. ما التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه وأحفاده ؟ .. ما الشيء الذي يريد أن يطمئن - قبل موته - على سلامة وصوله للناس .. كل الناس ؟ ..

---

[1] سورة البقرة آية ١٣٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ستجد الجواب عن هذه الأسئلة كلها في سؤاله ((مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى)) .. هذا ما يشغله ويؤرقه ويحرص عليه في سكرات الموت .. قضية الإيمان بالله هي القضية الأولى والوحيدة ، وهي الميراث الحقيقي الذي لا ينخره السوس ولا يفسده .. وهي الذخر والملاذ .

قال أبناء إسرائيل : ((نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)) .. والنص قاطع في أنهم بعثوا على الإسلام .. إن خرجوا عنه ، خرجوا من رحمة الله .. وإن ظلوا فيه ، أدركتهم الرحمة .

مات سيدنا يعقوب وهو يسأل أبناءه عن الإسلام ، ويطمئن على عقيدتهم .. وقبل موته ، ابتلي بلاء شديدا في ابنه سيدنا يوسف .

سترد معنا مشاهد من قصة سيدنا يعقوب عليه السلام عند ذكرنا لقصة ابنه النبي الكريم سيدنا يوسف عليه السلام .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا يوسف عليه السلام

- **نبذة :**

ولد سيدنا يوسف وكان له ١١ أخا وكان أبوه يحبه كثيرا وفي ذات ليلة رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين .. فقص على والده ما رأى ، فقال له ألاَّ يقصها على إخوته .. ولكن الشيطان وسوس لإخوته فاتفقوا على أن يلقوه في غيابات الجب وادعوا أن الذئب أكله .. ثم مر به ناس من البدو فأخذوه وباعوه بثمن بخس واشتراه عزيز مصر وطلب من زوجته أن ترعاه .. ولكنها أخذت تراوده عن نفسه فأبى فكادت له ودخل السجن .. ثم أظهر الله براءته وخرج من السجن .. واستعمله الملك على شئون الغذاء التي أحسن إدارتها في سنوات القحط .. ثم اجتمع شمله مع إخوته ووالديه وخروا له سجدا وتحققت رؤياه .

- **سيرته :**

قبل أن نبدأ بقصة سيدنا يوسف عليه السلام نود الإشارة لعدة أمور .. أولها اختلاف طريقة رواية قصة سيدنا يوسف عليه السلام في القرآن الكريم عن بقية قصص الأنبياء .. فقد جاءت قصص الأنبياء في عدة سور ، بينما جاءت قصة سيدنا يوسف كاملة في سورة واحدة .. قال تعالى في سورة (يوسف) : ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝))[1].. واختلف العلماء لم سميت هذه القصة أحسن القصص ؟ .. قيل إنها تنفرد من بين قصص القرآن باحتوائها على عالم كامل من العبر والحكم .. وقيل لأن سيدنا يوسف تجاوز عن إخوته وصبر عليهم وعفا عنهم .. وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين ، والعفة والغواية ، وسِيَر الملوك والممالك ، والرجال والنساء ، وحيل النساء ومكرهن ، وفيها ذكر التوحيد والفقه ، وتعبير الرؤيا وتفسيرها ، فهي سورة غنية بالمشاهد والانفعالات .. وقيل : إنها سميت أحسن القصص لأن مآل من كانوا فيها جميعا كان إلى السعادة .

---

[1] سورة يوسف آية ٣ .

ومع تقديرنا لهذه الأسباب كلها .. نعتقد أن ثمة سببا مهما يميز هذه القصة .. إنها تمضي في خط واحد منذ البداية إلى النهاية .. يلتحم مضمونها وشكلها ، ويفضي بك لإحساس عميق بقهر الله وغلبته ونفاذ أحكامه رغم وقوف البشر ضدها .. ((وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ)) [1] هذا ما تثبته قصة سيدنا يوسف بشكل حاسم ، لا ينفي حسمه أنه تم بنعومة وإعجاز .

لنمضي الآن بقصة سيدنا يوسف عليه السلام ولنقسمها لعدد من الفصول والمشاهد ليسهل علينا تتبع الأحداث .

- **المشهد الأول من فصل طفولة سيدنا يوسف :**

ذهب يوسف الصبي الصغير لأبيه ، وحكى له عن رؤيا رآها .. أخبره بأنه رأى في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له .. استمع الأب إلى رؤيا ابنه وحذره أن يحكيها لأخوته .. فلقد أدرك سيدنا يعقوب عليه السلام بحدسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤية شأنا عظيما لهذا الغلام .. لذلك نصحه بأن لا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير (غير الشقيق ، حيث تزوج سيدنا يعقوب من امرأة ثانية أنجبت له سيدنا يوسف وشقيقه) فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم ، فتمتلئ نفوسهم بالحقد ، فيدبروا له أمرا يسوؤه .. استجاب سيدنا يوسف لتحذير أبيه .. لم يحدث أخوته بما رأى .. وأغلب الظن أنهم كانوا يكرهونه إلى الحد الذي يصعب فيه أن يطمئن إليهم ويحكي لهم دخائله الخاصة وأحلامه .

- **المشهد الثاني :**

اجتمع أخوة يوسف يتحدثون في أمره .. ((إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝)) [2] ، أي نحن مجموعة قوية تدفع وتنفع ، فأبونا مخطئ في تفضيل هذين الصبيين على مجموعة من الرجال النافعين ! .. فاقترح أحدهم حلا

---

[1] سورة يوسف آية ٢١ .

[2] سورة يوسف آية ٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للموضوع : ((ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا)) [١] .. إنه الحقد وتدخل الشيطان الذي ضخم حب أبيهم ليوسف وإيثاره عليهم حتى جعله يوازي القتل الذى هو أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله ، وطرحه في أرض بعيدة نائية مرادف للقتل ، لأنه سيموت هناك لا محالة .. ولماذا هذا كله ؟! .. حتى لا يراه أبوه فينساه فيوجه حبه كله لهم .. ومن ثَمَّ يتوبون عن جريمتهم ((وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ)) .

قال قائل منهم (حرك الله أعماقه بشفقة خفية ، أو أثار الله في أعماقه رعبا من القتل) : ما الداعي لقتله ؟ ، إن كنتم تريدون الخلاص منه فلنلقه في بئر تمر عليها القوافل .. ستلتقطه قافلة وترحل به بعيدا .. سيختفي عن وجه أبيه .. ويتحقق غرضنا من إبعاده .

انهزمت فكرة القتل ، واختيرت فكرة النفي والإبعاد .. نفهم من هذا أن الأخوة رغم شرهم وحسدهم كان في قلوبهم ، أو في قلوب بعضهم ، بعض خير لم يمت بعد .

- **المشهد الثالث :**

توجه الأبناء لأبيهم يطلبون منه السماح ليوسف بمرافقتهم .. دار الحوار بينهم وبين أبيهم بنعومة وعتاب خفي ، وإثارة للمشاعر .. ((يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ)) ؟ [٢] .. أيمكن أن يكون يوسف أخانا ، وأنت تخاف عليه من بيننا ولا تستأمننا عليه ، ونحن نحبه وننصح له ونرعاه ؟ ، لماذا لا ترسله معنا يرتع ويلعب ؟ .. وردا على العتاب الاستنكاري الأول جعل سيدنا يعقوب عليه السلام ينفي - بطريقة غير مباشرة- أنه لا يأمنهم عليه ، ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب : ((قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝)) [٣] .. ففندوا فكرة الذئب الذي يخاف أبوه أن يأكله .. نحن عشرة من الرجال .. فهل نغفل عنه ونحن كثرة ؟ .. نكون خاسرين غير أهل للرجولة لو وقع ذلك .. لن يأكله الذئب ولا داعي للخوف عليه .

---

[١] سورة يوسف آية ٩ . [٢] سورة يوسف آية ١١ . [٣] سورة يوسف آية ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وافق الأب تحت ضغط أبنائه .. ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته ! .

- **المشهد الرابع :**

خرج الأخوة ومعهم سيدنا يوسف ، وأخذوه للصحراء .. اختاروا بئرا لا ينقطع عنها مرور القوافل وحملوه وهموا بإلقائه في البئر .. وأوحى الله إلى سيدنا يوسف أنه ناج فلا يخاف .. وأنه سيلقاهم بعد يومهم هذا وينبئهم بما فعلوه .

- **المشهد الخامس :**

عند العشاء جاء الأبناء باكين ليحكوا لأبيهم قصة الذئب المزعومة .. أخبروه بأنهم ذهبوا يستبقون ، فجاء ذئب على غفلة ، وأكل يوسف .. لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة .. فلو كانوا أهدأ أعصابا ما فعلوها من المرة الأولى التي يأذن لهم فيها سيدنا يعقوب باصطحاب يوسف معهم ! .. ولكنهم كانوا معجلين لا يصبرون ، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرى .. كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب دليلا على التسرع ، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس ، وهم ينفونها .. فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس ! .. وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان ونسوا في انفعالهم أن يمزقوا قميص يوسف .. جاءوا بالقميص كما هو سليما ، ولكن ملطخا بالدم .. وانتهى كلامهم بدليل قوي على كذبهم حين قالوا : ((وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ)) [1] أي وما أنت بمطمئن لما نقوله ، ولو كان هو الصدق ، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقوله .

أدرك سيدنا يعقوب من دلائل الحال ومن نداء قلبه ومن الأكذوبة الواضحة ، أن سيدنا يوسف لم يأكله الذئب ، وأنهم دبروا له مكيدة ما ، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع ، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمرا منكرا وذللته ويسرت لهم ارتكابه ؛ وأنه سيصبر متحملا متجملا لا

---

[1] سورة يوسف آية ١٧ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجزع ولا يفزع ولا يشكو ، مستعينا بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب : ((قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)) [1] .

- **المشهد الأخير من الفصل الأول من حياة سيدنا يوسف عليه السلام :**

أثناء وجود سيدنا يوسف بالبئر مرت عليه قافلة .. قافلة في طريقها إلى مصر .. قافلة كبيرة .. سارت طويلا حتى سميت سيارة .. توقفوا للتزود بالماء .. وأرسلوا أحدهم للبئر فأدلى الدلو فيه .. تعلق سيدنا يوسف به .. ظن من دلاه أنه امتلأ بالماء فسحبه .. ففرح بما رأى .. رأى غلاما متعلقا بالدلو .. فَسَرَى على سيدنا يوسف حكم الأشياء المفقودة التي يلتقطها أحد الأشخاص .. يصير عبدا لمن التقطه .. هكذا كان قانون ذلك الزمان البعيد .

فرح به من وجده في البداية ، ثم زهد فيه حين فكر في همه ومسئوليته ، وزهد فيه لأنه وجده صبيا صغيرا .. وعزم على التخلص منه لدى وصوله إلى مصر .. ولم يكد يصل إلى مصر حتى باعه في سوق الرقيق بثمن زهيد ، دراهم معدودة .. ومن هناك اشتراه رجل تبدو عليه الأهمية .

- **انتهت المحنة الأولى في حياة هذا النبي الكريم، لتبدأ المحنة الثانية، والفصل الثاني من حياته :**

ثم يكشف الله تعالى مضمون القصة البعيد في بدايتها ((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [2] .. لقد انطبقت جدران العبودية على سيدنا يوسف .. ألقي في البئر ، أهين ، حرم من أبيه ، التقط من البئر ، صار عبدا يباع في الأسواق ، اشتراه رجل من مصر ، صار مملوكا لهذا الرجل .. انطبقت المأساة ، وصار سيدنا يوسف بلا حول ولا قوة .. هكذا يظن أي إنسان .. غير أن الحقيقة شيء يختلف عن الظن تماما .

ما نتصور نحن أنه مأساة ومحنة وفتنة .. كان هو أول سلم يصعده سيدنا يوسف في طريقه إلى مجده .. ((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ)) .. ينفذ تدبيره رغم تدبير الآخرين .. ينفذ من خلاله تدبير الآخرين فيفسده ويتحقق وعد الله .. وقد وعد الله سيدنا يوسف بالنبوة .

---

[1] سورة يوسف آية ١٨ .

[2] سورة يوسف آية ٢١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وها هو ذا يُلقي محبته على صاحبه الذي اشتراه .. وها هو ذا السيد يقول لزوجته ((أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا)) [1] .. وليس هذا السيد رجلا هين الشأن .. إنما هو رجل مهم .. رجل من الطبقة الحاكمة في مصر .. سنعلم بعد قليل أنه وزير من وزراء الملك .. وزير خطير سماه القرآن "العزيز" ، وكان قدماء المصريين يطلقون الصفات كأسماء على الوزراء .. فهذا العزيز .. وهذا العادل .. وهذا القوي .. إلى آخره .. وأرجح الآراء أن العزيز هو رئيس وزراء مصر .

وهكذا مكن الله ليوسف في الأرض .. سيتربى كصبي في بيت رجل يحكم .. وسيعلمه الله من تأويل الأحاديث والرؤى .. وسيحتاج إليه الملك في مصر يوما .. ((وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) .. ثم هذا كله من خلال فتنة قاسية تعرض لها سيدنا يوسف .

ثم يبين لنا المولى عز وجل كرمه على سيدنا يوسف فيقول : ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾)) [2] .

كان سيدنا يوسف أجمل رجل في عصره .. وكان نقاء أعماقه وصفاء سريرته يضفيان على وجهه مزيدا من الجمال .. وأوتي صحة الحكم على الأمور .. وأوتي علما بالحياة وأحوالها .. وأوتي أسلوبا في الحوار يخضع قلب من يستمع إليه .. وأوتي نبلا وعفة جعلاه شخصية إنسانية لا تقاوم .

وأدرك سيده أن الله قد أكرمه بإرسال يوسف إليه .. اكتشف أن يوسف أكثر من رأى في حياته أمانة واستقامة وشهامة وكرما .. وجعله سيده مسئولا عن بيته وأكرمه وعامله كابنه .

- **ويبدأ المشهد الأول من الفصل الثاني في حياته :**

في هذا المشهد تبدأ محنة سيدنا يوسف الثانية .. وهي أشد وأعمق من المحنة الأولى .. جاءته وقد أوتي صحة الحكم وأوتي العلم - رحمة من الله- ليواجهها وينجو منها جزاء إحسانه الذي سجله الله له في قرآنه .. يذكر الله تعالى هذه المحنة في كتابه الكريم : ((وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن

---

[1] سورة يوسف آية ٢١ .

[2] سورة يوسف آية ٢٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾)) [1] .

لا يذكر السياق القرآني شيئا عن سِنِّها وسِنِّه ، فلننظر في ذلك من باب التقدير .. لقد أُحْضِرَ سيدنا يوسف صبيا من البئر ، كانت هي زوجة في الثلاثة والعشرين مثلا ، وكان هو في الثانية عشرا .. بعد ثلاثة عشر عاما صارت هي في السادسة والثلاثين ووصل عمره إلى الخامسة والعشرين .. أغلب الظن أن الأمر كذلك .. إن تصرف المرأة في الحادثة وما بعدها يشير إلى أنها مكتملة جريئة .

والآن ، لنتدبر معا في كلمات هذه الآيات .

(وَرَاوَدَتْهُ) صراحة (عَن نَّفْسِهِۦ) ، وأغلقت (ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) : لن تفر مني هذه المرة .. هذا يعني أنه كانت هناك مرات سابقة فر فيها منها .. مرات سابقة لم تكن الدعوة فيها بهذه الصراحة وهذا التعري فيبدوا أن امرأة العزيز سئمت تجاهل سيدنا يوسف لتلميحاتها المستمرة وإباءه . فقررت أن تغير خطتها .. خرجت من التلميح إلى التصريح .. أغلقت الأبواب ومرقت أقنعة الحياء وصرحت بحبها وطالبته بنفسه .

ثم يتجاوز السياق القرآني الحوار الذي دار بين امرأة العزيز و سيدنا يوسف عليه السلام ، ولنا أن نتصور كيف حاولت إغراءه إما بلباسها أو كلماتها أو حركاتها .. لكن ما يهمنا هنا هو موقف سيدنا يوسف عليه السلام من هذا الإغواء .

يقف هذا النبي الكريم في وجه سيدته قائلا : ((مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ)) أعيذ نفسي بالله أن أفعل هذا مع زوجة من أكرمني بأن نجاني من الجب وجعل في هذه الدار مثواي الطيب الآمن ، ولا يفلح الظالمون الذين يتجاوزون حدود الله ، فيرتكبون ما

[1] سورة يوسف آية ٢٣ ، ٢٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تدعيني اللحظة إليه .

ثم (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ) اتفق المفسرون حول همها بالمعصية ، واختلفوا حول همه .. فمنهم من أخذ بالإسرائيليات وذكر أن سيدنا يعقوب ظهر له ، أو جبريل نزل إليه ، لكن التلفيق والاختلاق ظاهر في هذه الروايات الإسرائيلية .. ومن قائل : إنها همت به تقصد المعصية وهم بها يقصد المعصية و لم يفعل .. ومن قائل : إنها همت به لتقبله وهم بها ليضربها .. ومن قائل : إن هذا الهم كان بينهما قبل الحادث ، كان حركة نفسية داخل نفس سيدنا يوسف في السن التي اجتاز فيها فترة المراهقة ، ثم صرف الله عنه .. وأفضل تفسير تطمئن إليه نفسي أن هناك تقديما وتأخيرا في الآية .

قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة ، فلما أتيت على قوله تعالى : (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا) قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير .. بمعنى ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها .. يستقيم هذا التفسير مع عصمة الأنبياء .. كما يستقيم مع روح الآيات التي تلحقه مباشرة (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ) وهذه الآية التي تثبت أن سيدنا يوسف من عباد الله المخلصين ، تقطع في نفس الوقت بنجاته من سلطان الشيطان .. قال تعالى لإبليس يوم الخلق ((إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ)) [1] .. وما دام سيدنا يوسف من عباده المخلصين ، فقد وضح الأمر بالنسبة إليه .. لا يعني هذا أن سيدنا يوسف كان يخلو من مشاعر الرجولة ، ولا يعني هذا أنه كان في نقاء الملائكة .. إنما يعني أنه تعرض لإغراء طويل قاومه فلم تمل نفسه يوما ، ثم أسكنها تقواها لأنه كان مطلعا على برهان ربه ، عارفا أنه يوسف بن يعقوب النبي ، ابن إسحق النبي ، ابن إبراهيم جد الأنبياء وخليل الرحمن .

يبدو أن سيدنا يوسف عليه السلام آثر الانصراف متجها إلى الباب حتى لا يتطور الأمر أكثر .. لكن

---

[1] سورة الحجر آية ٤٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

امرأة العزيز لحقت به لتمسكه ، تدفعها الشهوة لذلك .. فأمسكت قميصه من الخلف ، فتمزق في يدها .. وهنا تقطع المفاجأة .. فتح الباب زوجها " العزيز " .. وهنا تبدى المرأة المكتملة ، فتجد الجواب حاضرا على السؤال البديهي الذي يطرح الموقف .. فتقول متهمة الفتى : ((مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [1] ..

واقترحت هذه المرأة – العاشقة– سريعا العقاب – المأمون– الواجب تنفيذه على سيدنا يوسف ، خشية أن يفتك به العزيز من شدة غضبه .. بيّنت للعزيز أن أفضل عقاب له هو السجن .. بعد هذا الاتهام الباطل والحكم السريع جهر يوسف بالحقيقة ليدافع عن نفسه : ((قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي)) [2] .

تجاوز السياق القرآني رد الزوج ، لكنه بين كيفية تبرأة سيدنا يوسف عليه السلام من هذه التهمة الباطلة : ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾)) [3] .

لا نعلم إن كان الشاهد مرافقا للزوج منذ البداية ، أم أن العزيز استدعاه بعد الحادثة ليأخذ برأيه .. كما أشارت بعض الروايات أن هذا الشاهد رجل كبير ، بينما أخبرت روايات أخرى أنه طفل رضيع .. كل هذا جائز .. وهو لا يغير من الأمر شيئا .. ما يذكره القرآن أن الشاهد أمرهم بالنظر للقميص ، فإن كان ممزقا من الأمام فذلك من أثر مدافعتها له وهو يريد الاعتداء عليها فهي صادقة وهو كاذب .. وإن كان قميصه ممزقا من الخلف فهو إذن من أثر تملصه منها وتعقبها هي له حتى الباب ، فهي كاذبة وهو صادق .. ((فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ من دُبُرٍ قال إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)) [4] .

---

[1] سورة يوسف آية ٢٥ .
[2] سورة يوسف آية ٢٦ .
[3] سورة يوسف .
[4] سورة يوسف آية ٢٨ .

فتأكد الزوج من خيانة زوجته عندما رأى قميص سيدنا يوسف ممزق من الخلف .. لكن الدم لم يثر في عروقه و لم يصرخ و لم يغضب .. فرضت عليه قيم الطبقة الراقية التي وقع فيها الحادث أن يواجه الموقف بلباقة وتلطف .. نسب ما فعلته إلى كيد النساء عموما .. وصرح بأن كيد النساء عموم عظيم .. وهكذا سيق الأمر كما لو كان ثناء يساق .. ولا نحسب أنه يسوء المرأة أن يقال لها : (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) ، فهو دلالة على أنـــها أنثى كاملة مستوفية لمقدرة الأنثى على الكيد .. بعدها التفت الزوج إلى سيدنا يوسف قائلا له: ((يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا)) [1] : أهْمِل هذا الموضوع ولا تعره اهتماما ولا تتحدث به .. هذا هو المهم .. المحافظة على الظواهر .. ثم يوجه عظة – مختصرة – للمرأة التي ضبطت متلبسة بمراودة فتاها عـــن نفســـها وتمزيـــق قميصـــه : ((وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ)) .

انتهى الحادث الأول .. لكن الفتنة لم تنته .. فلم يفصل سيد البيت بين المرأة وفتاها .. كل مـــا طلبه هو إغلاق الحديث في هذا الموضوع .. غير أن هذا الموضوع بالذات وهذا الأمر يصـــعب تحقيقه في قصر يمتلئ بالخدم والخادمات والمستشارين والوصيفات .

- **المشهد الثاني :**

بدأ الموضوع ينتشر .. خرج من القصر إلى قصور الطبقة الراقية يومها .. ووجدت فيه نساء هذه الطبقة مادة شهية للحديث .. إن خلو حياة هذه الطبقات من المعنى ، وانصرافها إلى اللهو ، يخلعان أهمية قصوى على الفضائح التي ترتبط بشخصيات شهيرة .. وزاد حديث المدينة ((وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝)) [2] وانتقل الخبر من فم إلى فم .. ومن بيت إلى بيت .. حتى وصل لامرأة العزيز .

---

[1] سورة يوسف آية ٢٩ .

[2] سورة يوسف آية ٣٠ .

www.alukah.net

● المشهد الثالث :

((فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾)) [1] .

عندما سمعت امرأة العزيز بما تتناقله نساء الطبقة العليا عنها ، قررت أن تعد مأدبة كبيرة في القصر .. وأعدت الوسائد حتى يتكئ عليها المدعوات .. واختارت ألوان الطعام والشراب وأمرت أن توضع السكاكين الحادة إلى جوار الطعام المقدم .. ووجهت الدعوة لكل من تحدثت عنها .. وبينما هن مشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة ، فاجأتهن بسيدنا يوسف (وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) .. (فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ) بُهِتْنَ لطلعته ، ودهشن .. (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة .. (وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ) وهي كلمة تنزيه تقال في هذا الموضع تعبيرا عن الدهشة بصنع الله .. (مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) يتضح من هذه التعبيرات أن شيئا من ديانات التوحيد تسربت لأهل ذلك الزمان .

ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها ، وأنهن لقين من طلعة سيدنا يوسف الدهش والإعجاب والذهول .. فقالت قولة المرأة المنتصرة ، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها ، والتي تفتخر عليهن بأن هذا متناول يدها ؛ وإن كان قد استعصم في المرة الأولى فهي ستحاول المرة تلو الأخرى إلى أن يلين : انظرن ماذا لقيتن منه من البهر والدهش والإعجاب ! لقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه لكنه استعصم ، وإن لم يطعني سآمر بسجنه لأذلّه .

إنها لم تر بأسا من الجهر بنزواتها الأنثوية أمام نساء طبقتها .. فقالتها بكل إصرار وتبجح ، قالتها مبيّنة أن الإغراء الجديد تحت التهديد .

---

[1] سورة يوسف .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

واندفع النسوة كلهم إليه يراودنه عن نفسه .. كل منهن أرادته لنفسها .. ويدلنا على ذلك أمران : الدليل الأول هو قول سيدنا يوسف عليه السلام ((رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ)) [1] فلم يقل (ما تدعوني إليه) .. والأمر الآخر هو سؤال الملك لهم فيما بعد ((قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ)) [2] .

أمام هذه الدعوات - سواء كانت بالقول أم بالحركات واللفتات - استنجد سيدنا يوسف بربه ليصرف عنه محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن ، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم ، فيقع فيما يخشاه على نفسه .. دعى سيدنا يوسف الله دعاء الإنسان العارف ببشريته ، الذي لا يغتر بعصمته ؛ فيريد مزيدا من عناية الله وحياطته ، ويعاونه على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء .. ((قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ)) واستجاب له الله .. وصرف عنه كيد النسوة .. وهذا الصرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهن من استجابته لهن ، بعد هذه التجربة .. أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتى ما يحس في نفسه أثرا منه .. أو بهما جميعا ..

وهكذا اجتاز سيدنا يوسف المحنة الثانية بلطف الله ورعايته ، فهو الذي سمع الكيد ويسمع الدعاء ، ويعلم ما وراء الكيد وما وراء الدعاء .. ما انتهت المحنة الثانية إلا لتبدأ الثالثة .. لكن هذه الثالثة هي آخر محن الشدة .

- **يسجن سيدنا يوسف عليه السلام والفصل الثالث من حياته :**

ربما كان دخوله للسجن بسبب انتشار قصته مع امرأة العزيز ونساء طبقتها .. فلم يجد أصحاب هذه البيوت طريقة لإسكات هذه الألسنة سوى سجن هذا الفتى الذي دلت كل الآيات على براءته ، لتنسى القصة .. قال تعالى في سورة (يوسف) : ((ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۝)) .

---

[1] سورة يوسف آية ٣٣ .

[2] سورة يوسف آية ٥١ .

www.alukah.net

وهكذا ترسم الآية الموجزة جو هذا العصر بأكمله .. جو الفساد الداخلي في القصور .. جو الأوساط الأرستقراطية .. وجو الحكم المطلق .

إن حلول المشكلات في الحكم المطلق هي السجن .. وليس هذا بغريب على من يعبد آلهة متعددة .. كانوا على عبادة غير الله .. ولقد رأينا من قبل كيف تضيع حريات الناس حين ينصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره .. وها نحن أولاء نرى في قصة سيدنا يوسف شاهدا حيا يصيب حتى الأنبياء .. صدر قرارا باعتقاله وأدخل السجن بلا قضية ولا محاكمة ، ببساطة ويسر .. لا يصعب في مجتمع تحكمه آلهة متعددة أن يسجن بريء .. بل لعل الصعوبة تكمن في محاولة شيء غير ذلك .

دخل سيدنا يوسف السجن ثابت القلب هادئ الأعصاب أقرب إلى الفرح لأنه نجا من إلحاح زوجة العزيز ورفيقاتها ، وثرثرة وتطفلات الخدم .. كان السجن بالنسبة إليه مكانا هادئا يخلو فيه ويفكر في ربه .

- **ويبين لنا القرآن الكريم المشهد الأول من هذا الفصل :**

يختصر السياق القرآني ما كان من أمر سيدنا يوسف في السجن .. لكن الواضح أن سيدنا يوسف عليه السلام انتهز فرصة وجوده في السجن ، ليقوم بالدعوة إلى الله .. مما جعل السجناء يتوسمون فيه الطيبة والصلاح وإحسان العبادة والذكر والسلوك .

انتهز سيدنا يوسف عليه السلام هذه الفرصة ليحدث الناس عن رحمة الخالق وعظمته وحبه لمخلوقاته ، كان يسأل الناس : أيهما أفضل : أن ينهزم العقل ويعبد أربابا متفرقين ، أم ينتصر العقل ويعبد رب الكون العظيم ؟ .. وكان يقيم عليهم الحجة بتساؤلاته الهادئة وحواره الذكي وصفاء ذهنه ، ونقاء دعوته .

وفي أحد الأيام ، قَدِمَ له سجينان يسألانه تفسير أحلامهما ، بعد أن توسما في وجهه الخير .. إن أول ما قام به سيدنا يوسف عليه السلام هو طمأنتهما أنه سيؤول لهم الرؤى ، لأن ربه علمه علما خاصا جزاء على تجرده هو وآباؤه من قبله لعبادته وحده وتخلصه من عبادة الشركاء .. وبذلك يكسب ثقتهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما ، كما يكسب ثقتهما كذلك لدينه ..

ثم بدأ بدعوتهما إلى التوحيد ، وتبيان ما هم عليه من الضلال .. قام بكل هذا برفق ولطف ليدخل إلى النفوس بلا مقاومة .

بعد ذلك فسر لهما الرؤى .. بيّن لهما أن أحدها سيصلب ، والآخر سينجو ، وسيعمل في قصر الملك .. لكنه لم يحدد من هو صاحب البشرى ومن هو صاحب المصير السيئ تلطفا وتحرجا من المواجهة بالشر والسوء .. وتروي بعض التفاسير أن هؤلاء الرجلين كانا يعملان في القصر، أحدهما طباخا ، والآخر يسقي الناس ، وقد اتهما بمحاولة تسميم الملك .

أوصى سيدنا يوسف من سينجو منهما أن يذكر حاله عند الملك .. لكن الرجل لم ينفذ الوصية .. فربما ألهته حياة القصر المزدحمة عن يوسف وأمره .. فلبث في السجن بضع سنين .. أراد الله بهذا أن يُعَلِّم سيدنا يوسف عليه السلام درسا .

فقد ورد في إحدى الرويات أنه جاءه جبريل قال : يا يوسف من نجّاك من إخوتك ؟ .. قال : الله .. قال : من أنقذك من الجب ؟ .. قال : الله .. قال : من حررك بعد أن صرت عبدا ؟ .. قال : الله .. قال : من عصمك من النساء ؟ .. قال : الله .. قال : فعلام تطلب النجاة من غيره ؟ .. وقد يكون هذا الأمر زيادة في كرم الله عليه واصطفاءه له ، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بعبد .

- **المشهد الثاني :**

في هذا المشهد تبدأ نقطة التحول .. التحول من محن الشدة إلى محن الرخاء .. من محنة العبودية والرق لمحنة السلطة والملك .

في قصر الحكم .. وفي مجلس الملك .. يحكي الملك لحاشيته رؤياه طالبا منهم تفسيرا لها.. ((وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ)) [1] .. لكن المستشارين

---

[1] سورة يوسف آية ٤٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والكهنة لم يقوموا بالتفسير .. ربما لأنهم لم يعرفوا تفسيرها ، أو أنهم أحسوا أنها رؤيا سوء فخشوا أن يفسروها للملك ، وأرادوا أن يأتي التفسير من خارج الحاشية – التي تعودت على قول كل ما يُسِرُّ الملك فقط .. وعللوا عدم التفسير بأن قالوا للملك أنها أجزاء من أحلام مختلطة ببعضها البعض ، ليست رؤيا كاملة يمكن تأويلها .

- **المشهد الثالث :**

وصل الخبر إلى الساقي الذي نجا من السجن .. تداعت أفكاره وذكره حلم الملك بحلمه الذي رآه في السجن .. وذكره السجن بتأويل سيدنا يوسف لحلمه .. وأسرع إلى الملك وحدثه عن سيدنا يوسف .. قال له : إن يوسف هو الوحيد الذي يستطيع تفسير رؤياك .. وأرسل الملك ساقيه إلى السجن ليسأل سيدنا يوسف .. ويبين لنا الحق سبحانه كيف نقل الساقي رؤيا الملك لسيدنا يوسف بتعبيرات الملك نفسها ، لأنه هنا بصدد تفسير حلم ، وهو يريد أن يكون التفسير مطابقا تماما لما رءاه الملك .. وكان الساقي يسمي سيدنا يوسف بالصديق ، أي الصادق الكثير الصدق .. وهذا ما جربه من شأنه من قبل .

جاء الوقت واحتاج الملك إلى رأي سيدنا يوسف .. ((وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)) .. سُئِل سيدنا يوسف عن تفسير حلم الملك .. فلم يشترط خروجه من السجن مقابل تفسيره .. لم يساوم و لم يتردد و لم يقل شيئا غير تفسير الرؤيا .. هكذا ببراءة النبي حين يلجأ إليه الناس فيعيثهم .. وإن كان هؤلاء أنفسهم سجَّانيه وجلاَّديه .

لم يقم سيدنا يوسف عليه السلام بالتفسير المباشر المجرد للرؤيا .. وإنما قدم مع التفسير النصح وطريقة مواجهة المصاعب التي ستمر بها مصر .. أفهم سيدنا يوسف رسول الملك أن مصر ستمر عليها سبع سنوات مخصبة تجود فيها الأرض بالغلات .. وعلى المصريين ألا يسرفوا في هذه السنوات السبع .. لأن وراءها سبع سنوات مجدبة ستأكل ما يخزنه المصريون .. وأفضل خزن للغلال أن تترك في سنابلها كي لا تفسد أو يصيبها السوس أو يؤثر عليها الجو .

بهذا انتهى حلم الملك .. وزاد سيدنا يوسف تأويله لحلم الملك بالحديث عن عام لم يحلم به

الملك ، عام من الرخاء ، عام يغاث فيه الناس بالزرع والماء ، وتنمو كرومهم فيعصرون خمرا ، وينمو سمسمهم وزيتونهم فيعصرون زيتا .. كان هذا العام الذي لا يقابله رمز في حلم الملك علما خاصا أوتيه يوسف ، فبشر به الساقي ليبشر به الملك والناس .

- **المشهد الرابع :**

عاد الساقي إلى الملك .. أخبره بما قال سيدنا يوسف .. دهش الملك دهشة شديدة .. من هذا السجين !.. إنه يتنبأ لهم بما سيقع ، ويوجههم لعلاجه دون أن ينتظر أجرا أو جزاء ، أو يشترط خروجا أو مكافأة ! .. فأصدر الملك أمره بإخراج سيدنا يوسف من السجن وإحضاره فورا إليه .. ذهب رسول الملك إلى السجن .. ولا نعرف إن كان هو الساقي الذي جاءه أول مرة ، أم أنه شخصية رفيعة مكلفة بهذه الشؤون .. ذهب إليه في سجنه .. رجا منه أن يخرج للقاء الملك فهو يطلبه على عجل .. رفض سيدنا يوسف أن يخرج من السجن إلا إذا ثبتت براءته .. لقد رباه ربه وأدبه .. ولقد سكبت هذه التربية وهذا الأدب في قلبه السكينة والثقة والطمأنينة .. ويظهر أثر التربية واضحا في الفارق بين الموقفين : الموقف الذي يقول يوسف فيه للفتى : اذكرني عند ربك ، والموقف الذي يقول فيه : ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة الاتي قطعن أيدهن ، الفارق بين الموقفين كبير .

- **المشهد الخامس :**

تجاوز السياق القرآني عما حدث بين الملك ورسوله ، ورد فعل الملك ، ليقف بنا أمام المحاكمة .. وسؤال الملك لنساء الطبقة العليا عما فعلنه مع سيدنا يوسف .. يبدو أن الملك سأل عن القصة ليكون على بينة من الظروف قبل أن يبدأ التحقيق .. لذلك جاء سؤاله دقيقا للنساء .. فاعترف النساء بالحقيقة التي يصعب إنكارها ((قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ من سُوءٍ)) [1] .

وهنا تتقدم المرأة المحبة لسيدنا يوسف ، التي يئست منه ، ولكنها لا تستطيع أن تخلص من تعلقها

---

[1] سورة يوسف آية ٥١ .

www.alukah.net

به .. تتقدم لتقول كل شيء بصراحة .. يصور السياق القرآني لنا اعتراف امرأة العزيز ، بألفاظ موحية ، تشي بما وراءها من انفعالات ومشاعر عميقة ((أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)) .. شهادة كاملة بإثمها هي ، وبراءته ونظافته وصدقه هو .. شهادة لا يدفع إليها خوف أو خشية أو أي اعتبار آخر .. يشي السياق القرآني بحافز أعمق من هذا كله .. حرصها على أن يحترمها الرجل الذي أهان كبرياءها الأنثوية ، و لم يعبأ بفتنتها الجسدية .. ومحاولة يائسة لتصحيح صورتـــها في ذهنه .. لا تريده أن يستمر على تعاليه واحتقاره لها كخاطئة .. تريد أن تصحح فكرته عنها : ((ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ)) .. لستُ بـــهذا السوء الذي يتصوره فِيَّ .. ثم تمضي في هذه المحاولة والعودة إلى الفضيلة التي يحبها يوسف ويقدرها ((وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ)) .. وتمضي خطوة أخرى في هذه المشاعر الطيبة ((وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٣)) .

إن تأمل الآيات يوحي بأن امرأة العزيز قد تحولت إلى دين يوسف .. تحولت إلى التوحيد .. إن سجن سيدنا يوسف كان نقلة هائلة في حياتـــها .. آمنت بربه واعتنقت ديانته .

ويصدر الأمر الملكي بالإفراج عنه وإحضاره .

يهمل السياق القرآني بعد ذلك قصة امرأة العزيز تماما ، يسقطها من المشاهد ، فلا نعرف مـــاذا كان من أمرها بعد شهادتـــها الجريئة التي أعلنت فيها ضمنا إيمانـــها بدين يوسف .. وقد لعبت الأساطير دورها في قصة المرأة .. قيل : إن زوجها مات وتزوجت من سيدنا يوسف ، فاكتشف أنـــها عذراء ، واعترفت له أن زوجها كان شيخا لا يقرب النساء .. وقيل : إن بصرها ضـــاع بسبب استمرارها في البكاء على سيدنا يوسف ، خرجت من قصرها وتاهت في طرقات المدينة ، فلما صار سيدنا يوسف كبيرا للوزراء ، ومضى موكبه يوما هتفت به امرأة ضريرة تتكفف الناس : سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية ، وجعل العبيد ملوكا بالطاعة .. سأل سيدنا يوســـف : صوت من هذا ؟ .. قيل له : امرأة العزيز ، انحدر حالها بعد عز .. واستدعاها سيدنا يوســـف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وسألها : هل تجدين في نفسك من حبك لي شيئا ؟ .. قالت : نظرة إلى وجهك أحب إلي من الدنيا يا يوسف .. ناولني نهاية سوطك .. فناولها .. فوضعته على صدرها ، فوجد السوط يهتز في يده اضطرابا وارتعاشا من خفقان قلبها .

وقيلت أساطير أخرى ، يبدو فيها أثر المخيلة الشعبية وهي تنسج قمة الدراما بانهيار العاشقة إلى الحضيض .. غير أن السياق القرآني تجاوز تماما نهاية المرأة .

أغفلها من سياق القصة ، بعد أن شهدت لسيدنا يوسف .. وهذا يخدم الغرض الديني في القصة ، فالقصة أساسا قصة يوسف وليست قصة المرأة .. وهذا أيضا يخدم الغرض الفني .. لقد ظهرت المرأة ثم اختفت في الوقت المناسب .. اختفت في قمة مأساتها .. وشَابَ اختفاءها غموض في معجز .. ولربما بقيت في الذاكرة باختفائها هذا زمنا أطول مما كانت تقضيه لو عرفنا بقية قصتها .

- **ويبدأ فصل جديد من فصول حياة سيدنا يوسف عليه السلام :**

بعد ما رأى الملك من أمر سيدنا يوسف : براءته ، وعلمه ، وعدم تهافته على الْمُلك .. عرف أنه أمام رجل كريم ، فلم يطلبه ليشكره أو يثني عليه ، وإنما طلبه ليكون مستشاره .. وعندما جلس معه وكلمه ، تحقق له صدق ما توسمه فيه .. فطمئنه على أنه ذو مكانة وفي أمان عنده .. فماذا قال سيدنا يوسف ؟ ..

لم يُغرق الملك شكرا ، ولم يقل له : عشت يا مولاي ، وأنا عبدك الخاضع أو خادمك الأمين ، كما يفعل المتملقون للطواغيت ؛ كلا إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة .

كما وأورد القرطبي في تفسيره : أن الملك قال فيما قاله : لو جمعت أهل مصر ما أطاقوا هذا الأمر.. ولم يكونوا فيه أمناء .

كان الملك يقصد الطبقة الحاكمة وما حولها من طبقات .. إن العثور على الأمانة في الطبقة المترفة شديد الصعوبة .

اعتراف الملك لسيدنا يوسف بهذه الحقيقة زاد من عزمه على تولي هذا الأمر ، لإنقاذ مصر وما

www.alukah.net

حولها من البلاد من هذه المجاعة .. قال سيدنا يوسف : ((ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ)) [1] .. لم يكن سيدنا يوسف في كلمته يقصد النفع أو الاستفادة .. على العكس من ذلك .. كان يحتمل أمانة إطعام شعوب جائعة لمدة سبع سنوات .. شعوب يمكن أن تمزق حكامها لو جاعت .. كان الموضوع في حقيقته تضحية من يوسف .

لا يثبت السياق القرآني أن الملك وافق .. فكأنما يقول القرآن الكريم إن الطلب تضمن الموافقة .. زيادة في تكريم سيدنا يوسف ، وإظهار مكانته عند الملك .. يكفي أن يقول ليجاب .. بل ليكون قوله هو الجواب ، ومن ثَمَّ يحذف رد الملك .. ويفهمنا شريط الصور المعروضة أن سيدنا يوسف قد صار في المكان الذي اقترحه .

وهكذا .. مكن الله ليوسف في الأرض .. صار مسؤولا عن خزائن مصر واقتصادها.. صار كبيرا للوزراء .. وجاء في رواية أن الملك قال لسيدنا يوسف : يا يوسف ليس لي من الحكم إلا الكرسي .. ولا ينبئنا السياق القرآني كيف تصرف سيدنا يوسف في مصر.. نعرف أنه حكيم عليم .. نعرف أنه أمين وصادق .. لا خوف إذن على اقتصاد مصر .

- **المشهد الثاني من هذا الفصل :**

دارت عجلة الزمن .. طوى السياق دورتها ، ومر مرورا سريعا على سنوات الرخاء ، وجاءت سنوات المجاعة .. وهنا يغفل السياق القرآني بعد ذلك ذكر الملك والوزراء في السورة كلها .. كأن الأمر كله قد صار لسيدنا يوسف الذي اضطلع بالعبء في الأزمة الخانقة الرهيبة .. وأبرز سيدنا يوسف وحده على مسرح الحوادث ، وسلط عليه كل الأضواء .

أما فعل الجدب والمجاعة فقد أبرزه السياق في مشهد إخوة يوسف ، يجيئون من البدو من أرض كنعان البعيدة يبحثون عن الطعام في مصر .. ومن ذلك ندرك اتساع دائرة المجاعة ، كما كيف صارت مصر – بتدبير سيدنا يوسف – محط أنظار جيرانها ومخزن الطعام في المنطقة كلها .

---

[1] سورة يوسف آية ٥٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لقد اجتاح الجدب والمجاعة أرض كنعان وما حولها .. فاتجه إخوة يوسف - فيمن يتجهون - إلى مصر .. وقد تسامع الناس بما فيها من فائض الغلة منذ السنوات السمان .. فدخلوا على عزيز مصر، وهم لا يعلمون أن أخاهم هو العزيز .. إنه يعرفهم فَهُمْ لم يتغيروا كثيرا .. أما سيدنا يوسف فإن خيالهم لا يتصور قط أنه العزيز ! .. وأين الغلام العبراني الصغير الذي ألقوه في الجب منذ عشرين عاما أو تزيد من عزيز مصر شبه المتوج في سنه وزيه وحرسه ومهابته وخدمه وحشمه وهيله وهيلمانه ؟! .

ولم يكشف لهم سيدنا يوسف عن نفسه .. فلا بد من دروس يتلقونها : ((فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ)) [1] .. ولكنا ندرك من السياق أنه أنزلهم منزلا طيبا ، ثم أخذ في إعداد الدرس الأول : ((وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ)) [2] .. ففهم من هذا أنه تركهم يأنسون إليه ، واستدرجهم حتى ذكروا له من هم على وجه التفصيل ، وأن لهم أخا صغيرا من أبيهم لم يحضر معهم لأن أباه يحبه ولا يطيق فراقه ، فلما جهزهم بحاجات الرحلة قال لهم : إنه يريد أن يرى أخاهم هذا .. ((قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ)) . وقد رأيتم أنني أوفي الكيل للمشترين. فسأوفيكم نصيبكم حين يجيء معكم ؛ ورأيتم أنني أكرم النزلاء فلا خوف عليه بل سيلقى مني الإكرام المعهود : ((أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ)) .

ولما كانوا يعلمون كيف يضن أبوهم بأخيهم الأصغر - وبخاصة بعد ذهاب يوسف - فقد أظهروا أن الأمر ليس ميسورا ، وإنما في طريقه عقبات من ممانعة أبيهم ، وأنهم سيحاولون إقناعه ، مع توكيد عزمهم - على الرغم من هذه العقبات - على إحضاره معهم حين يعودون : ((قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ)) [3] .. ولفظ (نراود) يصور الجهد الذي يعلمون أنهم باذلوه .

---

[1] سورة يوسف آية ٥٨ . [2] سورة يوسف آية ٥٩ . [3] سورة يوسف آية ٦١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما سيدنا يوسف فقد أمر غلمانه أن يدسوا البضاعة التي حضر بها إخوته ليستبدلوا بها القمح والعلف .. وقد تكون خليطا من نقد ومن غلات صحراوية أخرى من غلات الشجر الصحراوي ، ومن الجلود وسواها مما كان يستخدم في التبادل في الأسواق .. أمر غلمانه بدسها في رحالهم – والرحل متاع المسافر – لعلهم يعرفون حين يرجعون أنها بضاعتهم التي جاءوا بها .

- **المشهد الثالث :**

ندع سيدنا يوسف في مصر .. لنشهد يعقوب وبنيه في أرض كنعان .. رجع الأخوة إلى أبيهم .. وقبل أن ينزلوا أحمال الجمال ويفكوا متاعهم ، دخلوا على أبيهم قائلين له بعتاب : إن لم ترسل معنا أخانا الصغير في المرة القادمة فلن يعطينا عزيز مصر الطعام .. وختموا كلامهم بوعد جديد لسيدنا يعقوب عليه السلام ((وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)) [1] .. ويبدو أن هذا الوعد قد أثار كوامن سيدنا يعقوب ، فقال لأولاده : ((هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)) [2] .

وفتح الأبناء أوعيتهم ليخرجوا ما فيها من غلال .. فإذا هم يجدون فيها بضاعتهم التي ذهبوا يشترون بها مردودة إليهم مع الغلال والطعام .. ورد الثمن يشير إلى عدم الرغبة في البيع ، أو هو إنذار بذلك .. وربما كان إحراجا لهم ليعودوا لسداد الثمن مرة أخرى .

وأسرع الأبناء إلى أبيهم ((قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِي)) [3] : لم نكذب عليك .. لقد رد إلينا الثمن الذي ذهبنا نشتري به .. هذا معناه أنهم لن يبيعوا لنا إلا إذا ذهب أخونا معنا.

واستمر حوارهم مع الأب .. أفهموه أن حبه لابنه والتصاقه به يفسدان مصالحهم ، ويؤثران على اقتصادهم ، وهم يريدون أن يتزودوا أكثر ، وسوف يحفظون أخاهم أشد الحفظ وأعظمه .. وانتهى الحوار باستسلام الأب لهم .. بشرط أن يعاهدوه على العودة بابنه ، إلا إذا خرج الأمر من أيديهم وأحيط بهم .. نصحهم الأب ألا يدخلوا – وهم أحد عشر رجلا– من باب واحد من

---

[1] سورة يوسف آية ٦٣ . [2] سورة يوسف آية ٦٤ . [3] سورة يوسف آية ٦٥ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أبواب بمصر .. كي لا يستلفتوا انتباه أحد .. وربما خشي عليهم أبوهم شيئا كالسرقة أو الحسد .. لا يقول لنا السياق القرآني ماذا كان الأب يخشى ، ولو كان الكشف عن السبب مُهِمًّا لَقِيل .

- **المشهد الرابع :**

عاد إخوة يوسف الأحد عشر هذه المرة .. ((وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾))[1] .. يقفز السياق قفزا إلى مشهد سيدنا يوسف وهو يحتضن أخاه ويكشف له وحده سر قرابته ، ولا ريب أن هذا لم يحدث فور دخول الإخوة على سيدنا يوسف ، وإلا لانكشفت لهم قرابة سيدنا يوسف ، إنما وقع هذا في خفاء وتلطف ، فلم يشعر إخوته ، غير أن السياق المعجز يقفز إلى أول خاطر ساور سيدنا يوسف عند دخولهم عليه ورؤيته لأخيه .. وهكذا يجعله القرآن أول عمل ، لأنه أول خاطر ، وهذه من دقائق التعبير في هذا الكتاب العظيم .

يطوي السياق كذلك فترة الضيافة ، وما دار فيها بين سيدنا يوسف وإخوته ، ويعرض مشهد الرحيل الأخير .. ها هو ذا سيدنا يوسف يدبر شيئا لإخوته .. يريد أن يحتفظ بأخيه الصغير معه .. يعلم أن احتفاظه بأخيه سيثير أحزان أبيه ، وربما حركت الأحزان الجديدة أحزانه القديمة ، وربما ذَكَّرَهُ هذا الحادث بفقد يوسف .. يعلم سيدنا يوسف هذا كله . وها هو ذا يرى أخاه .. وليس هناك دافع قاهر لاحتفاظه به ، لماذا يفعل ما فعل ويحتفظ بأخيه هكذا ؟! .. يكشف السياق عن السر في ذلك .. إن سيدنا يوسف يتصرف بوحي من الله .. يريد الله تعالى أن يصل بابتلائه لسيدنا يعقوب إلى الذروة .. حتى إذا جاوز به منطقة الألم البشري المحتمل وغير المحتمل ، ورآه صابرا رد عليه ابنيه معا ، ورد إليه بصره .

أمر سيدنا يوسف عليه السلام رجاله أن يخفوا كأس الملك الذهبية في متاع أخيه خلسة .. وكانت الكأس تستخدم كمكيال للغلال .. وكانت لها قيمتها كمعيار في الوزن إلى جوار قيمتها كذهب

---

[1] سورة يوسف آية ٦٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خالص .. أخفى الكأس في متاع أخيه .. وتـــهيأ إخوة يوسف للرحيل ، ومعهم أخوهم .. ثم أغلقت أبواب العاصمة .. ((ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ)) [١] .. كانت صرخة الجند تعني وقوف القوافل جميعا .. وانطلق الاتـــهام فوق رؤوس الجميع كقضاء خفي غامض .. أقبل الناس ، وأقبل معهم إخوة يوسف .. ((قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ)) ؟ [٢] .. هكذا تسائل إخوة يوسف .. قال الجنود : ((نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ)) [٣] .. ضاعت كأســـه الذهبية .. ولمن يجيء بـــها مكافأة .. سنعطيه حمل بعير من الغلال .. قال إخوة يوسف ببراءة : لم نأت لنفسد في الأرض ونسرق ! .. قال الحراس (وكان يوسف قد وجههم لما يقولونه) : أيُّ جزاء تحبون توقيعه على السارق ؟ .. قال إخوة يوسف : في شريعتنا نعتبر من سرق يصبح عبدا لمن سرقه .. قال الحارس : سنطبق عليكم قانونكم الخاص .. لن نطبق عليكم القانون المصـــري الذي يقضي بسجن السارق .

كانت هذه الإجابة كيدا وتدبيرا من الله تعالى ، ألْهَمَ سيدنا يوسف أن يُحَدِّث بـــها ضباطه .. ولولا هذا التدبير الإلهي لامتنع على سيدنا يوسف أن يأخذ أخاه .. فقد كان دين الملك أو قانونه لا يقضي باسترقاق من سرق .. وبدأ التفتيش .

كان هذا الحوار على منظر ومسمع من سيدنا يوسف ، فأمر جنوده بالبدء بتفتيش رحال أخوته أولا قبل تفتيش رحل أخيه الصغير ، كي لا يثير شبهة في نتيجة التفتيش .

اطمأن إخوة يوسف إلى براءتـــهم من السرقة وتنفسوا الصعداء ، فلم يبق إلا أخوهم الصغير .. وتم استخراج الكأس من رحله .. فأمر سيدنا يوسف بأخذ أخيه عبدا ، قانونـــهم الذي طبقـــه القضاء على الحادث .

أعقب ذلك مشهد عنيف المشاعر .. إن إحساس الإخوة براحة الإنقاذ والنجاة مـــن التهمـــة ،

---

[١] سورة يوسف آية ٧٠ .

[٢] سورة يوسف آية ٧١ .

[٣] سورة يوسف آية ٧٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جعلهم يستديرون باللوم على شقيق يوسف ((قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ)) [1] إنهم يتنصلون من تهمة السرقة .. ويلقونها على هذا الفرع من أبناء يعقوب .

سمع سيدنا يوسف بأذنيه اتهامهم له ، وأحس بحزن عميق .. كتم سيدنا يوسف أحزانه في نفسه ولم يظهر مشاعره .. قال بينه وبين نفسه ((أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)) .. لم يكن هذا سبابا لهم ، بقدر ما كان تقريرا حكيما لقاعدة من قواعد الأمانة .. أراد أن يقول بينه وبين نفسه : إنكم بهذا القذف شر مكانا عند الله من المقذوف ، لأنكم تقذفون بريئين بتهمة السرقة .. والله أعلم بحقيقة ما تقولون .

سقط الصمت بعد تعليق الإخوة الأخير .. ثم انمحى إحساسهم بالنجاة ، وتذكروا سيدنا يعقوب .. لقد أخذ عليهم عهدا غليظا ، ألا يفرطوا في ابنه .. وبدءوا استرحام سيدنا يوسف : يوسف أيها العزيز .. يوسف أيها الملك .. ((إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)) [2] .. قال سيدنا يوسف بهدوء : كيف تريدون أن نترك من وجدنا كأس الملك عنده .. ونأخذ بدلا منه أنسانا آخر؟ .. هذا ظلم .. ونحن لا نظلم .

كانت هي الكلمة الأخيرة في الموقف .. وعرفوا أن لا جدوى بعدها من الرجاء ، فانسحبوا يفكرون في موقفهم المحرج أمام أبيهم حين يرجعون .

- **المشهد الخامس :**

عقدوا مجلسا يتشاورون فيه .. لكن السياق القرآني لا يذكر أقوالهم جميعا .. إنما يثبت آخرها الذي يكشف عما انتهوا إليه .. ذكر القرآن قول كبيرهم إذ ذكّرهم بالموثق المأخوذ عليهم ، كما ذكرهم بتفريطهم في سيدنا يوسف من قبل .. ثم يبين قراره الجازم : ألا يبرح مصر ، وألا يواجه أباه إلا أن يأذن أبوه ، أو يقضي الله له بحكم ، فيخضع له وينصاع . وطلب منهم أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه صراحة بأن ابنه سرق ، فأخذ بما سرق .. ذلك ما علموه شهدوا به .. أما إن كان

---

[1] سورة يوسف آية ٧٧ .

[2] سورة يوسف آية ٧٨ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بريئا ، وكان هناك أمرًا وراء هذا الظاهر لا يعلمونه ، فهم غير موكلين بالغيب .. وإن كان في شك من قولهم فليسأل أهل القرية التي كانوا فيها - أي أهل مصر- وليسأل القافلة التي كانوا فيها ، فهم لم يكونوا وحدهم ، فالقوافل الكثيرة كانت ترد مصر لتأخذ الطعام .

- **المشهد السادس :**

قال سيدنا يعقوب عليه السلام : ((بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) [1] .. (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) كلمته ذاتها يوم فقد سيدنا يوسف .. لكنه في هذه المرة يضيف إليها الأمل أن يَرُدَّ الله عليه يوسف وأخاه فيرد ابنه الآخر المتخلف هناك .

سيدنا يعقوب عليه السلام كان بكاؤه شكوى إلى الله لا يعلمها إلا الله .. ثم لاحظ أبناؤه أنه لم يعد يبصر ورجحوا أنه يبكي على يوسف ، وهاجموه في مشاعره الإنسانية كأب .. حذروه بأنه سيهلك نفسه : ((قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) [2]

ردهم جوابُ سيدنا يعقوب إلى حقيقة بكائه .. إنه يشكو همه إلى الله .. ويعلم من الله ما لا يعلمون .. فليتركوه في بكائه وليصرفوا همهم لشيء أجدى عليهم .. إنه يكشف لهم في عمق أحزانه عن أمله في روح الله .. إنه يشعر بأن سيدنا يوسف لم يمت كما أنبئوه .. لم يزل حيا ، فليذهب الإخوة بحثا عنه .. وليكن دليلهم في البحث ، هذا الأمل العميق في الله .

- **المشهد السابع :**

تحركت القافلة في طريقها إلى مصر .. إخوة يوسف في طريقهم إلى العزيز .. تدهور حالهم الاقتصادي وحالهم النفسي .. إن فقرهم وحزن أبيهم ومحاصرة المتاعب لهم ، قد هدت قواهم تماما .. ها هم أولاء يدخلون على سيدنا يوسف .. معهم بضاعة رديئة .. جاءوا بثمن لا يتيح

---

[1] سورة يوسف آية ٨٣ .

[2] سورة يوسف آية ٨٥ ، ٨٦ .

لهم شراء شيء ذي بال .. وعندما دخلوا على سيدنا يوسف عليه السلام رجوه أن يتصدق عليهم .. انتهى الأمر بهم إلى التسول .. إنهم يسألونه أن يتصدق عليهم .. ويستميلون قلبه بتذكيره أن الله يجزي المتصدقين .

عندئذ .. وسط هوانهم وانحدار حالهم .. حدثهم سيدنا يوسف بلغتهم ، بغير واسطة ولا مترجم : ((قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ)) [1] .. يكاد الحوار يتحرك بأدق تعبير عن مشاعرهم الداخلية ..فاجأهم عزيز مصر بسؤالهم عما فعلوه بيوسف .. كان يتحدث بلغتهم فأدركوا أنه سيدنا يوسف ..وراح الحوار يمضي فيكشف لهم حطيئتهم معه .. لقد كادوا له وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

مرت السنوات ، وذهب كيدهم له ونفذ تدبير الله المحكم الذي يقع بأعجب الأسباب .. كان إلقاؤه في البئر هو بداية صعوده إلى السلطة والحكم . وكان إبعادهم له عن أبيه سببا في زيادة حب سيدنا يعقوب له .. وها هو ذا يملك رقابهم وحياتهم ، وهم يقفون في موقف استجداء عطفه .. إنهم يختمون حوارهم معه بقولهم : إن روح الكلمات واعترافهم بالخطأ يشيان بخوف مبهم غامض يجتاح نفوسهم .. ولعلهم فكروا في انتقامه منهم وارتعدت فرائصهم.. ولعل سيدنا يوسف أحس ذلك منهم فطمأنهم بقوله : لا مؤاخذة ، ولا لوم ، انتهى الأمر من نفسي وذابت جدوره .. لم يقل لهم إني أسامحكم أو أعفر لكم ، إنما دعا الله أن يغفر لهم ، وهذا يتضمن أنه عفا عنهم وتجاوز عفوه ، ومضى بعد ذلك خطوات .. دعا الله أن يغفر لهم .. وهو نبي ودعوته مستجابة .. وذلك تسامح نراه آية الآيات في التسامح .

ها هو ذا سيدنا يوسف ينهي حواره معهم بنقلة مفاجئة لأبيه .. يعلم أن أباه قد ابيضت عيناه من الحزن عليه .. يعلم أنه لم يعد يبصر .. لم يدر الحوار حول أبيه لكنه يعلم .. يحس قلبه .. خلع

---

[1] سورة يوسف .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا يوسف قميصه وأعطاه لهم ، وعادت القافلة إلى فلسطين .

- **المشهد الثامن :**

ما أن خرجت القافلة من مصر حتى قال سيدنا يعقوب عليه السلام لمن حوله في فلسطين : إني أشم رائحة يوسف ، لولا أنكم تقولون في أنفسكم أنني شيخ خَرِف لصدقتم ما أقول .. فرد عليه من حوله ((قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ۝)) [1] .. لكن المفاجأة البعيدة تقع .. وصلت القافلة .. وألقى البشير قميص يوسف على وجه سيدنا يعقوب – عليهما السلام– فارتدّ بصره .. هنا يذكر سيدنا يعقوب حقيقة ما يعلمه من ربه .. فاعترف الأخوة بخطئهم ، وطلبوا من أباهم الاستغفار لهم ، فهو نبي ودعاءه مستجاب .. إلا أن سيدنا يعقوب عليه السلام وعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح .

- **ها هو المشهد الأخير في قصة سيدنا يوسف :**

بدأت قصته برؤيا .. وها هو ذا الختام ، تأويل رؤياه : ((فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝)) [2] .

تأمل الآن مشاعره ورؤياه تتحقق .. إنه يدعو ربه ، هي دعوة واحدة .. ((تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)) [3] .

---

[1] سورة يوسف آية ٩٥ . [2] سورة يوسف آية ٩٩ ، ١٠٠ . [3] سورة يوسف آية ١٠١ .

سيدنا أيوب عليه السلام

كان سيدنا أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام ــ نبيا مرسلا كما جاء فى قوله تعالى : ((إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾)) [1] .

وكان عليه السلام كثير المال والولد فَسُلِبَ منه ذلك كله ، وابتلى فى جسده بأنواع البلاء فصبر صبرًا جميلاً حتى سار صبره مضرب الأمثال .. وقد حُكيت حول قصته حكايات شعبية لا أساس لها من الصحة ولا تمت إلى الواقع بصلة .

وقد يكون لبعض هؤلاء القصاص المعاصرين ومن سبقهم بعض العذر فى ذلك لأن كثيرًا من كتب التفسير قد مُلئت بأخبار نقلوها عن أهل الكتاب ما أنزل الله بها من سلطان ، يمجها الذوق السليم ويأباها العقل الواعى .

ونحن لا نتعرض لذكر هذه الحكايات التى أوردها المفسرون فى كتبهم ولكننا نقف عند نصوص القرآن ولا نعدوها إلى غيرها إلا بالقدر الذى يعيننا على فهمها فنقول : ذكر الله قصة هذا النبى الصبور فى سورة الأنبياء ، وسورة ص ، فأجمل وفصّل ، فما أجمله فى موضع فصّله فى الموضع الآخر .

فقال : ((إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا)) .. " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ " [2] .

---

[1] سورة النساء آية ١٦٣ .

[2] سورة الأنبياء آية ٨٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والضُر هو أشد أنواع البلاء .. وقد فسره الله بقوله فى سورة ص : ((وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝٤١)) ..

والنصب : هو أشد التعب ، والعذاب : هو أشد الألم .

ونفهم من هذا أن سيدنا أيوب قد مرض مرضًا شديدًا موجعًا لكنه غير مُنفر .. لأن الأنبياء منزهون عن الأمراض المنفرة وغيرها من المناظر والعادات ، كما هو معلوم من كتب العقيدة .. فكيف يقال : إنه مَرِضَ مرضًا عضالا حتى أكل الدود من جسمه ، ونفر منه قومه وألقوه فى زبالة كانت لهم !! .. إن هذا لَمُنْكَرٌ من القول وزورا .

ويقول الله تعالى : ((فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ)) [١] .

ويبين فى سورة "ص" الكيفية التى كشف بها ضره فيقول : ((ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝٤٢)) [٢] .. أى استجبنا له دعاءه فأمرناه أن يضرب الأرض برجله ، فضربها فانبعثت منها عين ماء ، وأشرنا عليه أن يغتسل منها ويشرب ، فلما اغتسل منها وشرب برئ من أدوائه كلها ، وصار سليما معافى كأن لم يكن به علة ، فكان دواؤه تحت قدميه وأقرب شئ إليه ، ولكن لكل أجل كتاب .

وقال : ((وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ)) [٣] .. وقال : ((وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٤٣)) " [٤] .. ففى كل من الآيتين إجمال وتفصيل .

فآية سورة "ص" تدل على أن الإتيان هبة من لدنه .. وهبة الأهل ومثلهم معهم فى العدد لا يكون إلا بأن يتزوج سيدنا أيوب بنساء كثيرات فينجب من الأولاد ضعف العدد الذى مات ، لا أن

---

[١] سورة الأنبياء آية ٨٤ .
[٢] سورة ص آية ٤٢ .
[٣] سورة الأنبياء آية ٨٤ .
[٤] سورة ص آية ٤٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله أحياهم له بعد موتـــهم كما يقول القصاص ، فهذا أمر لم يُنص عليه فى الآية .

ولفظ الهبة يدل على أن الموهوب شئ لم يكن بيد الموهوب له من قبل ، فهو لفظ يســتعمل فى المنح المتجددة ، كما قال جل شأنه : ((يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ)) [1] .

وهذه القصة وصفت فى سورة الأنبياء بأنـــها ذكرى للعابدين ، ووصـــفت فى ســـورة "ص" بأنـــها ذكرى لأولى الألباب ، لبيان أن العابدين هم أولوا الألباب ، لأنـــهم عرفوا الله فعبـــدوه واستمروا فى عبادته وطاعته مخلصين له الدين .

وزادت سورة "ص" على ما فى سورة الأنبياء أمرًا آخر له تعلق بالقصة وفيه بيان ليسر الدين الذى ارتضاه الله لعباده وفطرهم عليه ، فقد روى أن سيدنا أيوب عليه السلام قد حلف ليضربن امرأته مائة سوط لخطأ وقعت فيه ، ليس لنا أن نسأل عنه ، فقال : إن شفانى الله لأضربنك مائة سوط ، فلما شفاه الله ، عَزَّ عليه أن يضربـــها وقد زال ما به من الغضب وأتم الله عليه النعمة ، والعفو نـــوع من أنواع الشكر ولا سيما إذا كان العفو فى محله ، فجعل الله له من هذا الحرج مخرجا ، فأمره أن يأخذ حزمه من سعف النخل بـــها مائة سعفة فيضربـــها بـــها إبرارا بقسمه .

قال تعالى : ((وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٤٤)) [2]

لقد أُعطى سيدنا أيوب عليه السلام فشكر ، وابتُلى فصبر ، فكان مثالاً لخيار الشاكرين والصابرين .

ويُبتلى الناس بقدر إيمانـــهم ، فيكون البلاء تطهيرا لهم ، وتمحيصا لقلوبـــهم .

فقد روى ابن ماجه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أنه قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .. أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً ؟ ، قال . " الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْـــتَدَّ بَلاَؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِـــي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ " .

---

[1] سورة الشورى آية ٤٩ .

[2] سورة ص آية ٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا ذو الكفل عليه السلام

- **نبذة :**

من الأنبياء الصالحين .. وكان يصلي كل يوم مائة صلاة .. قيل إنه تكفل لسبي قومه أن يقضي بينهم بالعدل ويكفيهم أمرهم ففعل فسمي بذي الكفل .

- **سيرته :**

قال أهل التاريخ : ذو الكفل هو ابن سيدنا أيوب عليه السلام واسمه في الأصل (بشر) وقد بعثه الله بعد سيدنا أيوب وسماه ذا الكفل لأنه تكفل ببعض الطاعات فوفي بها .. وكان مقامه في الشام وأهل دمشق ، يتناقلون أن له قبرا في جبل هناك يشرف على دمشق يسمى قاسيون .. إلا أن بعض العلماء يرون أنه ليس بنبي وإنما هو رجل من الصالحين من بني إسرائيل .. وقد رجح ابن كثير نبوته لأن الله تعالى قرنه مع الأنبياء فقال عز وجل : ((وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾)) [1] .

قال ابن كثير : فالظاهر من ذِكْرِهِ في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور.

والقرآن الكريم لم يزد على ذكر اسمه في عداد الأنبياء ، أما دعوته ورسالته والقوم الذين أرسل إليهم فلم يتعرض لشيء من ذلك لا بالإجمال ولا بالتفصيل ، لذلك نمسك عن الخوض في موضوع دعوته حيث أن كثيرا من المؤرخين لم يوردوا عنه إلا الشيء اليسير .

[1] سورة الأنبياء .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا يُونُس عليه السلام

● **نبذة :**

أرسله الله إلى قوم نِينَوَى فدعاهم إلى عبادة الله وحده ولكنهم أبوا واستكبروا فتركهم وتوعدهم بالعذاب بعد ثلاث ليال فخشوا على أنفسهم فآمنوا فرفع الله عنهم العذاب ، أما سيدنا يونس فخرج في سفينة وكانوا على وشك الغرق فاقترعوا لكي يحددوا من سيُلقى من الرجال فوقع ثلاثا على سيدنا يونس فرمى نفسه في البحر فالتقمه الحوت وأوحى الله إليه أن لا يأكله فدعا سيدنا يونس ربه أن يخرجه من الظلمات فاستجاب الله له وبعثه إلى مائة ألف أو يزيدون .

● **سيرته :**

كان سيدنا يونس بن متَّى نبيا كريما أرسله الله إلى قومه قراح يعظهم ، وينصحهم ، ويرشدهم إلى الخير ، ويذكرهم بيوم القيامة ، ويخوفهم من النار ، ويحببهم إلى الجنة ، ويأمرهم بالمعروف ، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده .. وظل ذو النون - سيدنا يونس عليه السلام - ينصح قومه فلم يؤمن منهم أحد .

وجاء يوم عليه فأحس باليأس من قومه .. وامتلأ قلبه بالغضب عليهم لأنهم لا يؤمنون .. وخرج غاضبا وقرر هجرهم ووعدهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام .. ولا يذكر القرآن أين كان قوم يونس .. ولكن المفهوم أنهم كانوا في بقعة قريبة من البحر .. وقال أهل التفسير : بعث الله سيدنا يونس عليه السلام إلى أهل (نينوى) من أرض الموصل ، فقاده الغضب إلى شاطىء البحر حيث ركب سفينة مشحونة .. ولم يكن الأمر الإلهي قد صدر له بأن يترك قومه أو ييأس منهم .. فلما خرج من قريته ، وتأكد أهل القرية من نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم وصرخوا وتضرعوا إلى الله عز وجل ، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات .. وكانوا مائة ألف يزيدون ولا ينقصون .. وقد آمنوا أجمعين فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي استحقوه بتكذيبهم .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

● **أمر السفينة :**

أما السفينة التي ركبها سيدنا يونس ، فقد هاج بـــها البحر ، وارتفع من حولها المـــوج .. وكان هذا علامة عند القوم بأن من بين الركاب راكباً مغضوباً عليه لأنه ارتكب خطيئة .. وأنه لا بد أن يلقى في الماء لتنجو السفينة من الغرق .. فاقترعوا على من يلقونه من السفينة .. فخرج سهم سيدنا يونس – وكان معروفاً عندهم بالصلاح– فأعادوا القرعة ، فخرج سهمه ثانيـــة ، فأعادواها ثالثة .. ولكن سهمه خرج بشكل أكيد فألقوه في البحر – أو ألقى هو نفسه – فالتقمه الحوت لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بـــها ، وترك قومه مغاضباً قبل أن يأذن الله لـــه .. وأوحى الله للحوت أن لا يخدش ليونس لحما ولا يكسر له عظما.. واختلف المفسرون في مدة بقاء سيدنا يونس في بطن الحوت .. فمنهم من قال أن الحوت التقمه عند الضحى وأخرجه عند العشاء ، ومنهم من قال أنه لبث في بطنه ثلاثة أيام ، ومنهم من قال سبعة .

● **سيدنا يونس في بطن الحوت :**

عندما أحس بالضيق في بطن الحوت ، في الظلمات – ظلمة الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل– سبح الله واستغفره وذكر أنه كان من الظالمين .. وقال : ((لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)) [1] .. فسمع الله دعاءه واستجاب له .. فلفظـــه الحـــوت .. ((فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾)) [2] .. وقـــد خرج من بطن الحوت سقيماً عارياً على الشاطىء .. وأنبت الله عليه شجرة القرع .. قال بعض العلماء في إنبات القرع عليه حِكَم جمة : منها أن ورقه في غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربـــه ذباب ، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نياً ومطبوخاً ، وبقشره وبزره أيضاً .. وكان هذا من تدبير الله ولطفه .. وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك .. فلما استكمل عافيته رده الله إلى قومه الذين تركهم مغاضباً .

---

[1] سورة الأنبياء آية ٨٧ .

[2] سورة الصافات آية ١٤٣ ، ١٤٤ .

- **فضل سيدنا يونس عليه السلام :**

لقد وردت أحاديث كثيرة عن فضل سيدنا يونس عليه السلام ، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى " . رواه البخارى .

وقوله عليه الصلاة والسلام : " مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ ". رواه البخارى .

- **ذنب سيدنا يونس عليه السلام :**

نريد الآن أن ننظر فيما يسميه العلماء ذنب يونس .. هل ارتكب سيدنا يونس ذنبا بالمعنى الحقيقي للذنب ؟ ، وهل يذنب الأنبياء ؟ .. الجواب أن الأنبياء معصومون .. غير أن هذه العصمة لا تعني أنهم لا يرتكبون أشياء هي عند الله أمور تستوجب العتاب .. المسألة نسبية إذن ..

يقول العارفون بالله : إن حسنات الأبرار سيئات المقربين .. وهذا صحيح .. فلننظر إلى فرار سيدنا يونس من قريته الجاحدة المعاندة .. لو صدر هذا التصرف من أي إنسان صالح غير سيدنا يونس .. لكان ذلك منه حسنة يثاب عليها .. فهو قد فر بدينه من قوم مجرمين .

ولكن سيدنا يونس نبي أرسله الله إليهم .. والمفروض أن يبلغ عن الله ولا يعبأ بنهاية التبليغ أو ينتظر نتائج الدعوة .. ليس عليه إلا البلاغ .

خروجه من القرية إذن .. في ميزان الأنبياء .. أمر يستوجب تعليم الله تعالى له وعقابه .

إن الله يلقن سيدنا يونس درسا في الدعوة إليه .. ليدعو النبي إلى الله فقط .. هذه حدود مهمته وليس عليه أن يتجاوزها ببصره أو قلبه ثم يحزن لأن قومه لا يؤمنون .

ولقد خرج سيدنا يونس بغير إذن فانظر ماذا وقع لقومه .. لقد آمنوا به بعد خروجه .. ولو أنه مكث فيهم لأدرك ذلك وعرفه واطمأن قلبه وذهب غضبه .. غير أنه كان متسرعا .. وليس تسرعه هذا سوى فيض في رغبته أن يؤمن الناس ، وإنما اندفع إلى الخروج كراهية لهم لعدم إيمانهم .. فعاقبه الله وعلمه أن على النبي أن يدعو لله فحسب ، والله يهدي من يشاء .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا شعيب عليه السلام

- **نبذة :**

أُرسل سيدنا شعيب إلى قوم مدين وكانوا يعبدون الأيكة (شجرة من الأيك) وكانوا ينقصون المكيال والميزان ولا يعطون الناس حقهم فدعاهم إلى عبادة الله وأن يتعاملوا بالعدل ولكنهم أبوا واستكبروا واستمروا في عنادهم وتوعدوه بالرجم والطرد وطالبوه بأن ينزل عليهم كسفا من السماء فجاءت الصيحة وقضت عليهم جميعا .

- **دعوة سيدنا شعيب عليه السلام :**

لقد برز في قصة سيدنا شعيب أن الدين ليس قضية توحيد وألوهية فقط ، بل إنه كذلك أسلوب لحياة الناس .. أرسل الله تعالى شعيبا إلى أهل مدين .. فقال سيدنا شعيب ((يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ)) [1] نفس الدعوة التي يدعوها كل نبي .. لا تختلف من نبي إلى آخر.. لا تتبدل ولا تتردد .. هي أساس العقيدة .. وبغير هذه الأساس يستحيل أن ينهض بناء .. بعد تبيين هذا الأساس .. بدأ سيدنا شعيب في توضيح الأمور الأخرى التي جاءت بها دعوته ((وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ))

بعد قضية التوحيد مباشرة .. ينتقل النبي إلى قضية المعاملات اليومية .. قضية الأمانة والعدالة .. كان أهل مدين ينقصون المكيال والميزان ، ولا يعطون الناس حقهم ..وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد ، كما تمس كمال المروءة والشرف .. وكان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم نوعا من أنواع المهارة في البيع والشراء ، ودهاء في الأخذ والعطاء .. ثم جاء نبيهم وأفهمهم أن هذه دناءة وسرقة ..أفهمهم أنه يخاف عليهم بسببها من عذاب يوم محيط ..انظر إلى تدخل الإسلام الذي بعث به سيدنا شعيب في حياة الناس ، إلى الحد الذي يرقب فيه عملية البيع والشراء .. قال : ((وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟

---

[1] سورة هود آية ٨٤ .

فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) [1] لم يزل سيدنا شعيب ماضيا في دعوته .. ها هو ذا يكرر نصحه لهم بصورة إيجابية بعد صورة النهي السلبية ..إنه يوصيهم أن يوفوا المكيال والميزان بالقسط .. بالعدل والحق .. وهو يحذرهم أن يبخسوا الناس أشياءهم .

لنتدبر معا في التعبير القرآني القائل : (وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ) كلمة الشيء تطلق على الأشياء المادية والمعنوية .. أي أنها ليست مقصورة على البيع والشراء فقط ، بل تدخل فيها الأعمال ، أو التصرفات الشخصية .. ويعني النص تحريم الظلم ، سواء كان ظلما في وزن الفاكهة أو الخضراوات ، أو ظلما في تقييم مجهود الناس وأعمالهم .. ذلك أن ظلم الناس يشيع في جو الحياة مشاعر من الألم واليأس واللامبالاة ، وتكون النتيجة أن ينهزم الناس من الداخل ، وتنهار علاقات العمل ، وتلحقها القيم .. ويشيع الاضطراب في الحياة .. ولذلك يستكمل النص تحذيره من الإفساد في الأرض : (وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) العثو هو تعمد الإفساد والقصد إليه فلا تفسدوا في الأرض متعمدين قاصدين (بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ) ما عند الله خير لكم (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) .

بعدها يخلي بينهم وبين الله الذي دعاهم إليه .. ينحي نفسه ويفهمهم أنه لا يملك لهم شيئا .. ليس موكلا عليهم ولا حفيظا عليهم ولا حارسا لهم .. إنما هو رسول يبلغهم رسالات ربه : (وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) بهذا الأسلوب يشعر شعيب قومه بأن الأمر جد ، وخطير ، وثقيل .. إذ بين لهم عاقبة إفسادهم وتركهم أمام العاقبة وحدهم .

- **رد قوم شعيب :**

كان هو الذي يتكلم .. وكان قومه يستمعون .. توقف هو عن الكلام وتحدث قومه : ((قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾)) [2] .

---

[1] سورة هود آية ٨٥ .

[2] سورة هود آية ٨٧ .

www.alukah.net

كان أهل مدين كفارا يقطعون السبيل ، ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة .. وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها .. وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما ، ويأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص .. انظر بعد هذا كله إلى حوارهم مع شعيب : (قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ) ؟ ..

بهذا التهكم الخفيف والسخرية المندهشة .. واستهوال الأمر .. لقد تجرأت صلاة شعيب وجنت وأمرته أن يأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم .. ولقد كان آباؤهم يعبدون الأشجار والنباتات .. وصلاة شعيب تأمرهم أن يعبدوا الله وحده .. أي جرأة من شعيب ؟! .. أو فلنقل أي جرأة من صلاة شعيب ؟! .. بهذا المنطق الساخر الهازئ وجه قوم شعيب خطابهم إلى نبيهم .. ثم عادوا يتساءلون بدهشة ساخرة : (أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا) تخيل يا شعيب أن صلاتك تتدخل في إرادتنا ، وطريقة تصرفنا في أموالنا .. ما هي علاقة الإيمان والصلاة بالمعاملات المادية ؟! .

بهذا التساؤل الذي ظنه قوم شعيب قمة في الذكاء .. طرحوا أمامه قضية الإيمان ، وأنكروا أن تكون لها علاقة بسلوك الناس وتعاملهم واقتصادهم .. هذه المحاولة للتفريق بين الحياة الاقتصادية والإسلام ، وقد بعث به كل الأنبياء ، وإن اختلفت أسماؤه .. هذه المحاولة قديمة من عمر قوم شعيب .. لقد أنكروا أن يتدخل الدين في حياتهم اليومية وسلوكهم واقتصادهم وطريقة إنفاقهم لأموالهم بحرية .. إن حرية إنفاق المال أو إهلاكه أو التصرف فيه شيء لا علاقة له بالدين .. هذه حرية الإنسان الشخصية ، وهذا ماله الخاص ، ما الذي أقحم الدين على هذا وذاك ؟! .. هذا هو فَهْم قوم شعيب للإسلام الذي جاء به سيدنا شعيب ، وهو للأسف لا يختلف كثيرا أو قليلا عن فهم عديد من الأقوام في زماننا الذي نعيش فيه .. أسئلة خبيثة يطرحونها : ما للإسلام وسلوك الإنسان الشخصي وحياتهم الاقتصادية وأسلوب الإنتاج وطرق التوزيع وتصرف الناس في أموالهم كما يشاءون ؟! .. ما للإسلام وحياتنا اليومية ؟! ..

ثم يعودون إلى السخرية منه والاستهزاء بدعوته (إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ) أي لو كنت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حليما رشيدا لما قلت ما تقول .

أدرك سيدنا شعيب أن قومه يسخرون منه لاستبعادهم تدخل الدين في الحياة اليومية .. ولذلك تلطف معهم تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه ، وتجاوز سخريتهم لا يباليها ، ولا يتوقف عندها ، ولا يناقشها .. تجاوز السخرية إلى الجد .. أفهمهم أنه على بينة من ربه .. إنه نبي يعلم وهو لا يريد أن يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه ، إنه لا ينهاهم عن شيء ليحقق لنفسه نفعا منه ، إنه لا ينصحهم بالأمانة ليخلوا له السوق فيستفيد من التلاعب .. إنه لا يفعل شيئا من ذلك .. إنما هو نبي .. وها هو ذا يلخص لهم كل دعوات الأنبياء هذا التلخيص المعجز : ((إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ)) [1] إن ما يريده هو الإصلاح .. هذه هي دعوات الأنبياء في مضمونها الحقيقي وعمقها البعيد .. إنهم مُصْلِحون أساسا ، مصلحون للعقول ، والقلوب ، والحياة العامة ، والحياة الخاصة .

بعد أن بين سيدنا شعيب عليه السلام لقومه أساس دعوته ، وما يجب عليهم الالتزام به ، ورأى منهم الاستكبار ، حاول إيقاظ مشاعرهم بتذكيرهم بمصير من قبلهم من الأمم ، وكيف دمرهم الله بأمر منه .. فذكرهم قومَ نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط .. وأراهم أن سبيل النجاة هو العودة لله تائبين مستغفرين .. فالمولى غفور رحيم .

- **تحدي وتهديد القوم لسيدنا شعيب :**

لكن قوم شعيب أعرضوا عنه قائلين : ((قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا)) [2] إنه ضعيف بمقياسهم .. ضعيف لأن الفقراء والمساكين فقط اتبعوه ، أما علية القوم فاستكبروا وأصروا على طغيانهم .. إنه مقياس بشري خاطئ ، فالقوة بيد الله ، والله مع أنبيائه .. ويستمر الكفرة في تهديدهم قائلين : ((وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)) لولا أهلك وقومك ومن يتبعك لحفرنا لك حفرة وقتلناك ضربا بالحجارة .

---

[1] سورة هود آية ٨٨ .

[2] سورة هود آية ٩١ .

www.alukah.net

نرى أنه عندما أقام سيدنا شعيب عليه السلام الْحُجة على قومه غيروا أسلوبهم ، فتحولوا من السخرية إلى التهديد ، وأظهروا حقيقة كرههم له .. لكن سيدنا شعيب تلطف معهم .. تجاوز عن إساءتهم إليه وسألهم سؤالا كان هدفه إيقاظ عقولهم : ((قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ)) [1] .. يا لسذاجة هؤلاء .. إنهم يسيئون تقدير حقيقة القوى التي تتحكم في الوجود .. إن الله هو وحده العزيز .. والمفروض أن يدركوا ذلك .. المفروض ألا يقيم الإنسان وزنا في الوجود لغير الله .. ولا يخشى في الوجود غير الله .. ولا يعمل حسابا في الوجود لقوة غير الله .. إن الله هو القاهر فوق عباده .

ويبدو أن قوم شعيب ضاقوا ذرعا بشعيب .. فاجتمع رؤساء قومه ودخلوا مرحلة جديدة من التهديد .. هددوه أولا بالقتل ، وها هم أولاء يهددونه بالطرد من قريتهم .. خيروه بين التشريد ، والعودة إلى ديانتهم وملتهم التي تعبد الأشجار والجمادات .. وأفهمهم سيدنا شعيب أن مسألة عودته في ملتهم مسألة لا يمكن حتى التفكير بها فكيف بهم يسألونه تنفيذها .. لقد نجاه الله من ملتهم ، فكيف يعود إليها ؟ .. أنه هو الذي يدعوهم إلى ملة التوحيد ، فكيف يدعونه إلى الشرك والكفر ؟ .. ثم أين تكافؤ الفرص ؟ ، أنه يدعوهم برفق ولين وحب ، وهم يهددونه بالقوة .

واستمر الصراع بين قوم شعيب ونبيهم .. حمل الدعوة ضده الرؤساء والكبراء والحكام .. وبدا واضحا أن لا أمل فيهم .. لقد أعرضوا عن الله .. أداروا ظهورهم لله .. فنفض سيدنا شعيب يديه منهم .. لقد هجروا الله ، وكذبوا نبيه ، واتهموه بأنه مسحور وكاذب .. فليعمل كل واحد .. ولينتظروا جميعا أمر الله .

- **هلاك قوم شعيب :**

وانتقل الصراع إلى تحد من لون جديد .. راحوا يطالبونه بأن يسقط عليهم كسفا من السماء إن كان من الصادقين .. راحوا يسألونه عن عذاب الله .. أين هو ؟! .. وكيف هو ؟! .. ولماذا تأخر ؟! .. سخروا منه .. وانتظر سيدنا شعيب أمر الله .

[1] سورة هود آية ٩٢ .

أوحى الله إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية .. وخرج سيدنا شعيب .. وجاء أمره تعالى : ((وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾)) [1] .

هي صيحة واحدة .. صوت جاءهم من غمامة أظلتهم .. ولعلهم فرحوا بما تصوروا أنها تحمله من المطر .. ثم فوجئوا أنهم أمام عذاب عظيم ليوم عظيم .. انتهى الأمر .. أدركتهم صيحة جبارة جعلت كل واحد فيهم يجثم على وجهه في مكانه الذي كان فيه في داره .. صعقت الصيحة كل مخلوق حي .. لم يستطع أن يتحرك أو يجري أو يختبئ أو ينقذ نفسه .. جثم في مكانه مصروعا بصيحة .

[1] سورة هود آية ٩٤ ، ٩٥ .

www.alukah.net

أنبياء أهل القرية عليهم السلام

- **نبذة :**

أرسل الله رسولين لإحدى القرى لكن أهلها كذبوهما ، فأرسل الله تعالى رسولا ثالثا يصدقهما .. ولا يذكر لنا الله تعالى أسماءهم .. ويذكر لنا القرآن الكريم قصة رجل آمن بهم ودعى قومه للإيمان بما جاءوا بهن .. لكنهم قتلوه ، فأدخله الله الجنة .

- **سيرتهم :**

يحكي الحق تبارك وتعالى قصة أنبياء ثلاثة بغير أن يذكر أسمائهم .. كل ما يذكره السياق أن القوم كذبوا رسولين فأرسل الله ثالثا يعززهما .. ولم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هي القرية .. وقد اختلفت فيها الروايات .. وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها لا يزيد شيئاً في دلالة القصة وإيحائها .. لكن الناس ظلوا على إنكارهم للرسل وتكذيبهم ، وقالوا ((مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ))[1] .. وهذا الاعتراض المتكرر على بشرية الرسل تبدو فيه سذاجة التصور والإدراك ، كما يبدو فيه الجهل بوظيفة الرسول .. قد كانوا يتوقعون دائماً أن يكون هناك سر غامض في شخصية الرسول وحياته تكمن وراءه الأوهام والأساطير .. أليس رسول السماء إلى الأرض فكيف يكون شخصية مكشوفة بسيطة لا أسرار فيها ولا ألغاز حولها ؟! شخصية بشرية عادية من الشخصيات التي تمتلىء بها الأسواق والبيوت ؟!

وهذه هي سذاجة التصور والتفكير .. فالأسرار والألغاز ليست صفة ملازمة للنبوة والرسالة .. فالرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية .. وحياة الرسول هي النموذج الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي .. النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء به .. وهم بشر .. فلا بد أن يكون رسولهم من البشر ليحقق نموذجاً من الحياة يملكون هم أن يقلدوه .

[1] سورة يس آية ١٥ .

وفي ثقة المطمئن إلى صدقه ، العارف بحدود وظيفته أجابهم الرسل : إن الله يعلم ، وهذا يكفي . وإن وظيفة الرسل البلاغ .. وقد أدوه .. والناس بعد ذلك أحرار فيما يتخذون لأنفسهم من تصرف ، وفيما يحملون في تصرفهم من أوزار .. والأمر بين الرسل وبين الناس هو أمر ذلك التبليغ عن الله ؛ فمتى تحقق ذلك فالأمر كله بعد ذلك إلى الله .

ولكن المكذبين الضالين لا يأخذون الأمور هذا المأخذ الواضح السهل اليسير ؛ ولا يطيقون وجود الدعاة إلى الهدى ويعمدون إلى الأسلوب الغليظ العنيف في مقاومة الحجة لأن الباطل ضيق الصدر .. قالوا : إنا نتشاءم منكم ؛ ونتوقع الشر في دعوتكم ؛ فإن لم تنتهوا عنها فإننا لن نسكت عليكم ، ولن ندعكم في دعوتكم : ((لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [1] .. هكذا أسفر الباطل عن غشمه ؛ وأطلق على الهداة تهديده ؛ وبغى في وجه كلمة الحق الهادئة ! .. ولكن الواجب الملقى على عاتق الرسل يقضي عليهم بالمضي في الطريق .. ((قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ)) [2] .. فالقول بالتشاؤم من دعوة أو من وجه هو خرافة من خرافات الجاهلية .. وقد بين الرسل ذلك لأقوامهم وقالوا : إن حظهم ونصيبهم من خير ومن شر لا يأتيهم من خارج نفوسهم ، إنما هو معهم ، مرتبط بنواياهم وأعمالهم ، متوقف على كسبهم وعملهم .. وفي وسعهم أن يجعلوا حظهم ونصيبهم خيراً أو أن يجعلوه شراً .. فإن إرادة الله بالعبد تنفذ من خلال نفسه ، ومن خلال اتجاهه ، ومن خلال عمله .. وهو يحمل طائره معه .. هذه هي الحقيقة الثابتة القائمة على أساس صحيح .. أما التشاؤم بالأمكنة أو التشاؤم بالوجوه أو التشاؤم بالكلمات ، فهو خرافة لا تستقيم على أصل ! وقالوا لهم : (أَئِن ذُكِّرْتُم) أترجموننا وتعذبوننا لأننا نذكركم ! أفهذا جزاء التذكير؟ .. (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) تتجاوزون الحدود في التفكير والتقدير ؛ وتجازون على الموعظة بالتهديد والوعيد ؛ وتردون على الدعوة بالرجم والتعذيب ! .

---

[1] سورة يس آية ١٨ .

[2] سورة يس آية ١٩ .

www.alukah.net

● **ما كان من الرجل المؤمن :**

لا يقول لنا السياق ماذا كان من أمر هؤلاء الأنبياء ، إنما يذكر ما كان من أمر إنسان آمن بهم .. آمن بهم وحده .. ووقف بإيمانه أقلية ضعيفة ضد أغلبية كافرة .. إنسان جاء من أقصى المدينة يسعى .. جاء وقد تفتح قلبه لدعوة الحق .. فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق .. وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً ؛ ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور ؛ ولكنه سعى بالحق الذي آمن به .. سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون .. وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق ، وفي كفهم عن البغي ، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين .. ويبدو أن الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان ، ولم تكن له عشيرة تدافع عنه إن وقع له أذى .. ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها .. فقال لهم : اتبعوا هؤلاء الرسل ، فإن الذي يدعو مثل هذه الدعوة ، وهو لا يطلب أجراً ، ولا يبتغي مغنماً ، إنه لصادق .. وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء إن لم يكن يلبي تكليفاً من الله ؟ .. ما الذي يدفعه إلى حمل هم الدعوة ؟ ، ومجابهة الناس بغير ما ألفوا من العقيدة ؟ ، والتعرض لأذاهم وشرهم واستهزائهم وتنكيلهم ، وهو لا يجني من ذلك كسباً ، ولا يطلب منهم أجراً ؟ .. وهُدَاهم واضح في طبيعة دعوتهم .. فهم يدعون إلى إله واحد .. ويدعون إلى نهج واضح .. ويدعون إلى عقيدة لا خرافة فيها ولا غموض .. فهم مهتدون إلى نهج سليم ، وإلى طريق مستقيم .

ثم عاد يتحدث إليهم عن نفسه هو وعن أسباب إيمانه ، ويناشد فيهم الفطرة التي استيقظت فيه فاقتنعت بالبرهان الفطري السليم .. فلقد تسائل مع نفسه قبل إيمانه : لماذا لا أعبد الذي فطرني؟ والذي إليه المرجع والمصير؟ .. وما الذي يحيد بي عن هذا النهج الطبيعي الذي يخطر على النفس أول ما يخطر ؟ .. إن الفطرة مجذوبة إلى الذي فطرها ، تتجه إليه أول ما تتجه ، فلا تنحرف عنه إلا بدافع آخر خارج على فطرتها .. والتوجه إلى الخالق هو الأولى .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم يبين ضلال المنهج المعاكس .. منهج من يعبد آلهة غير الرحمن لا تضر ولا تنفع .. وهل أضل ممن يدع منطق الفطرة الذي يدعو المخلوق إلى عبادة خالقه ، وينحرف إلى عبادة غير الخالق بدون ضرورة ولا دافع ؟ .. وهل أضل ممن ينحرف عن الخالق إلى آلهة ضعاف لا يحمونه ولا يدفعون عنه الضر حين يريد به خالقه الضر بسبب انحرافه وضلاله ؟ .

والآن وقد تحدث الرجل بلسان الفطرة الصادقة العارفة الواضحة يقرر قراره الأخير في وجه قومه المكذبين المهددين المتوعدين .. لأن صوت الفطرة في قلبه أقوى من كل تهديد ومن كل تكذيب : ((إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥)) [1] هكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة ، وأشهدهم عليها .. وهو يوحي إليهم أن يقولوها كما قالها .. أو أنه لا يبالي بهم ماذا يقولون !

- **استشهاد الرجل ودخوله الجنة :**

ويوحي سياق القصة بعد ذلك أن القوم الكافرين قتلوا الرجل المؤمن .. وإن كان لا يذكر شيئاً من هذا صراحة .. إنما يسدل الستار على الدنيا وما فيها ، وعلى القوم وما هم فيه ؛ ويرفعه لنرى هذا الشهيد الذي جهر بكلمة الحق ، متبعاً صوت الفطرة ، وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل .. نراه في العالم الآخر .. ونطلع على ما ادخر الله له من كرامة .. تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص الشهيد : ((قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧)) [2] .

وتتصل الحياة الدنيا بالحياة الآخرة .. ونرى الموت نقلة من عالم الفناء إلى عالم البقاء .. وخطوة يخلص بها المؤمن من ضيق الأرض إلى سعة الجنة .. ومن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق .. ومن تهديد البغي إلى سلام النعيم .. ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين .

ونرى الرجل المؤمن وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة ، يذكر قومه طيب القلب رضي النفس ، يتمنى لو يراه قومه ويرون ما آتاه ربه من الرضى والكرامة ، ليعرفوا الحق ،

---

[1] سورة يس آية ٢٥ .

[2] سورة يس آية ٢٦ ، ٢٧ .

www.alukah.net

معرفة اليقين .

- **إهلاك أصحاب القرية بالصيحة :**

هذا كان جزاء الإيمان .. فأما الطغيان فكان أهون على الله من أن يرسل عليه الملائكة لتدمره .. فهو ضعيف ضـــعيف : ((وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾))[1] .. لا يطيل هنا في وصف صرع القوم ، تـــهويناً لشأنـــهم ، وتصغيراً لقدرهم .. فما كانت إلا صيحة واحدة أخمـــدت أنفاسهم .. ويسدل الستار على مشهدهم البائس المهين الذليل !

تجاوز السياق أسماء الأنبياء وقصصهم ليبرز قصة رجل آمن .. لم يذكر لنا السياق اسمه .. فاسمه لا يهم .. المهم ما وقع له .. لقد آمن بأنبياء الله .. قيل له ادخل الجنة .. فقد دخلها بفضل الله فور مقتله بعد إيمانه .

[1] سورة يس آية ٢٨ ، ٢٩ .

سيدنا موسى عليه السلام

- **نبذة :**

أرسله الله تعالى إلى فرعون وقومه ، وأيده بمعجزتين : إحداهما هي العصا التي تلقف الثعابين ، أما الأخرى فكانت يده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء .. دعا سيدنا موسى إلى وحدانية الله فحاربه فرعون وجمع له السحرة ليكيدوا له ولكنه هزمهم بإذن الله تعالى .. ثم أمره الله أن يخرج من مصر مع من اتبعه ، فطارده فرعون بجيش عظيم ، ووقت أن ظن أتباعه أنهم مدركون أمره الله أن يضرب البحر بعصاه لتكون نجاته وليكون هلاك فرعون الذي جعله الله عبرة للآخرين .

أُرسل سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام لأشد الشعوب كرها للحق وابتعادا عنه .. لذلك كانت حياتهما مليئة بالأحداث والمواقف .. ولكي نستطيع عرض هذه القصة بالشكل الصحيح تم تقسيمها إلى أربعة أجزاء ، كل جزء يتناول مرحلة من مراحل حياة هذين النبيين الكريمين .

- **أجزاء القصة :**

الجزء الأول : يتناول نشأة سيدنا موسى عليه السلام ، وخروجه من مصر إلى مدين هاربا من فرعون وجنوده ، ولقاءه بربه في الوادي المقدس .

الجزء الثاني : يتناول عوده سيدنا موسى عليه السلام لمصر داعيا إلى الله وحده ، والصراع بين سيدنا موسى وفرعون في مصر ، وغرق فرعون وجنوده .

الجزء الثالث: يتناول حياة سيدنا موسى عليه السلام مع بني إسرائيل بعد غرق فرعون ، والأحداث العظيمة التي حدثت أثناء ضياعهم في صحراء سيناء .

الجزء الرابع : يتناول بعض القصص التي حدثت لسيدنا موسى وقومه ، لكن القرآن الكريم لم يحدد لنا زمان ومكان وقوعها (مثل قصة سيدنا موسى والعبد الصالح ، وقصة قارون) .

www.alukah.net شبكة الألوكة

● سيرته :

أثناء حياة سيدنا يوسف عليه السلام بمصر تحولت مصر إلى التوحيد .. توحيد الله سبحانه .. وهي الرسالة التي كان يحملها جميع الرسل إلى أقوامهم .. لكن بعد وفاته عاد أهل مصر إلى ضلالهم وشركهم .. أما أبناء يعقوب ، أو أبناء إسرائيل ، فقد اختلطوا بالمجتمع المصري ، فضلّ منهم من ضل ، وبقي على التوحيد من بقي .. وتكاثر أبناء إسرائيل وتزايد عددهم ، واشتغلوا في العديد من الحرف .

ثم حكم مصر ملك جبار كان المصريون يعبدونه .. ورأى هذا الملك بني إسرائيل يتكاثرون ويزيدون ويملكون .. وسمعهم يتحدثون عن نبوءة تقول إن واحدا من أبناء إسرائيل سيُسْقِط فرعون مصر عن عرشه .. فأصدر الفرعون بقتل أي وليد ذكر من بني إسرائيل .. وبدأ تطبيق النظام .. ثم قال مستشارون فرعون له : إن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، والصغار يذبحون ، وهذا سيتهي إلى إفناء بني إسرائيل ، فستضعف مصر لقلة الأيدي العاملة بها ، والأفضل أن تنظم العملية بأن يذبحون الذكور في عام ويتركونهم في العام الذي يليه .. ووجد الفرعون أن هذا الحل أسلم .. وحملت أم موسى بهارون في العام الدي لا يقتل فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة .. فلما جاء العام الذي يقتل فيه الغلمان وُلد سيدنا موسى .. حمل ميلاده خوفا عظيما لأمه .. خافت عليه من القتل .. راحت ترضعه في السر .. ثم جاءت عليها ليلة مباركة أوحى الله إليها فيها للأم بصنع صندوق صغير لموسى ثم إرضاعه ووضعه في الصندوق وإلقاءه في النهر .

كان قلب الأم ، وهو أرحم القلوب في الدنيا ، يمتلئ بالألم وهي ترمي ابنها في النيل ، لكنها كانت تعلم أن الله أرحم بموسى منها ، والله هو ربه ورب النيل .. لم يكد الصندوق يلمس مياه النيل حتى أصدر الخالق أمره إلى الأمواج أن تكون هادئة حانية وهي تحمل هذا الرضيع الذي سيكون نبيا فيما بعد .. ومثلما أصدر الله تعالى أمره للنار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم ، كذلك أصدر أمره للنيل أن يحمل سيدنا موسى بهدوء ورفق حتى يسلمه إلى قصر فرعون

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وحملت مياه النيل هذا الصندوق العزيز إلى قصر فرعون .. وهناك أسلمه الموج للشاطئ .

- **رفض سيدنا موسى للمراضع :**

وفي ذلك الصباح خرجت زوجة فرعون تتمشى في حديقة القصر .. وكانت زوجة فرعون تختلف كثيرا عنه .. فقد كان هو كافرا وكانت هي مؤمنة .. كان هو قاسيا وكانت هي رحيمة .. كان جبارا وكانت رقيقة وطيبة .. وأيضا كانت حزينة ، فلم تكن تلد .. وكانت تتمنى أن يكون عندها ولد .

وعندما ذهبت الجواري ليملأن الجرار من النهر ، وجدن الصندوق ، فحملنه كما هو إلى زوجة فرعون .. فأمرتهن أن يفتحنه ففتحنه .. فرأت موسى بداخله فأحست بحبه في قلبها .. فلقد ألقى الله في قلبها محبته فحملته من الصندوق .. فاستيقظ موسى وبدأ يبكي .. كان جائعا يحتاج إلى رضعة الصباح فبكى .

فجاءت زوجة فرعون إليه ، وهي تحمل بين يديها طفلا رضيعا .. فسأل من أين جاء هذا الرضيع ؟ .. فحدثوه بأمر الصندوق .. فقال بقلب لا يعرف الرحمة : لابد أنه أحد أطفال بني إسرائيل ، أليس المفروض أن يقتل أطفال هذه السنة ؟ .. فذكّرت آسية – امرأة فرعون– زوجها بعدم قدرتهم على الإنجاب وطلبت منه أن يسمح لها بتربيته .. فسمح لها بذلك .

عاد موسى للبكاء من الجوع .. فأمرت بإحضار المراضع .. فحضرت مرضعة من القصر وأخذت موسى لترضعه فرفض أن يرضع منها .. فحضرت مرضعة ثانية وثالثة وعاشرة وموسى يبكي ولا يريد أن يرضع .. فاحتارت زوجة فرعون و لم تكن تعرف ماذا تفعل .

لم تكن زوجة فرعون هي وحدها الحزينة الباكية بسبب رفض موسى لجميع المراضع .. فلقد كانت أم موسى هي الأخرى حزينة باكية .. لم تكد ترمي موسى في النيل حتى أحست أنها ترمي قلبها في النيل .. غاب الصندوق في مياه النيل واختفت أخباره .. وجاء الصباح على أم موسى فإذا قلبها فارغ يذوب حزنا على ابنها .. وكادت تذهب إلى قصر فرعون لتبلغهم نبأ ابنها وليكن ما يكون ، لولا أن الله تعالى ربط على قلبها وملأ بالسلام نفسَها فهدأت واستكانت

www.alukah.net

وتركت أمر ابنها لله .. كل ما في الأمر أنـــها قالت لأخته : اذهبي بـــهدوء إلى المدينة وحاولي أن تعرفي ماذا حدث لموسى .

وذهبت أخت موسى بـــهدوء ورفق إلى جوار قصر فرعون ، فإذا بـــها تسمع القصة الكاملة .. رأت موسى من بعيد وسمعت بكاءه ، ورأتـــهم حائرين لا يعرفون كيف يرضعونه ، سمعت أنه يرفض كل المراضع .. وقالت أخت موسى لحرس فرعون : هل أدلكم على أهل بيت يرضعونه ويكفلونه ويهتمون بأمره ويخدمونه ؟ .. ففرحت زوجة فرعون كثيرا لهذا الأمر ، وطلبت منها أن تحضر المرضعة .. وعادت أخت موسى وأحضرت أمه .. وأرضعته أمه فرضع .. وتـــهللت زوجة فرعون وقالت : "خذيه حتى تنتهي فترة رضاعته وأعيديه إلينا بعدها ، وسنعطيك أجـــرا عظيما على تربيتك له " . وهكذا رد الله تعالى سيدنا موسى لأمه كي تقر عينها ويهدأ قلبها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق وأن كلماته سبحانه تنفذ رغم أي شيء .. ورغم كل شيء .

- **نشأة سيدنا موسى في بيت فرعون :**

أتمت أم موسى رضاعته وأسلمته لبيت فرعون .. كان موضع حب الجميع .. كان لا يراه أحد إلا أحبه .. وها هو ذا في أعظم قصور الدنيا يتربى بحفظ الله وعنايته .. بدأت تربية موسى في بيت فرعون .. وكان هذا البيت يضم أعظم المربين والمدرسين في ذلك الوقت .. كانت مصـــر أيامها أعظم دولة في الأرض .. وكان فرعون أقوى ملك في الأرض .. ومن الطبيعي أن يضـــم قصره أعظم المدربين والمثقفين والمربين في الأرض .. وهكذا شاءت حكمة الله تعالى أن يتـــربى موسى أعظم تربية وأن يتعهده أعظم المدرسين ، وأن يتم هذا كله في بيت عدوه الذي سيصطدم به فيما بعد تنفيذا لمشيئة الخالق .

وكبر سيدنا موسى في بيت فرعون .. كان سيدنا موسى يعلم أنه ليس ابنا لفرعون ، إنما هـــو واحد من بني إسرائيل .. وكان يرى كيف يضطهد رجال فرعون وأتباعه بني إسرائيل .. وكبر سيدنا موسى وبلغ أشده .. ((وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا)) [1] وراح يتمشى

[1] سورة القصص آية ١٥ .

فيها .. فوجد رجلا من أتباع فرعون وهو يقتتل مع رجل من بني إسرائيل ، واستغاث به الرجل الضعيف فتدخل سيدنا موسى وأزاح بيده الرجل الظالم فقتله .. كان سيدنا موسى قويا جدا ، ولم يكن يقصد قتل الظالم ، إنما أراد إزاحته فقط ، لكن ضربته هذه قتلته .. ففوجئ سيدنا موسى به وقد مات وقال لنفسه : ((هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ)) .. ودعا سيدنا موسى ربه : ((قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى)) وغفر الله تعالى له ((إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)) .

أصبح سيدنا موسى ((فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ)) [1] .. كان هذا حال سيدنا موسى .. حال إنسان مطارد ، فهو خائف ، يتوقع الشر في كل خطوة ، وهو مترقب ، يلتفت لأوهى الحركات وأخفاها .

ووعد سيدنا موسى بأن لا يكون ظهيرا للمجرمين .. لن يتدخل في المشاجرات بين المجرمين والمشاغبين ليدافع عن أحد من قومه .. وفوجئ سيدنا موسى أثناء سيره بنفس الرجل الذي أنقذه بالأمس وهو يناديه ويستصرخه اليوم .. كان الرجل مشتبكا في عراك مع أحد المصريين .. وأدرك سيدنا موسى بأن هذا الإسرائيلي مشاغب .. أدرك أنه من هواة المشاجرات .. وصرخ سيدنا موسى في الإسرائيلي يعنفه قائلا : ((إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ)) .. قال سيدنا موسى كلمته واندفع نحوهما يريد البطش بالمصري .. واعتقد الإسرائيلي أن سيدنا موسى سيبطش به هو .. دفعه الخوف من سيدنا موسى إلى استرحامه صارخا ، وذكّره بالمصري الذي قتله بالأمس .. فتوقف سيدنا موسى ، سكت عنه الغضب وتذكر ما فعله بالأمس ، وكيف استغفر وتاب ووعد ألا يكون نصيرا للمجرمين .. استدار سيدنا موسى عائدا ومضى وهو يستغفر ربه .

وأدرك المصري الذي كان يتشاجر مع الإسرائيلي أن سيدنا موسى هو قاتل المصري الذي عثروا على جثته أمس .. ولم يكن أحد من المصريين يعلم من القاتل .. فنشر هذا المصري الخبر في

---

[1] سورة القصص آية ١٨ .

www.alukah.net

أرجاء المدينة .. وانكشف سر سيدنا موسى وظهر أمره .. وجاء رجل مصري مؤمن من أقصى المدينة مسرعا .. ونصح سيدنا موسى بالخروج من مصر ، لأن المصريين ينوون قتله .

لم يذكر القرآن الكريم اسم الرجل الذي جاء يحذر سيدنا موسى .. ونرجح أنه كان رجلا مصريا من ذوي الأهمية ، فقد اطلع على مؤامرة تحاك لسيدنا موسى من مستويات عليا ، ولو كان شخصية عادية لما عرف .. يعرف الرجل أن سيدنا موسى لم يكن يستحق القتل على ذنبه بالأمس .. لقد قتل الرجل خطأ .. فيجب أن تكون عقوبته السجن على أقصى تقدير .

لكن رؤساء القوم وعليتهم الذين يبدوا أنهم كانوا يكرهون سيدنا موسى لأنه من بني إسرائيل ، ولأنه نجى من العام الذي يقتل فيه كل مولود ذكر ، وجدوا هذه الفرصة مناسبة للتخلص من سيدنا موسى ، فهو قاتل المصري ، لذا فهو يستحق القتل .

خرج سيدنا موسى من مصر على الفور ، خائفا يتلفت ويتسمع ويترقب .. في قلبه دعاء الله ((رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)) [1] .. وكان القوم ظالمين حقا .. فهم يريدون تطبيق عقوبة القتل العمد عليه ، وهو لم يفعل شيئا أكثر من أنه مد يده وأزاح رجلا فقتله خطأ ..

خرج سيدنا موسى من مصر على عجل .. لم يذهب إلى قصر فرعون و لم يغير ملابسه و لم يأخذ طعاما للطريق و لم يعد للسفر عدته .. لم يكن معه دابة تحمله على ظهرها وتوصله .. و لم يكن في قافلة .. إنما خرج بمجرد أن جاءه الرجل المؤمن وحذره من فرعون ونصحه أن يخرج .. اختار طريقا غير مطروق وسلكه .. دخل في الصحراء مباشرة واتجه إلى حيث قدرت له العناية الإلهية أن يتجه .. لم يكن سيدنا موسى يسير قاصدا مكانا معينا .. هذه أول مرة يخرج فيها ويعبر الصحراء وحده .

- **سيدنا موسى في مدين :**

ظل سيدنا موسى يسير بنفسية المطارد حتى وصل إلى مكان .. كان هذا المكان هو مدين ..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

[1] سورة القصص آية ٢١ .

جلس يرتاح عند بئر عظيمة يسقي الناس منها دوابهم .. وكان خائفا طوال الوقت أن يرسل فرعون من وراءه من يقبض عليه .. لم يكد سيدنا موسى يصل إلى مدين حتى ألقى بنفسه تحت شجرة واستراح .. نال منه الجوع والتعب .. وسقطت نعله بعد أن ذابت من مشقة السير على الرمال والصخور والتراب .. لم تكن معه نقود لشراء نعل جديدة .. ولم تكن معه نقود لشراء طعام أو شراب .. لاحظ سيدنا موسى جماعة من الرعاة يسقون غنمهم ، ووجد امرأتين تكفان غنمهما أن يختلطا بغنم القوم .. أحس سيدنا موسى بما يشبه الإلهام أن الفتاتين في حاجة إلى المساعدة .. تقدم منهما وسأل هل يستطيع أن يساعدهما في شيء .. قالت إحداهما : نحن ننتظر أن ينتهي الرعاة من سقي غنمهم لنسقي .. سأل سيدنا موسى : ولماذا لا تسقيان ؟ .. قالت الأخرى : لا نستطيع أن نزاحم الرجال .. اندهش سيدنا موسى لأنهما ترعيان الغنم .. المفروض أن يرعى الرجال الأغنام .. هذه مهمة شاقة ومتعبة وتحتاج إلى اليقظة .. سأل سيدنا موسى : لماذا ترعيان الغنم ؟ .. فقالت واحدة منهما : أبونا شيخ كبير لا تساعده صحته على الخروج كل يوم للرعي .. فقال سيدنا موسى : سأسقي لكما .. سار سيدنا موسى نحو الماء وسقى لهم الغنم مع بقية الرعاة .. وفي رواية أن الرعاة قد وضعوا على فم البئر بعد أن انتهوا منها صخرة ضخمة لا يستطيع أن يحركها غير عدد من الرجال ، فرفع سيدنا موسى الصخرة وحده ، وسقى لهما الغنم وأعاد الصخرة إلى مكانها ، وتركهما وعاد يجلس تحت ظل الشجرة .. وتذكر لحظتها الله وناداه من قلبه : ((رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)) [1] .

عادت الفتاتان إلى أبيهما الشيخ .. سأل الأب : عدتما اليوم سريعا على غير العادة ؟! .. قالت إحداهما : تقابلنا مع رجل كريم سقى لنا الغنم .. فقال الأب لابنته : اذهبي إليه وقولي له : ((إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)) [2] .

ذهبت واحدة من الفتاتين إلى سيدنا موسى ، ووقفت أمامه وأبلغته رسالة أبيها .. فنهض سيدنا موسى وبصره في الأرض .. إنه لم يسق لهما الغنم ليأخذ منهن أجرا ، وإنما ساعدهما لوجه الله ،

---

[1] سورة القصص آية ٢٤ .

[2] سورة القصص آية ٢٥ .

www.alukah.net

غير أنه أحس في داخله أن الله هو الذي يوجه قدميه فنهض .. سارت البنت أمامه .. هبت الرياح فضربت ثوبها فخفض موسى بصره حياء وقال لها : سأسير أنا أمامك ونبهيني أنت إلى الطريق .

وصلا إلى الشيخ .. قال بعض المفسرين إن هذا الشيخ هو النبي شعيب .. عَمَّرَ طويلا بعد موت قومه .. وقيل إنه ابن أخي شعيب ، وقيل ابن عمه .. وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب الذين آمنوا به .. لا نعرف أكثر من كونه شيخا صالحا .

قدم له الشيخ الطعام وسأله : من أين قدم وإلى أين سيذهب ؟ .. حدثه سيدنا موسى عن قصته .. قال الشيخ : ((لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ)) .. هذه البلاد لا تتبع مصر ، ولن يصلوا إليك هنا .. اطمأن سيدنا موسى ونهض لينصرف .

قالت ابنة الشيخ لأبيها همسا : ((يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ)) [1] .. سألها الأب : كيف عرفت أنه قوي ؟ .. قالت : رفع وحده صخرة لا يستطيع أن يرفعها غير عدد كثير من الرجال .. سألها : وكيف عرفت أنه أمين؟ .. قالت : رفض أن يسير خلفي وسار أمامي حتى لا ينظر إلي وأنا أمشي .. وطوال الوقت الذي كنت أكلمه فيه كان يضع عينيه في الأرض حياء وأدبا .

وعاد الشيخ لسيدنا موسى وقال له : أريد يا موسى أن أزوجك إحدى ابنتي على أن تعمل في رعي الغنم عندي ثماني سنوات ، فإن أتممت عشر سنوات فمن كرمك ، لا أريد أن أتعبك ، ((سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)) [2] .. قال سيدنا موسى : هذا اتفاق بيني وبينك ، والله شاهد على اتفاقنا .. سواء قضيت السنوات الثمانية أو العشر سنوات فأنا حر بعدها في الذهاب .

يخوض الكثيرون في تيه من الأقاصيص والروايات ، حول أي ابنتي الشيخ تزوج ، وأي المدتين قضى .. والثابت أن سيدنا موسى تزوج إحدى ابنتي الشيخ .. لا نعرف من كانت ، ولا ماذا

[1] سورة القصص آية ٢٦ .
[2] سورة القصص آية ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان اسمها .. وهذه الأمور سكت عنها السياق القرآني .. إلا أنه استنادا إلى طبيعة سيدنا موسى وكرمه ونبوته وكونه من أولي العزم نرى أنه قضى الأجل الأكبر .. وهذا ما يؤكده حديث ابن عباس رضي الله عنهما .. وهكذا عاش سيدنا موسى يخدم الشيخ عشر سنوات كاملة .

- **سيدنا موسى ورعي الغنم :**

وكان عمل سيدنا موسى ينحصر في الخروج مع الفجر كل يوم لرعي الأغنام والسقاية لها .. ولنقف هنا وقفة تدبر .. إن القدرة الإلهية نقلت خطى سيدنا موسى عليه السلام خطوة بخطوة .. منذ أن كان رضيعا في المهد حتى هذه اللحظة .. ألقت به في اليم ليلتقطه آل فرعون .. وألقت عليه محبة زوجة فرعون لينشأ في كنف عدوّه .. ودخلت به المدينة على حين غفلة من أهلها ليقتل نفسا .. وأرسلت إليه بالرجل المؤمن من آل فرعون ليحذره وينصحه بالخروج من مصر .. وصاحبته في الطريق الصحراوي من مصر إلى مدين وهو وحيد مطارد من غير زاد ولا استعداد .. وجمعته بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر .. ثم ليعود بعدها فيتلقى التكليف ..

هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه ، قبل النداء والتكليف .. تجربة الرعاية والحب والتدليل .. تجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس .. وتجربة الندم والاستغفار .. وتجربة الخوف والمطاردة .. وتجربة الغربة والوحدة والجوع .. وتجربة الخدمة ورعي الغنم بعد حياة القصور.. وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من تجارب صغيرة ، ومشاعر وخواطر ، وإدراك ومعرفة .. إلى جانب ما آتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة .

إن الرسالة تكليف ضخم شاق ، يحتاج صاحبها إلى زاد ضخم من التجارب والإدراك والمعرفة ، إلى جانب وحي الله وتوجيهه .. ورسالة موسى تكليف عظيم ، فهو مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر ، أعتى ملوك الأرض في زمانه ، وأشدهم استعلاء في الأرض .. وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كئوس الذل حتى استمرأوا مذاقه .. فاستنقاذ قوم كهؤلاء عمل شاق عسير .

فتجربة السنوات العشر جاءت لتفصل بين حياة القصور التي نشأ فيها سيدنا موسى عليه السلام وحياة الجهد الشاق في الدعوة وتكاليفها العسيرة .. فلحياة القصور جوا وتقاليد خاصة .. أما الرسالة

www.alukah.net

فهي معاناة لجماهير من الناس فيهم الغني والفقير ، المهذب والخشن ، القوي والضعيف ، وفيهم وفيهم .. وللرسالة تكاليفها من المشقة ومن التجرد أحيانا ، وقلوب أهل القصور في الغالب لا تصبر طويلا على الخشونة والحرمان والمشقة .

فلما استكملت نفس سيدنا موسى عليه السلام تجاربها ، وأكملت مرانها ، بهذه التجربة الأخيرة في دار الغربة قادت القدرة الإلهية خطاه مرة أخرى عائدة به إلى مهبط رأسه ، ومقر أهله وقومه ، ومجال عمله .. وهكذا نرى كيف صُنِعَ موسى على عين الله ، وكيف تم إعداده لتلقي التكليف .

- **عودة سيدنا موسى لمصر :**

تُرى أي خاطر راود سيدنا موسى فعاد به إلى مصر بعد انقضاء الأجل ، وقد خرج منها خائفا يترقب ؟ .. وأنساه الخطر الذي ينتظره بها ، وقد قتل فيها نفسا ؟ .. وهناك فرعون الذي كان يتآمر مع الملأ من قومه ليقتلوه ؟ ..

إنها قدرة الله التي تنقل خطاه كلها .. لعلها قادته هذه المرة بالميل الفطري إلى الأهل والعشيرة والوطن .. وأنسته الخطر الذي خرج هاربا منه وحيدا طريدا .. ليؤدي المهمة التي خلق لها .

خرج سيدنا موسى مع أهله وسار .. اختفى القمر وراء أسراب من السحاب الكثيف وساد الظلام .. اشتد البرق والرعد وأمطرت السماء وزادت حدة البرد والظلام .. وتاه سيدنا موسى أثناء سيره .. ووقف سيدنا موسى حائرا يرتعش من البرد وسط أهله .. ثم رفع رأسه فشاهد نارا عظيمة تشتعل عن بعد .. امتلأ قلبه بالفرح فجأة .. قال لأهله : أني رأيت نارا هناك .

أمرهم أن يجلسوا مكانهم حتى يذهب إلى النار لعله يأتيهم منها بخبر ، أو يجد أحدا يسأله عن الطريق فيهتدي إليه ، أو يحضر إليهم بعض أخشابها المشتعلة لتدفئتهم .

وتحرك سيدنا موسى نحو النار .. سار سيدنا موسى مسرعا ليدفئ نفسه .. يده اليمنى تمسك عصاه .. جسده مبلل من المطر .. ظل يسير حتى وصل إلى واد يسمونه طُوَى .. لاحظ شيئا غريبا في هذا الوادي .. لم يكن هناك برد ولا رياح .. ثمة صمت عظيم ساكن .. واقترب سيدنا موسى من النار .. لم يكد يقترب منها حتى نودي : ﴿ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)) [١] .

نظر سيدنا موسى في النار فوجد شجرة خضراء .. كلما زاد تأجج النار زادت خضرة الشجرة .. والمفروض أن تتحول الشجرة إلى اللون الأسود وهي تحترق ، لكن النار تزيد واللون الأخضر يزيد .. كانت الشجرة في جبل غربي عن يمينه ، وكان الوادي الذي يقف فيه هو وادي طوى .

ثم ارتجت الأرض بالخشوع والرهبة والله عز وجل ينادي : يَا مُوسَىٰ .. فأجاب سيدنا موسى : نعم .. قال الله عز وجل : ((إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ)) .. ازداد ارتعاش سيدنا موسى وقال : نعم يا رب .. قال الله عز وجل : ((فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى)) [٢] .. انحنى سيدنا موسى راكعا وجسده كله ينتفض وخلع نعليه .. عاد الحق سبحانه وتعالى يقول : ((وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝)) [٣] .. زاد انتفاض جسد سيدنا موسى وهو يتلقى الوحي الإلهي ويستمع إلى ربه وهو يخاطبه .. قال الرحمن الرحيم : ((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝)) [٤] .. ازدادت دهشة سيدنا موسى .. إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخاطبه ، والله يعرف أكثر منه أنه يمسك عصاه ، لماذا يسأله الله إذن إذا كان يعرف أكثر منه ؟! .. لا شك أن هناك حكمة عليا لذلك .. أجاب سيدنا موسى : ((قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۔)) [٥] .. قال الله عز وجل : ((قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۔)) [٦] .. رمى سيدنا موسى العصا من يده وقد زادت دهشته .. وفوجئ بأن العصا تتحول فجأة إلى ثعبان عظيم الحجم هائل الجسم .. وراح الثعبان يتحرك بسرعة .. ولم يستطع سيدنا موسى أن يقاوم خوفه .. أحس أن بدنه يتزلزل من الخوف .. فاستدار سيدنا موسى فزعا وبدأ يجري .. لم يكد

---

[١] سورة النمل آية ٨ .
[٢] سورة طه آية ١٢ .
[٣] سورة طه .
[٤] سورة طه آية ١٧ .
[٥] سورة طه آية ١٨ .
[٦] سورة طه آية ١٩ .

www.alukah.net

يجري خطوتين حتى ناداه الله : ((يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ)) [١] .. عاد سيدنا موسى يستدير ويقف .. لم تزل العصا تتحرك .. لم تزل الحية تتحرك .. قال الله سبحانه وتعالى لموسى : ((خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ)) [٢] .. مد سيدنا موسى يده للحية وهو يرتعش .. لم يكد يلمسها حتى تحولت في يده إلى عصا .. عاد الأمر الإلهي يصدر له : ((ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ)) [٣] .. وضع سيدنا موسى يده في جيبه وأخرجها فإذا هي تتلألأ كالقمر .. زاد انفعال سيدنا موسى بما يحدث ، وضع يده على قلبه كما أمره الله فذهب خوفه تماما .. اطمأن سيدنا موسى وسكت .. وأصدر الله إليه أمرا بعد هاتين المعجزتين – معجزة العصا ومعجزة اليد – أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله برفق ولين ، ويأمره أن يخرج بني إسرائيل من مصر .. وأبدى سيدنا موسى خوفه من فرعون .. قال إنه قتل منهم نفسا ويخاف أن يقتلوه .. توسل إلى الله أن يرسل معه أخاه هارون .. طمأن الله سيدنا موسى أنه سيكون معهما يسمع ويرى ، وأن فرعون رغم قسوته وتجبره لن يمسهما بسوء .. أفهم الله سيدنا موسى أنه هو الغالب .. ودعا سيدنا موسى وابتهل إلى الله أن يشرح له صدره وييسر أمره ويمنحه القدرة على الدعوة إليه .. ثم قفل سيدنا موسى راجعا لأهله بعد اصطفاء الله واختياره رسولا إلى فرعون .. انحدر سيدنا موسى بأهله قاصدا مصر .

يعلم الله وحده أي أفكار عبرت ذهن سيدنا موسى وهو يحث خطاه قاصدا مصر .. انتهى زمان التأمل ، وانطوت أيام الراحة ، وجاءت الأوقات الصعبة أخيرا .. وها هو ذا سيدنا موسى يحمل أمانة الحق ويمضي ليواجه بها بطش أعظم جبابرة عصره وأعتاهم .. يعلم سيدنا موسى أن فرعون مصر طاغية .. يعلم أنه لن يُسَلِّمَهُ بني إسرائيل بغير صراع .. يعلم أنه سيقف من دعوته موقف الإنكار والكبرياء والتجاهل .. لقد أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون .. أن يدعوه بلين ورفق إلى الله .. أوحى الله لسيدنا موسى أن فرعون لن يؤمن ليدعه موسى وشأنه وليركز على

[١] سورة النمل آية ١٠ . [٢] سورة طه آية ٢١ . [٣] سورة القصص آية ٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إطلاق سراح بني إسرائيل والكف عن تعذيبهم .. قال تعالى لموسى وهارون : ((فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ)) [1] .. هذه هي المهمة المحددة .. وهي مهمة سوف تصطدم بآلاف العقبات .. إن فرعون يعذب بني إسرائيل ويستعبدهم ويكلفهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به ، ويستحيي نسائهم ، ويذبح أبنائهم ، ويتصرف فيهم كما لو كانوا مِلْكًا خاصا ورثه مع مُلك مصر .. يعلم سيدنا موسى أن النظام المصري يقوم في بنيانه الأساسي على استعباد بني إسرائيل واستغلال عملهم وجهدهم وطاقاتهم في الدولة ، فهل يفرط الفرعون في بناء الدولة الأساسي ببساطة ويسر ؟ .. ذهبت الأفكار وجاءت ، فاخْتُصِرت مشقة الطريق .. ورُفع الستار عن مشهد المواجهة .

● **مواجهة فرعون :**

واجه سيدنا موسى فرعون بلين ورفق كما أمره الله .. وحدثه عن الله .. عن رحمته وجنته .. عن وجوب توحيده وعبادته .. حاول إيقاظ جوانبه الإنسانية في الحديث .. ألمح إليه أنه يملك مصر ، ويستطيع لو أراد أن يملك الجنة .. وكل ما عليه هو أن يتقي الله .. استمع فرعون إلى حديث سيدنا موسى صجرا شبه هازئ وقد تصوره مجنونا تجرأ على مقامه السامي .. ثم سأل فرعون سيدنا موسى ماذا يريد .. فأجاب سيدنا موسى أنه يريد أن يرسل معه بني إسرائيل .

ويعجب فرعون وهو يرى سيدنا موسى يواجهه بهذه الدعوى العظيمة ، ويطلب إليه ذلك الطلب الكبير .. فآخر عهد فرعون بموسى أنهم ربوه في قصره بعد أن التقطوا تابوته .. وأنه هرب بعد قتله للقبطي الذي وجده يتعارك مع الإسرائيلي .. فما أبعد المسافة بين آخر عهد فرعون بموسى إذن وهذه الدعوى العظيمة التي يواجهه بها بعد عشر سنين ! .. ومن ثَمَّ بدأ فرعون يذكره بماضيه .. يذكره بتربيته له .. فهل هذا جزاء التربية والكرامة التي لقيتها عندنا وأنت وليد ؟ ، لتأتي الآن لتخالف ديانتنا ، وتخرج على الملك الذي تربيت في قصره ، وتدعوا إلى إله غيره ؟!

---

[1] سورة طه آية ٤٧ .

www.alukah.net شبكة الألوكة

ويذكره بحادث مقتل القبطي في تسهويل وتجسيم .. فلا يتحدث عنها بصريح العبارة وإنما يقول : ((وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ)) [١] فعلتك البشعة الشنيعة ((وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ)) برب العالمين الذي تقول به اليوم ، فأنت لم تكن وقتها تتحدث عن رب العالمين ! لم تتحدث بشيء عن هذه الدعوى التي تدعيها اليوم ؛ و لم تخطرنا بمقدمات هذا الأمر العظيم ؟!

وظن فرعون أنه رد على سيدنا موسى ردا لن يملك معه جوابا .. إلا أن الله استجاب لدعاء سيدنا موسى من قبل ، فانطلق لسانه : ((قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ)) [٢] فعلت تلك الفعلة وأنا بَعْدُ جاهل ، أندفع اندفاع العصبية لقومي ، لا اندفاع العقيدة التي عرفتها اليوم بما أعطاني ربي من الحكمة ((فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ)) [٣] على نفسي ، فقسم الله لي الخير فوهب لي الحكمة ((وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)) .

ويكمل سيدنا موسى خطابه لفرعون بنفس القوة : ((وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝)) [٤] فما كانت تربيتي في بيتك وليدا إلا من جراء استعبادك لبني إسرائيل ، وقتل أبنائهم ، مما دفع أمي لوضعي في التابوت وإلقاءه في اليم ، فتلتقطه فأتربَّى في بيتك ، لا في بيت أبويّ .. فهل هذا هو ما تمنه علي ؟! ، وهل هذا هو فضلك العظيم ؟! .

عند هذا الحد تدخل الفرعون في الحديث .. ((قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝)) [٥] .. قال سيدنا موسى : ((قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝)) [٦] .. التفت فرعون لمن حوله وقال هازئا : ((أَلَا تَسْتَمِعُونَ)) [٧] .. قال سيدنا موسى متجاوزا سخرية الفرعون : ((رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ)) [٨] .. قال فرعون مخاطبا من جاءوا مع موسى من بني إسرائيل: ((إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ)) [٩] .. عاد سيدنا

---

[١] سورة الشعراء آية ١٩ . [٢] سورة الشعراء آية ٢٠ . [٣] سورة الشعراء آية ٢١ .
[٤] سورة الشعراء آية ٢٢ . [٥] سورة الشعراء آية ٢٣ . [٦] سورة الشعراء آية ٢٤ .
[٧] سورة الشعراء آية ٢٥ . [٨] سورة الشعراء آية ٢٦ . [٩] سورة الشعراء آية ٢٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

موسى يتجاوز اتهام الفرعون وسخريته ويكمل : ((رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)) [١] .

نلاحظ أن فرعون لم يكن يسأل سيدنا موسى عن رب العالمين أو رب موسى وهارون بقصد السؤال البريء والمعرفة .. إنما كان يهزأ .. ولقد أجابه سيدنا موسى إجابة جامعة مانعة محكمة ((قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ)) [٢] .. هو الخالق .. خالق الأجناس جميعا والذوات جميعا .. وهو هاديها بما ركب في فطرتها وجبلتها من خواص تهديها لأسباب عيشها .. وهو الموجه لها على أي حال .. وهو القابض على ناصيتها في كل حال .. وهو العليم بها والشاهد عليها في جميع الأحوال .

لم تؤثر هذه العبارة الرائعة والموجزة في فرعون .. وها هو ذا يسأل : ((فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ)) [٣] فإنها لم تعبد ربك هذا ؟ .. لم يزل فرعون ماضيا في استكباره واستهزائه .. ويرد سيدنا موسى ردا يستلفته إلى أن القرون الأولى التي لم تعبد الله ، والتي عبدته معا ، لن تترك بغير مساءلة وجراء .. كل شيء معلوم عند الله تعالى .. هذه القرون الأولى ((عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ)) [٤] .. أحصى الله ما عملوه في كتاب ((لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى)) : أي لا يغيب عنه شيء ، (وَلَا يَنسَى) : أي لا يغيب عن شيء .. ليطمئن الفرعون بالا من ناحية القرون الأولى والأخيرة وما بينهما .. إن الله يعرف كل شيء ويسجل عليها ما عملته ولا يضيع شيئا من أجورهم ..

ثم استلفت سيدنا موسى نظر فرعون إلى آيات الله في الكون .. ودار به مع حركة الرياح والمطر والنبات وأوصله مرة ثانية إلى الأرض ، وهناك افهمه أن الله خلق الإنسان من الأرض ، وسيعيده إليها بالموت ، ويخرجه منها بالبعث ، إن هناك بعثا إذًا .. وسيقف كل إنسان يوم القيامة أمام الله

---

[١] سورة الشعراء آية ٢٨ .
[٢] سورة طه آية ٥٠ .
[٣] سورة طه آية ٥١ .
[٤] سورة طه آية ٥٢ .

www.alukah.net

تعالى .. لا استثناء لأحد .. سيقف كل عباد الله وخلقه أمامه يوم القيامة .. بما في ذلك الفرعون .. بـــهذا جاء موسى مبشرا ومنذرا .

لم يعجب فرعون هذا النذير ، وتصاعد الحوار بينه وبين سيدنا موسى .. فالطغيان لا يخشى شيئا كخشيته يقظة الشعوب ، وصحوة القلوب ؛ ولا يكره أحدا كما يكره الـــداعين إلى الـــوعي واليقظة ؛ ولا ينقم على أحد كما ينقم على من يهزون الضمائر الغافلة .. لذلك هاج فرعـــون على سيدنا موسى وثار ، وأنـــهى الحوار معه بالتهديد الصريح .. وهذا هو سلاح الطغاة عندما يفتقـــرون للحجـــج والـــبراهين والمنطـــق : ((قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ)) [١] .. إلا أن سيدنا موسى عليه السلام لم يفقد رباطة جأشه .. كيف يفقدها وهو رسول الله ، والله معه ومع أخيه ؟ .. وبدأ الإقناع بأسلوب جديد ، وهو إظهار المعجزة ((قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ)) [٢] فهو يتحدى فرعون ، ويحرجه أمام ملأه ، فلو رفض فرعـــون الإصغاء ، سيظهر واضحا أنه خائف من حجة موســـى .. ((قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)) [٣] .. ألقى سيدنا موسى عصاه في ردهة القصر العظيمة .. لم تكد العصا تلمس الأرض حتى تحولت إلى ثعبان هائل يتحرك بسرعة .. ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فإذا هـــي بيضاء كالقمر .

- **تحدي السحرة :**

وتبدأ الجولة الثانية بين الحق والباطل .. حيث شاور فرعون الملأ من حوله فيما يجب فعله .. والملأ لهم مصلحة في أن تبقى الأمور على ما هي عليه ، فهم مقربون من فرعون ، ولهم نفـــوذ وسلطان .. فأشاروا أن يرد على سحر موسى بسحر مثله ، فيجمع السحرة لتحـــدي موســـى وأخاه ..

حدد الميقات ، وهو يوم الزينة .. وبدأت حركة إعداد الجماهير وتحميسهم فدعوهم للتجمـــع

[١] سورة الشعراء آية ٢٩ . [٢] سورة الشعراء آية ٣٠ . [٣] سورة الشعراء آية ٣١ .

شبكة الألوكة لتقديم الكتب

وعدم التخلف عن الموعد ، ليراقبوا فوز السحرة وغلبتهم على موسى الإسرائيلي ! .. والجماهير دائما تتجمع لمثل هذه الأمور .

أما السحرة ، فقد ذهبوا لفرعون ليطمئنون على الأجر والمكافأة إن غلبوا موسى .. فهم جماعة مأجورة ، تبذل مهارتها مقابل الأجر الذي تنتظره ؛ ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية ، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة .. وهم هؤلاء يستوثقون من الجزاء على تعبهم ولعبهم وبراعتهم في الخداع .. وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر .. يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه .. وهو بزعمه الملك والإله !

وفي ساحة المواجهة والناس مجتمعون ، وفرعون ينظر ، حضر سيدنا موسى وأخاه هارون عليهما السلام .. وحضر السحرة وفي أيديهم كل ما أتقنوه من ألعاب وحيل ، وكلهم ثقة بفورهم في هذا التحدي .. لذا بدءوا بتخيير سيدنا موسى : ((إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ)) [1] .. وتتجلى ثقة سيدنا موسى عليه السلام في الجانب الآخر واستهانته بالتحدي ((بَلۡ أَلۡقُواْ)) فرمى السحرة عصيهم وحبالهم بعزة فرعون ((فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ)) [2] .

رمى السحرة بعصيهم وحبالهم فإذا المكان يمتلئ بالثعابين فجأة ((سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ)) [3] .. وحسبنا أن يقرر القرآن الكريم أنه سحر عظيم (وَجَآءُو بسحرٍ عَظيمٍ) لندرك أي سحر كان .. وحسبنا أن نعلم أنهم (سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ) وأثاروا الرهبة في قلوبهم (وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ) لنتصور أي سحر كان .. فنظر سيدنا موسى عليه السلام إلى حبال السحرة وعصيهم وشعر بالخوف .

في هذه اللحظة ، يذكّره ربّه بأن معه القوة الكبرى .. فهو الأعلى .. ومعه الحق .. أما هم فمعهم الباطل .. معه العقيدة ومعهم الحرفة .. معه الإيمان بصدق الذي دفعه لما هو فيه ومعهم الأجر على

[1] سورة طه آية ٦٥ . [2] سورة الشعراء آية ٤٤ . [3] سورة الأعراف آية ١١٦ .

www.alukah.net

المباراة ومغانم الحياة .. موسى متصل بالقوة الكبرى ، والسحرة يخدمون مخلوقا بشريا فانيا مهما يكن طاغية جبارا .

لا تخف ((وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ)) [1] وستهزمهم ، فهو سحر من تدبير ساحر وعمله .. والساحر لا يفلح أنّى ذهب وفي أي طريق سار .. لأنه يعتمد على الخيال والإيهام والخداع ، ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية .

اطمأن سيدنا موسى ورفع عصاه وألقاها .. لم تكد عصا سيدنا موسى تلامس الأرض حتى وقعت المعجزة الكبرى .. وضخامة المعجزة حولت مشاعر ووجدان السحرة ، الذين جاءوا للمباراة وهم أحرص الناس على الفوز لنيل الأجر .. الذي بلغت براعتهم لحد أن يشعر سيدنا موسى بالخوف من عملهم .. تحولت مشاعرهم بحيث لم يسعفهم الكلام للتعبير : ((فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ)) [2] .

إنه فعل الحق في الضمائر .. ونور الحق في المشاعر، ولمسة الحق في القلوب المهيأة لتلقي الحق والنور واليقين .. إن السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فنّهم ، ومدى ما يمكن أن يبلغ إليه .. وهم أعرف الناس بالذي جاء به سيدنا موسى .. فهم أعلم إن كان هذا من عمل بشر أو ساحر ، أو أنه من القدرة التي تفوق قدرة البشر والسحر .. والعالم في فنه هو أكثر الناس استعدادا للتسليم بالحقيقة حين تتكشف له ، لأنه أقرب إدراكا لهذه الحقيقة ، ممن لا يعرفون في هذا الفن إلا القشور .. ومن هنا تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق ، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين .

هزت هذه المفاجأة العرش من تحته .. مفاجأة استسلام السحرة – وهم من كهنة المعابد- لرب العالمين .. رب موسى وهارون .. بعد أن تم جمعهم لإبطال دعوة موسى وهارون لرب العالمين ! .. ولأن العرش والسلطان أهم شيء في حيات الطواغيت ، فهم مستعدون لارتكاب أي جريمة في سبيل

[1] سورة طه آية ٦٩ .
[2] سورة طه آية ٧٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المحافظة عليهما .. تسائل فرعون مستغربا ((ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ)) [١] .. كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن يعودوا للحق .. لكنه طاغية متكبر متجبر أعمى السلطان عينيه عن الحق ، ويزيد في طغيانه فيقول ((إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا)) [٢] إن غلبته لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك ، وهو يعلم وكل من له عقل أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل .. ويظل الطاغية يتهدد ((فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)) ويتوعد ((لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) [٣] .. لكن النفس البشرية حين تستيقن حقيقة الإيمان ، تستعلي على قوة الأرض ، وتستهين ببأس الطغاة ، وتنتصر فيها العقيدة على الحياة ، وتختار الخلود الدائم على الحياة الفانية .. ((قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ)) إنه الإيمان الذي لا يتزعزع ولا يخضع .

ويُعْلن السحرة حقيقة المعركة ((وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا)) [٤] .. فلا يطلبون الصفح والعفو من عدوّهم ، إنما يطلبون الثبات والصبر من ربهم ((رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)) .. فيقف الطغيان عاجزا أما هذا الوعي وهذا الاطمئنان .. عاجزا عن رد هؤلاء المؤمنين لطريق الباطل من جديد .. فينفذ تهديده ، ويصلبهم على جذوع النخل .

- **التآمر على سيدنا موسى ومن آمن معه :**

وتبدأ جولة جديدة بين الحق والباطل .. فها هُم علْيَة القوم من المصريين يتآمرون ويحرضون فرعون ويهيجونه على سيدنا موسى ومن آمن معه ، ويخوّفونه من عاقبة التهاون معهم .. وهم يرون الدعوة إلى ربوبية الله وحدة إفسادا في الأرض .. حيث يترتب عليها بطلان شرعية حكم فرعون ونظامه كله .. وقد كان فرعون يستمد قوته من ديانتهم الباطلة ، حيث كان فرعون ابن الآلهة .. فإن عبد موسى ومن معه الله رب العالمين لن تكون لفرعون أي سطوة عليهم ..

---

[١] سورة طه آية ٧١ .
[٢] سورة الأعراف آية ١٢٣ .
[٣] سورة الأعراف آية ١٢٥ .
[٤] سورة الأعراف آية ١٢٦ .

www.alukah.net

فاستثارت هذه الكلمات فرعون ، وأشعرته بالخطر الحقيقي على نظامه كله ففكر بوحشيته المعتادة وقرر ((قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ)) [١] ..

لم يكن هذا التنكيل الوحشي جديدا على بني إسرائيل .. فقد نُفِّذ عليهم هذا الحكم في إبان مولد سيدنا موسى عليه السلام .. فبدأ سيدنا موسى عليه السلام يوصي قومه باحتمال الفتنة ، والصبر على البلية ، والاستعانة بالله عليها ، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة لمن يتقي الله ولا يخشى أحدا سواه ((قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾)) [٢] .. إلا أن قومه بدءوا يشتكون من العذاب الذي حل بهم ((قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا)) [٣] .. إنها كلمات ذات ظل ! وإنها لتشي بما وراءها من تبرم ! أوذينا قبل مجيئك وما تغير شيء بمجيئك ، وطال هذا الأذى حتى ما تبدو له نهاية ! .. فيمضي النبي الكريم على نهجه .. يذكرهم بالله ، ويعلق رجاءهم به ، ويلوح لهم بالأمل في هلاك عدوهم ، واستخلافهم في الأرض ، مع التحذير من فتنة الاستخلاف ، فاستخلاف الله لهم إنما هو ابتلاء لهم ، فهو استخلاف للامتحان : ((قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)) .

وينقلنا القرآن الكريم إلى فصل آخر من قصة سيدنا موسى عليه السلام ، ومشهد آخر من مشاهد المواجهة بين الحق والباطل .. حيث يحكي قصة تشاور فرعون مع الملأ في قتل سيدنا موسى .. ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ)) [٤] ..

أما سيدنا موسى عليه السلام فالتجأ إلى الركن الركين ، والحصن الحصين ، ولاذ بحامي اللائذين ،

---

[١] سورة الأعراف آية ١٢٧ .
[٢] سورة الأعراف آية ١٢٨ .
[٣] سورة الأعراف آية ١٢٩ .
[٤] سورة غافر آية ٢٦ .

شبكة الألوكة - قبس من سير

وبحسير المستجيرين ((وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ)) [1] ..

- **موقف الرجل المؤمن من آل فرعون :**

كادت فكرة فرعون أن تحصل على التصديق لولا رجل من آل فرعون .. رجل من رجال الدولة الكبار ، لا يذكر القرآن اسمه ، لأن اسمه لا يهم ، لم يذكر صفته أيضا لأن صفته لا تعني شيئا ، إنما ذكر القرآن أنه رجل مؤمن .. ذكره بالصفة التي لا قيمة لأي صفة بعدها .

تحدث هذا الرجل المؤمن ، وكان (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) .. تحدث في الاجتماع الذي طرحت فيه فكرة قتل سيدنا موسى وأثبت عقم الفكرة وسطحيتها . قال : إن موسى لم يقل أكثر من أن الله ربه ، وجاء بعد ذلك بالأدلة الواضحة على كونه رسولا ، وهناك احتمالان لا ثالث لهما : أن يكون موسى كاذبا ، أو يكون صادقا .. فإذا كان كاذبا (فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) ، وهو لم يقل ولم يفعل ما يستوجب قتله .. وإذا كان صادقا وقتلناه ، فما هو الضمان من نجاتنا من العذاب الذي يعدنا به ؟ .. تحدث المؤمن الذي يكتم إيمانه فقال لقومه : إننا اليوم في مراكز الحكم والقوة .. من ينصرنا من بأس الله إذا جاء ؟ ، ومن ينقذنا من عقوبته إذا حلت ؟ ، إن إسرافنا وكذبنا قد يضيعاننا .

وبدت كلماته مقنعة .. إنه رجل ليس متهما في ولائه لفرعون .. وهو ليس من أتباع موسى .. والمفروض أنه يتكلم بدافع الحرص على عرش الفرعون .. ولا شيء يسقط العروش كالكذب والإسراف وقتل الأبرياء ..

ومن هذا الموضع استمدت كلمات الرجل المؤمن قوتها بالنسبة إلى فرعون ووزرائه ورجاله .. ورغم أن فرعون وجد فكرته في قتل سيدنا موسى ، صريعة على المائدة ، رغم تخويف الرجل المؤمن لفرعون ، رغم ذلك قال الفرعون كلمته التاريخية التي ذهبت مثلا بعده لكل الطغاة : ((قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)) [2] .. هذه كلمة الطغاة

---

[1] سورة غافر آية ٢٧ .

[2] سورة غافر آية ٢٩ .

www.alukah.net

دائما حين يواجهون شعوبهم (مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ) : هذا رأينا الخاص ، وهو رأي يهديكم سبيل الرشاد ، وكل رأي غيره خاطئ ، وينبغي الوقوف ضده واستئصاله .

لم تتوقف المناقشة عند هذا الحد .. قال فرعون كلمته ولكنه لم يقنع بها الرجل المؤمن .. وعاد الرجل المؤمن يتحدث وأحضر لهم أدلة من التاريخ ، أدلة كافية على صدق سيدنا موسى .. وحذّرهم من المساس به .. لقد سبقتهم أمم كفرت برسلها فأهلكها الله : قوم نوح ، قوم عاد ، قوم ثمود .. ثم ذكّرهم بتاريخ مصر نفسه .. ذكّرهم بيوسف عليه السلام حين جاء بالبينات ، فشك فيه الناس ثم آمنوا به بعد أن كادت النجاة تفلت منهم .. ما الغرابة في إرسال الله للرسل ؟ .. إن التاريخ القديم ينبغي أن يكون موضع نظر .. لقد انتصرت القلة المؤمنة حين أصبحت مؤمنة على الكثرة الكافرة .. وسحق الله تعالى الكافرين : أغرقهم بالطوفان ، وصعقهم بالصرخة ، أو خسف بهم الأرض .. ماذا ننتظر إذًا ؟ .. ومن أين نعلم أن وقوفنا وراء الفرعون لن يضيعنا ويهلكنا جميعا ؟ ..

كان حديث الرجل المؤمن ينطوي على عديد من التحذيرات المخيفة . ويبدو أنه أقنع الحاضرين بأن فكرة قتل سيدنا موسى فكرة غير مأمونة العواقب .. وبالتالي فلا داعي لها .

إلا أن الطاغية فرعون حاول مرة أخرى المحاورة والتمويه ، كي لا يواجه الحق جهرة ، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه .. وبعيد عن احتمال أن يكون هذا فهم فرعون وإدراكه .. فطلب أن يُبنَى له بناء عظيم ، يصعد عليه ليرى إله موسى الذي يدعيه .. وبعيدا أن يكون جادا في البحث عن إله موسى على هذا النحو المادي الساذج ، وقد بلغ فراعنة مصر من الثقافة حدا يبعد معه هذا التصور .. وإنما هو الاستهتار والسخرية من جهة ، والتظاهر بالإنصاف والتثبت من جهة أخرى .

بعد هذا الاستهتار ، وهذا الإصرار ، ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة : ((وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا

مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾)) [1] ..

أنهى الرجل المؤمن حديثه بهذه الكلمات الشجاعة .. بعدها انصرف .. انصرف فتحول الجالسون من سيدنا موسى إليه .. بدءوا يمكرون للرجل المؤمن .. بدءوا يتحدثون عما صدر منه .. فتدخلت عناية الله تعالى ((فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ)) [2] وأنجته من فرعون وجنوده .

- **ابتلاء الله أهل مصر :**

أما عن حال مصر في تلك الفترة ، فلقد مضى فرعون في تهديده ، فقتل الرجال واستحيا النساء .. وظل سيدنا موسى وقومه يحتملون العذاب ، ويرجون فرج الله ، ويصبرون على الابتلاء .. وظل فرعون في ظلاله وتحدّيه .. فتدخلت قوة الله سبحانه وتعالى ، وشاء الله تعالى أن يشدد على آل فرعون ابتلاء لهم وتخويفا ، ولكي يصرفهم عن الكيد لسيدنا موسى ومن آمن معه ، وإثباتا لنبوة سيدنا موسى وصدقه في الوقت نفسه .. وهكذا سلط على المصريين أعوام الجدب .. أجدبت الأرض وشح النيل ونقصت الثمار وجاع الناس ، واشتد القحط .. لكن آل فرعون لم يدركوا العلاقة بين كفرهم وفسقهم وبين بغيهم وظلمهم لعباد الله .. فأخذوا يعللون الأسباب .. فعندما تصيبهم حسنة ، يقولون إنها من حسن حظهم وأنهم يستحقونها .. وإن أصابتهم سيئة قالوا هي من شؤم موسى ومن معه عليهم ، وأنها من تحت رأسهم !

---

[1] سورة غافر .

[2] سورة غافر آية ٤٥ .

www.alukah.net

وأخذتهم العزة بالإثم فاعتقدوا أن سحر سيدنا موسى هو المسئول عما أصابهم من قحط .. وصور لهم حمقهم أن هذا الجدب الذي أصاب أرضهم ، آية جاء بها موسى ليسحرهم بها ، وهي آية لن يؤمنوا بها مهما حدث .

فشدد الله عليهم لعلهم يرجعون إلى الله ، ويطلقون بني إسرائيل ويرسلونهم معه .. فأرسل عليهم الطوفان ، والجراد ، والقمل - وهو السوس- والضفادع ، والدم .. ولا يذكر القرآن إن كانت جملة واحدة ، أم واحدة تلو الأخرى .. وتذكر بعض الروايات أنها جاءت متتالية وحدة تلو الأخرى .. إلا أن المهم هو طلب آل فرعون من سيدنا موسى أن يدعو لهم ربه ليفرجه من هذا البلاء .. ويَعِدُونه في كل مرة أن يرسلوا بني إسرائيل إذا أنجاهم ورفع عنهم هذا البلاء ((قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)) [1] .. فكان سيدنا موسى عليه السلام يدعو الله بأن يكشف عنهم العذاب ، وما أن ينكشف البلاء حتى ينقصون عهدهم ، ويعودون إلى ما كانوا فيه ((فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ)) [2] ..

لم يهتد المصريون ، ولم يوفوا بعهودهم ، بل على العكس من ذلك .. خرج فرعون لقومه ، وأعلن أنه إله ، أليس له ملك مصر ، وهذه الأنهار تجري من تحته .. أعلن أن سيدنا موسى ساحر كذاب ، ورجل فقير لا يرتدي أسورة واحدة من الذهب .

ويعبّر القرآن الكريم عن أمر فرعون وقومه : ((فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ)) [3] .. استخف بعقولهم ، واستخف بحريتهم ، واستخف بمستقبلهم ، واستخف بآدميتهم ، فأطاعوه .. أليست هذه طاعة غريبة ؟! .. تنمحي الغرابة حين نعلم أنهم كانوا قوما فاسقين .. إن الفسق يصرف الإنسان عن الالتفات لمستقبله ومصالحه وأموره ، ويورده الهلاك .. وذلك ما وقع لقوم فرعون .

---

[1] سورة الأعراف آية ١٣٤ .
[2] سورة الأعراف آية ١٣٥ .
[3] سورة الزخرف آية ٥٤ .

- **خروج بني إسرائيل من مصر :**

بدا واضحا أن فرعون لن يؤمن لموسى ، ولن يكف عن تعذيبه لبني إسرائيل ، ولن يكف عن استخفافه بقومه .. هنالك دعا موسى وهارون على فرعون ((وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾)) [1] ..

لم يكن قد آمن مع سيدنا موسى فريق من قومه .. فانتهى الأمر، وأوحي إلى موسى أن يخرج من مصر مع بني إسرائيل .. وأن يكون رحيلهم ليلا ، بعد تدبير وتنظيم لأمر الرحيل .. ونبأه أن فرعون سيتبعهم بجنده .. وأمره أن يسير بقومه إلى ساحل البحر (وهو في الغالب عند التقاء خليج السويس بمطقة البحيرات) .

وبلغت الأخبار فرعون أن سيدنا موسى قد صحب قومه وخرج .. فأرسل أوامره في مدن المملكة لحشد جيش عظيم ليدرك موسى وقومه ، ويفسد عليهم تدبيرهم .. أعلن فرعون التعبئة العامة .. وهذا من شأنه أن يشكل صورة في الأذهان : أن سيدنا موسى وقومه يشكلون خطرا على فرعون وملكه ، فيكف يكون إلها من يخشى فئة صغيرا يعبدون إله آخر ؟! .. لذلك كان لابد من تهوين الأمر وذلك بتقليل شأن قوم موسى وحجمهم ((إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ)) [2] لكننا نطاردهم لأنهم أغاظونا ، وعلى أي حال ، فنحن حذرون مستعدون ممسكون بزمام الأمور .

وقف سيدنا موسى أمام البحر .. وبدا جيش الفرعون يقترب ، وظهرت أعلامه .. وامتلأ قوم موسى بالرعب .. كان الموقف حرجا وخطيرا .. إن البحر أمامهم والعدو ورائهم وليس معهم سفن أو أدوات لعبور البحر ، كما ليست أمامهم فرصة واحدة للقتال .. إنهم مجموعة من النساء والأطفال والرجال غير المسلحين .. سيذبحهم فرعون عن آخرهم .

---

[1] سورة يونس .

[2] سورة الشعراء آية ٥٤ .

www.alukah.net

صرخت بعض الأصوات من قوم موسى : سيدركنا فرعون .

قال سيدنا موسى : ((قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝)) [١] .

لم يكن يدري سيدنا موسى كيف ستكون النجاة .. لكن قلبه كان ممتلئا بالثقة بربه ، واليقين بعونه ، والتأكد من النجاة ، فالله هو الذى يوجهه ويرعاه .. وفي اللحظة الأخيرة ، يجيء الوحي من الله ((فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ)) [٢] فضربه ، فوقعت المعجزة ((فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ)) وتحقق المستحيل في منطق الناس .. لكن الله إن أراد شيئا قال له كن فيكون .

ووصل فرعون إلى البحر .. شاهد هذه المعجزة .. شاهد في البحر طريقا يابسا يشقه نصفين .. فأمر جيشه بالتقدم .. وحين انتهى موسى من عبور البحر أوحى الله إلى موسى أن يترك البحر على حاله ((وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ)) [٣] .. وكان الله تعالى قد شاء إغراق الفرعون .. فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف البحر ، حتى أصدر الله أمره ، فانطبقت الأمواج على فرعون وجيشه .. وغرق فرعون وجيشه .. غرق العناد ونجا الإيمان بالله .

ولما عاين فرعون الغرق ، ولم يعد يملك النجاة ((قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)) [٤] سقطت عنه كل الأقنعة الزائفة ، وتصائل ، فلم يكتفي بأن يعلن إيمانه ، بل والاستسلام أيضا (وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) لكن بلا فائدة ، فليس الآن وقت احتيار ، بعد أن سبق العصيان والاستكبار ((ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ)) [٥] .. انتهى وقت التوبة المحدد لك وهَلَكْتَ .. انتهى الأمر ولا نجاة لك .. سيجو جسدك وحده .. لن تأكله الأسماك ، ولن يحمله التيار بعيدا عن الناس ، بل سينجو

---

[١] سورة الشعراء آية ٦٢ . [٢] سورة الشعراء آية ٦٣ . [٣] سورة الدخان آية ٢٤ .

[٤] سورة يونس آية ٩٠ . [٥] سورة يونس آية ٩١ .

شبكة الألوكة - الكتب

جسدك لتكون آية لمن خلفك .. ((فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾))[1] .

أسدل الستار على طغيان الفرعون .. ولفظت الأمواج جثته إلى الشاطئ .. بعد ذلك نزل الستار تماما عن المصريين .. لقد خرجوا يتبعون خطا سيدنا موسى وقومه ويقفون أثرهم .. فكان خروجهم هذا هو الأخير .. وكان إخراجا لهم من كل ما هم فيه من جنات وعيون وكنوز ؛ فلم يعودوا بعدها لهذا النعيم ! .. لا يحدثنا القرآن الكريم عما فعله من بقى من المصريين في مصر بعد سقوط نظام الفرعون وغرقه مع جيشه .. لا يحدثنا عن ردود فعلهم بعد أن دمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يشيدون .. يسكت السياق القرآني عنهم .. ويستبعدهم تماما من التاريخ والأحداث .

- **نفسية بني إسرائيل الذليلة :**

لقد مات فرعون مصر .. غرق أمام عيون المصريين وبني إسرائيل .. ورغم موته ، فقد ظل أثره باقيا في نفوس المصريين وبني إسرائيل .. من الصعب على سنوات القهر الطويلة والذل المكثف أن تمر على نفوس الناس مر الكرام .. لقد عوّد فرعون بني إسرائيل الذل لغير الله .. هزم أرواحهم وأفسد فطرتهم فعذبوا موسى عذابا شديدا بالعناد والجهل .

كانت معجزة شق البحر لم تزل طرية في أذهانهم ، حين مروا على قوم يعبدون الأصنام .. وبدلا من أن يظهروا استيائهم لهذا الظلم للعقل ، ويحمدوا الله أن هداهم للإيمان ، بدلا من ذلك التفتوا إلى سيدنا موسى وطلبوا منه أن يجعل لهم إلها يعبدونه مثل هؤلاء الناس .. أدركتهم الغيرة لمرأى الأصنام ، ورغبوا في مثلها ، وعاودهم الحنين لأيام الشرك القديمة التي عاشوها في ظل فرعون .. واستلفتهم سيدنا موسى إلى جهلهم هذا ، وبيّن لهم أن عمل هؤلاء باطل ، وأن الله فضل بني إسرائيل على العالمين فكيف يجحد هذا التفضيل ويجعل لهم صنما يعبدونه من دون الله .. ثم ذكّرهم بفرعون وعذابه لهم ، وكيف أن الله نجاهم منه ، فكيف بعد ذلك يشركون بالله ما لا يضر ولا ينفع .

---

[1] سورة يونس .

www.alukah.net

- **موعد سيدنا موسى لملاقاة ربه :**

انتهت المرحلة الأولى من مهمة سيدنا موسى عليه السلام ، وهي تخليص بني إسرائيل من حياة الذل والتعذيب على يد فرعون وجنده ، والسير بهم إلى الديار المقدسة .. لكن القوم لم يكونوا على استعداد للمهمة الكبرى ، مهمة الخلافة في الأرض بدين الله .. وكان الاختبار الأول أكبر دليل على ذلك .. فما أن رأوا قوما يعبدون صنما ، حتى اهتزت عقيدة التوحيد في نفوسهم ، وطلبوا من سيدنا موسى أن يجعل لهم وثنا يعبدوه .. فكان لا بد من رسالة مفصلة لتربية هذه الأمة وإعدادها لما هم مقبلون عليه .. من أجل هذه الرسالة كانت مواعدة الله لعبده موسى ليلقاه .. وكانت هذه المواعدة إعداد لنفس سيدنا موسى ليتهيأ للموقف الهائل العظيم .. فاستخلف في قومه أخاه سيدنا هارون عليه السلام .

كانت فترة الإعداد ثلاثين ليلة ، أضيف إليها عشر ، فبلغت عدتها أربعين ليلة .. يروض سيدنا موسى فيها نفسه على اللقاء الموعود ؛ وينعزل فيها عن شواغل الأرض ؛ فتصفو روحه وتتقوى عزيمته .. ويذكر ابن كثير في تفسيره عن أمر هذه الليالي : " فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة ؛ قال المفسرون : فصامها سيدنا موسى عليه السلام وطواها ، فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة ، فأمره الله تعالى أن يكمل عشر ليال لتصبح أربعين ليلة " .

كان سيدنا موسى بصومه – أربعين ليلة– يقترب من ربه أكثر .. وكان سيدنا موسى بتكليم الله له يزداد حبا في ربه أكثر .. فطلب سيدنا موسى أن يرى الله .. ونحن لا نعرف أي مشاعر كانت تجيش في قلب سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حين سأل ربه الرؤية .. أحيانا كثيرة يدفع الحب البشري الناس إلى طلب المستحيل ، فما بالك بالحب الإلهي ، وهو أصل الحب؟ .. إن عمق إحساس سيدنا موسى بربه ، وحبه لخالقه ، واندفاعه الذي لم يزل يميز شخصيته ، دفعه هذا كله إلى أن يسأل الله الرؤية .

وجاءه رد الحق عز وجل : ((قَالَ لَن تَرَانِي)) [1] .

[1] سورة الأعراف آية ١٤٣ .

ولو أن الله تبارك وتعالى قالها و لم يزد عليها شيئا ، لكان هذا عدلا منه سبحانه ، غير أن الموقف هنا موقف حب إلهي من جانب سيدنا موسى .. موقف اندفاع يبرره الحب ولهذا أدركت رحمة الله تعالى سيدنا موسى .. أفهمه أنه لن يراه ، لأنه لا يوجد أحد من الخلق يصمد لنور الله .. أمره أن ينظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف يراه .. قال تعالى : ((وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا)) .

لا يصمد لنور الله أحد .. فدكّ الجبل ، وصار مسوّى في الأرض .. وسقط سيدنا موسى مغشيا عليه غائبا عن وعيه .. فلما أفاق قال سبحانك تنزهت وتعاليت عن أن تُرَى بالأبصار وتُدْرَك .. وتُبْتُ إليك عن تجاوزني للمدى في سؤالك ! .. وأنا أول المؤمنين بك وبعظمتك .

ثم تتداركه رحمة ربه من جديد .. فيتلقى سيدنا موسى عليه السلام البشرى .. بشرى الاصطفاء ، مع التوجيه له بالرسالة إلى قومه بعد الخلاص .. قال تعالى : ((قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ)) [1] .

ثم يبين الله تعالى مضمون الرسالة ((وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ)) [2] ففيها كل شيء يختص بموضوع الرسالة وغايتها من بيان الله وشريعته والتوجيهات المطلوبة لإصلاح حال هذه الأمة وطبيعتها التي أفسدها الذل وطول الأمد !

- **عبادة العجل :**

انتهى ميقات سيدنا موسى مع ربه تعالى .. وعاد غضبان أسفا إلى قومه .. فلقد أخبره الله أن قومه قد ضلّوا من بعده .. وأن رجلا من بني إسرائيل يدعى السّامري هو من أضلّهم .. انحدر سيدنا موسى من قمة الجبل وهو يحمل ألواح التوراة ، قلبه يغلي بالغضب والأسف .. نستطيع أن نتخيل انفعال سيدنا موسى وثورته وهو يحث خطاه نحو قومه .

---

[1] سورة الأعراف آية ١٤٤ .

[2] سورة الأعراف آية ١٤٥ .

www.alukah.net

لم يكد سيدنا موسى يغادر قومه إلى ميقات ربه حتى وقعت فتنة السامري .. وتفصيل هذه الفتنة أن بني إسرائيل حين خرجوا من مصر ، صحبوا معهم كثيرا من حلي المصريين وذهبهم ، حيث كانت نساء بني إسرائيل قد استعرنه للتزين به ، وعندما أمروا بالخروج حملوه معهم .. ثم قذفوها لأنـــها حرام .. فأخذها السامري ، وصنع منها تمثالا لعجل .. وكان السامري فيما يبدو نحاتا محترفا أو صائغا سابقا ، فصنع العجل مجوفا من الداخل ، ووضعه في اتجاه الريح ، بحيث يـــدخل الهواء من فتحته الخلفية ويخرج من أنفه فيحدث صوتا يشبه خوار العجول الحقيقية .

ويقال إن سر هذا الخوار ، أن السامري كان قد أخذ قبضة من تراب سار عليه جبريل عليه السلام حين نزل إلى الأرض في معجزة شق البحر .. أي أن السامري أبصر بما لم يبصروا به ، فقبض قبضة من أثر الرسول - جبريل عليه السلام - فوضعها مع الذهب وهو يصنع منه العجل .. وكان جبريـــل لا يسير على شيء إلا دبت فيه الحياة .. فلما أضاف السامري التراب إلى الذهب ، ثم صنع منـــه العجل ، خار العجل كالعجول الحقيقية .. وهذه هي القصة التي قالها السامري لموسى عليه السلام .

بعد ذلك ، خرج السامري على بني إسرائيل بما صنعه .. سألوه : ما هذا يا سامري ؟ .. قال : هذا إلهكم وإله موسى! .. قالوا : لكن موسى ذهب لميقات إلهه .. قال السامري : لقد نســـي موسى ، ذهب للقاء ربه هناك ، بينما ربه هنا .

وهبت موجة من الرياح فدخلت من دبر العجل الذهب وخرجت من فمه فخار العجل .. وعبد بنو إسرائيل هذا العجل .. لعل دهشة القارئ تثور لهذه الفتنة .. كيف يمكن الاستخفاف بعقول القوم لهذه الدرجة ؟! .. لقد وقعت لهم معجزات هائلة ، فكيف ينقلبون إلى عبادة الأصـــنام في لحظة ؟! .. تزول هذه الدهشة لو نظرنا في نفسية القوم الذين عبدوا العجل .. لقد تربوا في مصر ، أيام كانت مصر تعبد الأصنام وتقدس فيما تقدس العجل أبيس ، وتربوا على الـــذل والعبوديـــة ، فتغيرت نفوسهم ، والتوت فطرتـــهم ، ومرت عليهم معجزات الله فصادفت نفوسا تالفة الأمل .. لم يعد هناك ما يمكن أن يصنعه لهم أحد .. إن كلمات الله لم تعـــدهم إلى الحـــق ، كمـــا أن المعجزات الحسية لم تقنعهم بصدق الكلمات ، ظلوا داخل أعماقهم من عبدة الأوثان .. كـــانوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وثنيين مثل سادتـــهم المصريين القدماء .. ولهذا السبب انقلبوا إلى عبادة العجل .

وفوجئ سيدنا هارون عليه الصلاة والسلام يوما بأن بني إسرائيل يعبدون عجلا من الـــذهب .. انقسموا إلى قسمين : الأقلية المؤمنة أدركت أن هذا هراء ، والأغلبية الكافرة طاوعت حنينـــها لعبادة الأوثان .. ووقف سيدنا هارون وسط قومه وراح يعظهم .. قال لهم : إنكم فُتِنتُم به ، هذه فتنة ، استغل السامري جهلكم وفتنكم بعجله .. ليس هذا ربكم ولا رب موسى ((وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى)) [1] .. ورفض عبدة العجل موعظة سيدنا هارون .. لكن سيدنا هارون عليه السلام عاد يعظهم ويذكرهم بمعجزات الله التي أنقذهم بـــها ، وتكريمه ورعايته لهم ، فأصموا آذانـــهم ورفضوا كلماته ، واستضعفوه وكادوا يقتلونه ، وأنـــهوا مناقشة الموضـــوع بتأجيله حتى عودة موسى .. كان واضحا أن سيدنا هارون أكثر لينا من موسى ، لم يكن يهابه القوم للينه وشفقته .. وخشي سيدنا هارون أن يلجأ إلى القوة ويحطم لهم صنمهم الذي يعبدونه فتثور فتنة بين القوم .. فآثر سيدنا هارون تأجيل الموضوع إلى أن يحضر موسى .. كان يعرف أن سيدنا موسى بشخصيته القوية ، يستطيع أن يضع حدا لهذه الفتنة .. واستمر القوم يرقصون حول العجل .

انحدر سيدنا موسى عائدا لقومه فسمع صياح القوم وجلبتهم وهم يرقصون حـــول العجـــل .. توقف القوم حين ظهر موسى وساد صمت .. صرخ سيدنا موسى يقول : ((بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ)) [2] .. اتجه سيدنا موسى نحو سيدنا هارون وألقى ألواح التوراة من يـــده علـــى الأرض .. كان إعصار الغضب داخل سيدنا موسى يتحكم فيه تماما .. مد سيدنا موسى يديـــه وأمسك سيدنا هارون من شعر رأسه وشعر لحيته وشده نحوه وهو يرتعش .. قال سيدنا موسى : ((يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾)) [3] ..

---

[1] سورة طه آية ٩٠ .

[2] سورة الأعراف آية ١٥٠ .

[3] سورة طه آية ٩٢ ، ٩٣ .

www.alukah.net

إن سيدنا موسى يتساءل : هل عصى هارون أمره ؟ ، كيف سكت على هذه الفتنة ؟ ، كيف طاوعهم على البقاء معهم و لم يخرج ويتركهم ويتبرأ منهم ؟ ، كيف سكت عن مقاومتهم أصلا ؟ ، إن الساكت عن الخطأ مشترك فيه بشكل ما .. زاد الصمت عمقا بعد جملة موسى الغاضبة .. وتحدث سيدنا هارون إلى سيدنا موسى .. رجا منه أن يترك رأسه ولحيته ، بحق انتمائهما لأم واحدة .. وهو يذكره بالأم ولا يذكره بالأب ليكون ذلك أدعى لاستثارة مشاعر الحنو في نفسه .. أفهمه أن الأمر ليس فيه عصيان له .. وليس فيه رضا بموقف عبدة العجل .. إنما خشي أن يتركهم ويمضي فيسأله سيدنا موسى كيف لم يبق فيهم وقد تركه سيدنا موسى مسؤولا عنهم ، وخشي لو قاومهم بعنف أن يثير بينهم قتالا فيسأله سيدنا موسى كيف فرق بينهم و لم ينتظر عودته .. أفهم سيدنا هارون أخاه سيدنا موسى برفق ولين أن القوم استضعفوه ، وكادوا يقتلونه حين قاومهم .. رجا منه أن يترك رأسه ولحيته حتى لا يشمت به الأعداء ، ويستخف به القوم زيادة على استخفافهم به .. أفهمه أنه ليس ظالما مثلهم عندما سكت عن ظلمهم .

أدرك سيدنا موسى أنه ظلم سيدنا هارون في غضبه الذي أشعلته غيرته على الله تعالى وحرصه على الحق .. أدرك أن سيدنا هارون تصرف أفضل تصرف ممكن في هذه الظروف .. ترك رأسه ولحيته واستغفر الله له ولأخيه .. التفت سيدنا موسى لقومه وتساءل بصوت لم يزل يضطرب غضبا : ((يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى)) [1] .. إنه يعنفهم ويوبخهم ويلفتهم بإشارة سريعة إلى غباء ما عملوه .. عاد سيدنا موسى يقول غاضبا أشد الغضب : ((إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ)) [2] ..

لم تكد الجبال تبتلع أصداء الصوت الغاضب حتى نكس القوم رءوسهم وأدركوا خطأهم .. كان افتراؤهم واضحا على الحق الذي جاء به سيدنا موسى .. أبعد كل ما فعله الله تعالى لهم ،

(١) سورة طه آية ٨٦ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٢ .

شبكة الألوكة

ينكفئون على عبادة الأصنام ؟! .. أيغيب موسى أربعين يوما ثم يعود ليجدهم يعبدون عجلا من الذهب! .. أهذا تصرف قوم ، عهد الله إليهم بأمانة التوحيد في الأرض ؟!

التفت سيدنا موسى إلى السامري بعد حديثه القصير مع سيدنا هارون .. لقد أثبت له سيدنا هارون براءته كمسئول عن قومه في غيبته .. كما سكت القوم ونكسوا رءوسهم أمام ثورة موسى .. لم يبق إلا المسئول الأول عن الفتنة .. لم يبق إلا السامري .. تحدث سيدنا موسى إلى السامري وغضبه لم يهدأ بعد : ((قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ)) [1] .. إنه يسأله عن قصته ، ويريد أن يعرف منه ما الذي حمله على ما صنع .. قال السامري : ((بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ)) [2] : رأيت جبريل وهو يركب فرسه فلا تضع قدمها على شيء إلا دبت فيه الحياة ((فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ)) : أخذت حفنة من التراب الذي سار عليه جبريل وألقيتها على الذهب ((فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى)) : هذا ما ساقتني نفسي إليه .

لم يناقش سيدنا موسى عليه السلام السامري في ادعائه .. إنما قذف في وجهه حكم الحق .. ليس المهم أن يكون السامري قد رأى جبريل عليه السلام فقبض قبضة من أثره .. ليس المهم أن يكون خوار العجل بسبب هذا التراب الذي سار عليه فرس جبريل ، أو يكون الخوار بسبب ثقب اصطنعه السامري ليخور العجل .. المهم في الأمر كله جريمة السامري ، وفتنته لقوم موسى ، واستغلاله إعجاب القوم الدفين بسادتهم المصريين ، وتقليدهم لهم في عبادة الأوثان .. هذه هي الجريمة التي حكم فيها سيدنا موسى عليه السلام : ((قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا)) [3] .

حكم سيدنا موسى على السامري بالوحدة في الدنيا .. يقول بعض المفسرين : إن سيدنا موسى دعا على السامري بأن لا يمس أحدا ، معاقبة له على مسه ما لم يكن ينبغي له مسه .

---

[1] سورة طه آية ٩٥ . [2] سورة طه آية ٨٦ . [3] سورة طه آية ٩٧ .

www.alukah.net شبكة الألوكة

ونعتقد أن الأمر أخطر كثيرا من هذه النظرة السريعة .. إن السامري أراد بفتنته ضلال بني إسرائيل وجمعهم حول عجله الوثني والسيادة عليهم .. وقد جاءت عقوبته مساوية لجرمه .. لقد حكم عليه بالنبذ والوحدة .. هل مرض السامري مرضا جلديا بشعا صار الناس يأنفون من لمسه أو مجرد الاقتراب منه ؟ .. هل جاءه النبذ من خارج جسده ؟ .. لا نعرف ماذا كان من أمر الأسلوب الذي تمت به وحدة السامري ونبذ المجتمع له .. كل ما نعرفه أن سيدنا موسى أوقع عليه عقوبة رهيبة ، كان أهون منها القتل .. فقد عاش السامري منبوذا محتقرا لا يلمس شيئا ولا يمس أحدا ولا يقترب منه مخلوق .. هذه هي عقوبته في الدنيا ، ويوم القيامة له عقوبة ثانية ، يبهمها السياق لتجيء ظلالها في النفس أخطر وأرعب .

نهض سيدنا موسى بعد فراغه من السامري إلى العجل الذهب وألقاه في النار .. لم يكتف بصهره أمام عيون القوم المبهوتين ، وإنما نسفه في البحر نسفا .. تحول الإله المعبود أمام عيون المفتونين به إلى رماد يتطاير في البحر .. ارتفع صوت سيدنا موسى : ((إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا)) [1] هذا هو إلهكم ، وليس ذلك الصنم الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

بعد أن نسف سيدنا موسى الصنم ، وفرغ من الجاني الأصلي ، التفت إلى قومه ، وحكم في القضية كلها فأفهمهم أنهم ظلموا أنفسهم وترك لعبدة العجل مجالا واحدا للتوبة .. وكان هذا المجال أن يقتل المطيع من بني إسرائيل من عصى .. قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ)) [2] .. كانت العقوبة التي قررها سيدنا موسى على عبدة العجل مهولة ، وتتفق مع الجرم الأصلي .. إن عبادة الأوثان إهدار لحياة العقل وصحوته ، وهي الصحوة التي تميز الإنسان عن غيره من البهائم والجمادات ، وإزاء هذا الإزهاق

---

[1] سورة طه آية ٩٨ .
[2] سورة البقرة آية ٥٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لصحوة العقل، تجيء العقوبة إزهاقا لحياة الجسد نفسه ، فليس بعد العقل للإنسان حياة يتميز بـــها .. ومن نوع الجرم جاءت العقوبة .. جاءت قاسية ثم رحم الله تعالى وتاب (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) .

أخيرا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ .. تأمل تعبير القرآن الكريم الذي يصور الغضـــب في صـــورة كائن يقود تصرفات سيدنا موسى ، ابتداء من إلقائه لألواح التوراة ، وشده للحية أخيه ورأسه ، وانتهاء بنسف العجل في البحر ، وحكمه بالقتل على من اتخذوه ربا .. أخيرا سكت عن موسى الغضب .. زايله غضبه في الله ، وذلك أرفع أنواع الغضب وأجدرها بالاحترام والتوقير .. التفت سيدنا موسى إلى مهمته الأصلية حين زايله غضبه فتذكر أنه ألقى ألواح التوراة .. وعاد ســـيدنا موسى يأخذ الألواح ويعاود دعوته إلى الله .

- **رفع الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل :**

عاد سيدنا موسى إلى هدوئه ، واستأنف جهاده في الله ، وقرأ ألواح التوراة على قومـــه .. أمرهم في البداية أن يأخذوا بأحكامها بقوة وعزم .. ومن المدهش أن قومه ساوموه على الحق .. قالوا : انشر علينا الألواح فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها .. فقال سيدنا موسى : بـــل اقبلوها بما فيها .. فراجعوا مرارا ، فأمر الله تعالى ملائكته فرفعت الجبل على رءوسهم حتى صار كأنه غمامة فوقهم ، وقيل لهم : إن لم تقبلوها بما فيها سقط ذلك الجبل عليكم ، فقبلوا بذلك ، وأمروا بالسجود فسجدوا .. وضعوا خدودهم على الأرض وراحوا ينظرون إلى الجبل فـــوقهم هلعا ورعبا .

وهكذا أثبت قوم موسى أنـــهم لا يسلمون وجوههم لله إلا إذا لويت أعناقهم بمعجزة حســـية باهرة تلقي الرعب في القلوب وتنثني الأقدام نحو سجود قاهر يدفع الخوف إليه دفعا .. وهكـــذا يساق الناس بالعصا الإلهية إلى الإيمان .. يقع هذا في ظل غياب الوعي والنضج الكـــافيين لقيـــام الاقتناع العقلي .. ولعلنا هنا نشير مرة أخرى إلى نفسية قوم موسى ، وهي المسئول الأول عـــن عدم اقتناعهم إلا بالقوة الحسية والمعجزات الباهرة .. لقد تربى قوم موسى ونشئوا وسط هـــوان

www.alukah.net

وذل ، أهدرت فيهما إنسانيتهم والتوت فطرتهم .. و لم يعد ممكنا بعد ازدهار الذل في نفوسهم واعتيادهم إياه ، لم يعد ممكنا أن يساقوا إلى الخير إلا بالقوة .. لقد اعتادوا أن تسيرهم القوة القاهرة لسادتهم القدامى ، ولابد لسيدهم الجديد (وهو الإيمان) من أن يقاسي الأهوال لتسييرهم ، وأن يلجأ مضطرا إلى أسلوب القوة لينقذهم من الهلاك .. لم تمر جريمة عبادة العجل دون آثار .

- **اختيار سبعين رجلا لميقات الله :**

أمر سيدنا موسى بني إسرائيل أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه .. اختار منهم سبعين رجلا ، الخيّر فالخيّر ، وقال انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم .. صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم .. خرج سيدنا موسى بهؤلاء السبعين المختارين لميقات حدده له الله تعالى .. دنا سيدنا موسى من الجبل .. وكلم الله تعالى سيدنا موسى ، وسمع السبعون سيدنا موسى وهو يكلم ربه .

ولعل معجزة كهذه المعجزة تكون الأخيرة ، وتكون كافية لحمل الإيمان إلى القلوب مدى الحياة .. غير أن السبعين المختارين لم يكتفوا بما استمعوا إليه من المعجزة ، إنما طلبوا رؤية الله تعالى .. قالوا سمعنا ونريد أن نرى .. قالوا لسيدنا موسى ببساطة : ((يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً)) [1] .. هي مأساة تثير أشد الدهشة .. وهي مأساة تشير إلى صلابة القلوب واستمساكها بالحسيات والماديات .. كوفئ الطلب المتعنت بعقوبة صاعقة .. أخذتهم رجفة مدمرة صعقت أرواحهم وأجسادهم على الفور .. ماتوا .

أدرك سيدنا موسى ما أحدثه السبعون المختارون فملأه الأسى وقام يدعو ربه ويناشده أن يعفو عنهم ويرحمهم ، وألا يؤاخذهم بما فعل السفهاء منهم ، وليس طلبهم رؤية الله تبارك وتعالى وهم على ما هم فيه من البشرية الناقصة وقسوة القلب غير سفاهة كبرى .. سفاهة لا يكفر عنها إلا الموت .

[1] سورة البقرة آية ٥٥ .

قد يطلب النبي رؤية ربه ، كما فعل سيدنا موسى ، ورغم انطلاق الطلب من واقع الحب العظيم والهوى المسيطر ، الذي يبرر بما له من منطق خاص هذا الطلب ، رغم هذا كله يعتبر طلب الرؤية تجاوزا للحدود ، يجازى عليه النبي بالصعق ، فما بالنا بصدور هذا الطلب من بشر خاطئين ، بشر يحددون للرؤية مكانا وزمانا ، بعد كل ما لقوه من معجزات وآيات ؟ .. أليس هـذا سفاهة كبرى ؟ .. وهكذا صعق من طلب الرؤية .. ووقف سيدنا موسى يدعو ربـه ويستعطفه ويترضاه .. يحكي المولى عز وجل دعاء سيدنا موسى عليه السلام بالتوبة على قومه في سورة الأعراف :

((وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـَٔىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾)) ..

هذه كانت كلمات سيدنا موسى لربه وهو يدعوه ويترضاه .. ورضي الله تعالى عنه وغفر لقومه فأحياهم بعد موتـهم ، واستمع المختارون في هذه اللحظات الباهرة من تاريخ الحياة إلى النبوءة بمجيء سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

سنلاحظ طريقة الربط بين الحاضر والماضي في الآية ، إن الله تعالى يتجاوز زمن مخاطبة الرسول في الآيات إلى زمنين سابقين ، هما نزول التوراة ونزول الإنجيل ، ليقرر أنه (تعالى) بشّر بمحمـد في هذين الكتابين الكريمين .. نعتقد أن إيراد هذه البشرى جاء يوم صحب سيدنا موسى من قومه

www.alukah.net

سبعين رجلا هم شيوخ بني إسرائيل وأفضل من فيهم ، لميقات ربه .. في هذا اليوم الخطير بمعجزاته الكبرى ، تم إيراد البشرى بآخر أنبياء الله عز وجل .

يقول ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء ، نقلا عن قتادة :

إن موسى قال لربه : يا رب إني أجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. رب اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : ربي إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرءون كتابهم نظرا ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا و لم يعرفوه .. وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم .. رب اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فضول الضلالة . فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ، ويؤجرون عليها ، وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق أحدهم بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها ، وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير .. وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم .. رب فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : رب فإني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم عملها كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف . رب اجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

- **نزول المن والسلوى :**

سار سيدنا موسى بقومه في سيناء .. وهي صحراء ليس فيها شجر يقي من الشمس ، وليس فيها طعام ولا ماء .. وأدركتهم رحمة الله فساق إليهم المن والسلوى وظللهم الغمام .. والمن مادة يميل طعمها إلى الحلاوة وتفرزها بعض أشجار الفاكهة .. وساق الله إليهم السلوى ، وهو نوع من أنواع الطيور يقال إنه (السمان) .. وحين اشتد بهم الظمأ إلى الماء ، وسيناء مكان يخلو من الماء ، ضرب لهم سيدنا موسى بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من المياه ..

شبكة الألوكة لتقنيات الكتب

وكان بنو إسرائيل ينقسمون إلى ١٢ سبطا .. فأرسل الله المياه لكل مجموعة .. ورغم هذا الإكرام والحفاوة ، تحركت في النفوس التواءاتـها المريضة .. واحتج قوم موسى بأنـهم سئموا من هذا الطعام ، واشتاقت نفوسهم إلى البصل والثوم والفول والعدس ، وكانت هذه الأطعمة أطعمـة مصرية تقليدية .. وهكذا سأل بنو إسرائيل نبيهم موسى أن يدعو الله ليخرج لهم من الأرض هذه الأطعمة .

وعاد سيدنا موسى يستلفتهم إلى ظلمهم لأنفسهم ، وحنينهم لأيام هوانـهم في مصر ، وكيف أنـهم يتبطرون على خير الطعام وأكرمه ، ويريدون بدله أدنى الطعام وأسوأه .

- **السير باتجاه بيت المقدس :**

سار سيدنا موسى بقومه في اتجاه البيت المقدس .. أمر سيدنا موسى قومه بدخولها وقتال من فيها والاستيلاء عليها .. وها قد جاء امتحانـهم الأخير .. بعد كل ما وقع لهم من المعجـزات والآيات والخوارق جاء دورهم ليحاربوا - بوصفهم مؤمنين- قوما من عبدة الأصنام .. رفض قوم سيدنا موسى دخول الأراضي المقدسة .. وحدثهم سيدنا موسى عن نعمة الله علـيهم .. كيف جعل فيهم أنبياء ، وجعلهم ملوكا يرثون ملك فرعون ، وآتاهم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَـدًا مِّـنَ الْعَالَمِينَ .. وكان رد قومه عليه أنـهم يخافون من القتال .. قالوا : إن فيها قوما جبارين ، ولن يدخلوا الأرض المقدسة حتى يخرج منها هؤلاء .

وانضم لموسى وهارون اثنان من القوم .. تقول كتب القدماء إنـهم خرجوا في ستمائة ألف .. لم يجد سيدنا موسى من بينهم غير رجلين على استعداد للقتال .. وراح هذان الرجلان يحاولان إقناع القوم بدخول الأرض والقتال .. قالا : إن مجرد دخولهم من الباب سيجعل لهم النصـر .. ولكن بني إسرائيل جميعا كانوا يتدثرون بالجبن ويرتعشون في أعماقهم .

مرة أخرى تعاودهم طبيعتهم التي عاودتـهم قبل ذلك حين رأوا قوما يعكفون على أصنامهم .. فسدت فطرتـهم ، وانـهزموا من الداخل ، واعتادوا الذل ، فلم يعد في استطاعتهم أن يحاربوا .. وإن بقي في استطاعتهم أن يتوقحوا على نبي الله موسى وربه .. وقال قوم موسى لـه كلمتـهم

www.alukah.net

الشهيرة : ((فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)) [1] هكذا بصراحة وبلا التواء .

أدرك سيدنا موسى أن قومه ما عادوا يصلحون لشيء .. مات الفرعون ولكن آثاره في النفوس باقية يحتاج شفاؤها لفترة طويلة .. عاد موسى إلى ربه يحدثه أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه .. دعا سيدنا موسى على قومه أن يفرق الله بينه وبينهم .

وأصدر الله تعالى حكمه على هذا الجيل الذي فسدت فطرته من بني إسرائيل .. كان الحكم هو التيه أربعين عاما .. حتى يموت هذا الجيل أو يصل إلى الشيخوخة .. ويولد بدلا منه جيل آخر ، جيل لم يهزمه أحد من الداخل ، ويستطيع ساعتها أن يقاتل وأن ينتصر .

- **قصة البقرة :**

بدأت أيام التيه .. بدأ السير في دائرة مغلقة .. تنتهي من حيث تبدأ ، وتبدأ من حيث تنتهي ، بدأ السير إلى غير مقصد .. ليلا ونهارا وصباحا ومساء .. دخلوا البرية عند سيناء .

مكث سيدنا موسى في قومه يدعوهم إلى الله .. ويبدو أن نفوسهم كانت ملتوية بشكل لا تخطئه عين الملاحظة ، وتبدو لحاجتهم وعنادهم فيما يعرف بقصة البقرة .. فإن الموضوع لم يكن يقتضي كل هذه المفاوضات بينهم وبين سيدنا موسى ، كما أنه لم يكن يستوجب كل هذا التعنت .. وأصل قصة البقرة أن قتيلا ثريا وجد يوما في بني إسرائيل ، واختصم أهله و لم يعرفوا قاتله ، وحين أعياهم الأمر لجئوا لسيدنا موسى ليلجأ لربه .. ولجأ سيدنا موسى لربه فأمره أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة .. وكان المفروض هنا أن يذبح القوم أول بقرة تصادفهم .. غير أنهم بدءوا مفاوضتهم باللجاجة .. اتهموا سيدنا موسى بأنه يسخر منهم ويتخذهم هزوا ، واستعاذ سيدنا موسى بالله أن يكون من الجاهلين ويسخر منهم .. أفهمهم أن حل القضية يكمن في ذبح بقرة .

إن الأمر هنا أمر معجزة ، لا علاقة لها بالمألوف في الحياة ، أو المعتاد بين الناس .. ليست هناك علاقة بين ذبح البقرة ومعرفة القاتل في الجريمة الغامضة التي وقعت ، لكن متى كانت الأسباب المنطقية هي التي تحكم حياة بني إسرائيل ؟ .. إن المعجزات الخارقة هي القانون السائد في

[1] سورة المائدة آية ٢٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حياتـــهم ، وليس استمرارها في حادث البقرة أمرا يوحي بالعجب أو يثير الدهشة .

لكن بني إسرائيل هم بنو إسرائيل .. مجرد التعامل معهم عنت .. تستوي في ذلك الأمور الدنيوية المعتادة ، وشؤون العقيدة المهمة .. لا بد أن يعاني من يتصدى لأمر من أمور بـــني إســـرائيل .. وهكذا يعاني سيدنا موسى من إيذائهم له واتـــهامه بالسخرية منهم ، ثم ينبئهم أنه جـــاد فيمـــا يحدثهم به ، ويعاود أمره أن يذبحوا بقرة ، وتعود الطبيعة المراوغة لبني إسرائيل إلى الظهور ، تعود اللجاجة والالتواء ، فيتساءلون : أهي بقرة عادية كما عهدنا من هذا الجنس من الحيـــوان ؟ ، أم أنـــها خلق تفرد بمزية ، فليدع موسى ربه ليبين ما هي .. ويدعو سيدنا موسى ربـــه فيـــزداد التشديد عليهم ، وتحدد البقرة أكثر من ذي قبل ، بأنـــها بقرة وسط ليست بقرة مسنة وليست بقرة فتية ، بقرة متوسطة .

إلى هنا كان ينبغي أن ينتهي الأمر ، غير أن المفاوضات لم تزل مستمرة ، ومراوغة بني إسرائيل لم تزل هي التي تحكم مائدة المفاوضات : ما هو لون البقرة ؟ ، لماذا يدعو سيدنا موسى ربه ليسأله عن لون هذا البقرة ؟ ، لا يراعون مقتضيات الأدب والوقار اللازمين في حق الله تعالى وحق نبيه الكريم ، وكيف أنـــهم ينبغي أن يخجلوا من تكليف سيدنا موسى بـــهذا الاتصال المتكرر حول موضوع بسيط لا يستحق كل هذه اللجاجة والمراوغة .. ويسأل سيدنا موسى ربه ثم يحدثهم عن لون البقرة المطلوبة .. فيقول ((إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ)) [1] .

وهكذا حددت البقرة بأنـــها صفراء ، ورغم وضوح الأمر ، فقد عادوا إلى اللجاجة والمراوغة .. فشدد الله عليهم كما شددوا على نبيه وآذوه .. عادوا يسألون سيدنا موسى أن يدعو الله ليبين ما هي ، فإن البقر تشابه عليهم ، وحدثهم سيدنا موسى عن بقرة ليست معدة لحرث ولا لسقي ، سلمت من العيوب ، صفراء لا شية فيها ، بمعنى خالصة الصفرة .. انتهت بـــهم اللجاجـــة إلى التشديد .. وبدءوا بحثهم عن بقرة بـــهذه الصفات الخاصة .. أخيرا وجدوها عند يتيم فاشتروها وذبحوها .

---

[1] سورة البقرة آية ٦٩ .

www.alukah.net

وأمسك سيدنا موسى جزء من البقرة (وقيل لسانـــها) وضرب به القتيل فنهض من موته .. سأله سيدنا موسى عن قاتله فحدثهم عنه (وقيل أشار إلى القاتل فقط من غير أن يتحدث) ثم عاد إلى الموت .. وشـــاهد بنو إسرائيل معجزة إحياء الموتى أمام أعينهم ، استمعوا بآذانـــهم إلى اســـم القاتل .. انكشف غموض القضية التي حيرتـــهم زمنا طال بسبب لجاجتهم وتعنتهم .

نود أن نستلفت انتباه القارئ إلى سوء أدب القوم مع نبيهم وربـــهم ، ولعل السياق القرآني يورد ذلك عن طريق تكرارهم لكلمة "ربك" التي يخاطبون بـــها سيدنا موسى .. وكان الأولى بـــهم أن يقولوا لسيدنا موسى ، تأدبا ، لو كان لا بد أن يقولوا : ادع لنا ربنا. أما أن يقولوا له : (ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ) فكأنـــهم يقصرون ربوبية الله تعالى على سيدنا موسى ، ويخرجون أنفســـهم مـــن شرف العبودية لله .. انظر إلى الآيات كيف توحي بـــهدا كله .. ثم تأمل سخرية السياق منهم لمجرد إيراده لقولهم : ((ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ)) [1] بعد أن أرهقوا نبيهم ذهابا وجيئة بينهم وبين الله عز وجل ، بعد أن أرهقوا نبيهم بسؤاله عن صفة البقرة ولونـــها وسنها وعلاماتـــها المميزة ، بعد تعنتهم وتشديد الله عليهم .. لقد قالوا لنبيهم ((ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ)) فقط حين جاءهم بما يندر وجوده ويندر العثور عليه في البقر عادة ، كأنه كان يلعب قبلها معهم ، ولم يكن ما جاء هو الحق من أول كلمة لآخر كلمة .. ثم انظر إلى ظلال السياق وما تشي بـــه مـــن ظلمهـــم : ((فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)) ألا توحي لك ظلال الآيات بتعنتهم وتسويفهم وممارساتـــهم ولجاجتهم في الحق ؟ .. هذه اللوحة الرائعة تشي بموقف بني إسرائيل على موائد المفاوضـــات .. هي صورتـــهم على مائدة المفاوضات مع نبيهم الكريم سيدنا موسى .

- **إيذاء بني إسرائيل لسيدنا موسى :**

قاسى سيدنا موسى من قومه أشد المقاساة ، وعانى عناء عظيما ، واحتمل في تبليغهم رسالته ما احتمل في سبيل الله .. ولعل مشكلة سيدنا موسى الأساسية أنه بعث إلى قوم طال عليهم العهد

---

[1] سورة البقرة آية ٧١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بالهوان والذل ، وطال بقاؤهم في جو يخلو من الحرية ، وطال مكثهم وسط عبادة الأصنام ، ولقد نجحت المؤثرات العديدة المختلفة في أن تخلق هذه النفسية الملتوية الخائرة المهزومة التي لا تصلح لشيء. إلا أن تعذب أنبيائها ومصلحيها .

وقد عذب بنو إسرائيل سيدنا موسى عذابا نستطيع – نحن أبناء هذا الزمان– أن ندرك وقعه على نفس سيدنا موسى النقية الحساسة الكريمة .. و لم يقتصر العذاب على العصيان والغباء واللجاجة والجهل وعبادة الأوثان ، وإنما تعدى الأمر إلى إيذاء سيدنا موسى في شخصه .. قال تعالى : ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا)) [1]

ونعتقد أن اليهود آذوا سيدنا موسى إيذاء نفسيا ، هذا هو الإيذاء الذي يدمي النفوس الكريمة ويجرحها حقا ، ولا نعرف كيف كان هذا الإيذاء ، ولكننا نستطيع تخيل المدى العبقري الآثم الذي يستطيع بلوغه بنو إسرائيل في إيذائهم لسيدنا موسى .

- **فترة التيه :**

ولعل أعظم إيذاء لسيدنا موسى ، كان رفض بني إسرائيل القتال من أجل نشر عقيدة التوحيد في الأرض ، أو على أقل تقدير ، السماح لهذه العقيدة أن تستقر على الأرض في مكان ، وتأمن على نفسها ، وتمارس تعبدها في هدوء .. لقد رفض بنو إسرائيل القتال .. وقالوا لسيدنا موسى كلمتهم الشهيرة : ((فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ)) [2] .. وبهذه النفسية حكم الله عليهم بالتيه .. وكان الحكم يحدد أربعين عاما كاملة ، وقد مكث بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة ، حتى فنى جيل بأكمله .. فنى الجيل الخائر المهزوم من الداخل ، وولد في ضياع الشتات وقسوة التيه جيل جديد .. جيل لم يتربى وسط مناخ وثني ، و لم يشل روحه انعدام الحرية .. جيل لم ينهزم من الداخل ، جيل لم يعد يستطيع الأبناء فيه أن يفهموا لماذا يطوف الآباء هكذا بغير هدف في تيه لا يبدو له أول ولا تستبين له نهاية ، إلا خشية من لقاء العدو .. جيل صار مستعدا لدفع ثمن آدميته وكرامته من دمائه .. جيل لا يقول لسيدنا موسى ((فَٱذْهَبْ أَنتَ

[1] سورة الأحزاب آية ٦٩ .

[2] سورة المائدة آية ٢٤ .

www.alukah.net شبكة الألوكة

وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ)) .. جيل آخر يتبنى قيم الشجاعة العسكرية ، كجزء مهم من نسيج أي ديانة من ديانات التوحيد .. أخيرا ولد هذا الجيل وسط تيه الأربعين عاما .

ولقد قدر لسيدنا موسى ، زيادة في معاناته ورفعا لدرجته عند الله تعالى ، قدر له ألا تكتحل عيناه برأى هذا الجيل .. فقد مات سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قبل أن يدخل بنو إسرائيل الأرض التي كتب الله عليهم دخولها .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان قومه يؤذونه في الله : ((قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ)) . رواه البخارى .

مات سيدنا هارون قبل سيدنا موسى بزمن قصير .. واقترب أجل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام .. وكان لم يزل في التيه .. قال يدعو ربه : رب أدنني إلى الأرض المقدسة رمية حجر .

أحبَّ أن يموت قريبا من الأرض التي هاجر إليها وحث قومه عليها .. ولكنه لم يستطع ، ومات في التيه .. ودفن عند كثيب أحمر حدث عنه آخر أنبياء الله في الأرض حين أسرى به .. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ . رواه مسلم .

مات سيدنا موسى – عليه الصلاة والسلام– في التيه .. وتولى يوشع بن نون أمر بني إسرائيل .

- **موسى والعبد الصالح :**

قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا)) [1]

كان لسيدنا موسى عليه السلام هدف من رحلته هذه التي اعتزمها ، وأنه كان يقصد من ورائها أمرا ، فهو يعلن عن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة ، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول .. فيعبر عن هذا التصميم قائلا (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) .

نرى أن القرآن الكريم لا يحدد لنا المكان الذي وقت فيه الحوادث ، ولا يحدد لنا التاريخ ، كما أنه

---

[1] سورة الكهف آية ٦٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لم يصرح بالأسماء . ولم يبين ماهية العبد الصالح الذي ألتقاه سيدنا موسى ، هل هو نبي أو رسول ؟ ، أم عالم ؟ ، أم ولي ؟ .

اختلف المفسرون في تحديد المكان ، فقيل إنه بحر فارس والروم ، وقيل بل بحر الأردن أو القلزم ، وقيل عند طنجة ، وقيل في أفريقيا ، وقيل هو بحر الأندلس .. ولا يقوم الدليل على صحة مكان من هذه الأمكنة ، ولو كان تحديد المكان مطلوبا لحدده الله تعالى .. وإنما أبهم السياق القرآني المكان ، كما أبهم تحديد الزمان ، كما ضبب أسماء الأشخاص لحكمة عُليا .

إن القصة تتعلق بعلم ليس هو علمنا القائم على الأسباب .. وليس هو علم الأنبياء القائم على الوحي .. إنما نحن أمام علم من طبيعة غامضة أشد الغموض .. علم القدر الأعلى ، وذلك علم أسدلت عليه الأستار الكثيفة .. مكان اللقاء مجهول كما رأينا .. وزمان اللقاء غير معروف هو الآخر .. لا نعرف متى تم لقاء سيدنا موسى بهذا العبد .

وهكذا تمضي القصة بغير أن تحدد لك سطورها مكان وقوع الأحداث ، ولا زمانه ، يخفي السياق القرآني أيضا اسم أهم أبطالها .. يشير إليه الحق تبارك وتعالى بقوله : ((عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)) [1] هو عبد أخفى السياق القرآني اسمه .. هذا العبد هو الذي يبحث عنه سيدنا موسى ليتعلم منه .

لقد خص الله تعالى نبيه الكريم سيدنا موسى عليه السلام بأمور كثيرة .. فهو كليم الله عز وجل ، وأحد أولي العزم من الرسل ، وصاحب معجزة العصا واليد ، والنبي الذي أنزلت عليه التوراة دون واسطة ، وإنما كلمه الله تكليما .. هذا النبي العظيم يتحول في القصة إلى طالب علم متواضع يتحمل أستاذه ليتعلم .. ومن يكون معلمه غير هذا العبد الذي يتجاوز السياق القرآني اسمه ، وإن حدثتنا السنة المطهرة أنه هو الْخَضِر عليه السلام كما حدثتنا أن الفتى هو يوشع بن نون .. ويسير سيدنا موسى مع العبد الذي يتلقى علمه من الله بغير أسباب التلقي التي نعرفها.

---

[1] سورة الكهف آية ٦٥ .

www.alukah.net

ومع منـــزلة موسى العظيمة إلا أن الْخَضِر يرفض صحبة سيدنا موسى .. يفهمه أنه لن يستطيع معه صبرا .. ثم يوافق على صحبته بشرط .. ألا يسأله سيدنا موسى عن شيء حتى يحدثه الْخَضِر عنه .

والْخَضِر هو الصمت المبـــهم ذاته ، إنه لا يتحدث ، وتصرفاته تثير دهشة سيدنا موسى العميقة .. إن هناك تصرفات يأتيها الْخَضِر وترتفع أمام عيني سيدنا موسى حتى لتصل إلى مرتبـــة الجـــرائم والكوارث .. وهناك تصرفات تبدو لسيدنا موسى بلا معنى .. وتثير تصرفات الْخَضِر دهشة سيدنا موسى ومعارضته .. ورغم علم سيدنا موسى ومرتبته ، فإنه يجد نفسه في حيرة عميقة من تصرفات هذا العبد الذي آتاه الله من لدنه علما.

وقد اختلف العلماء في الْخَضِر : فيهم من يعتبره وليا من أولياء الله ، وفيهم من يعتبره نبيا .. وقد نسجت الأساطير نفسها حول حياته ووجوده ، فقيل إنه لا يزال حيا إلى يوم القيامة ، وهي قضية لم ترد بـــها نصوص أو آثار يوثق فيها ، فلا نقول فيها إلا أنه مات كما يموت عباد الله .. وتبقى قضية ولايته ، أو نبوته .. وسنرجئ الحديث في هذه القضية حتى ننظر في قصته كما أوردهـــا القرآن الكريم .

قام سيدنا موسى خطيبا في بني إسرائيل ، يدعوهم إلى الله ويحدثهم عن الحق ، ويبدو أن حديثه جاء جامعا مانعا رائعا .. بعد أن انتهى من خطابه سأله أحد المستمعين من بني إسرائيل : هل على وجه الأرض أحد أعلم منـــك يـــا نـــبي الله ؟ .. قـــال ســـيدنا موســـى منـــدفعا : لا .. وساق الله تعالى عتابه لسيدنا موسى حين لم يرد العلم إليه ، فبعث إليه جبريل يسأله : يا موسى ما يدريك أين يضع الله علمه ؟ .. أدرك سيدنا موسى أنه تسرع .. وعاد جبريل عليه السلام يقول له : إن لله عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك .

تاقت نفس سيدنا موسى الكريمة إلى زيادة العلم ، وانعقدت نيته على الرحيل لمصاحبة هذا العبد العالم .. سأل كيف السبيل إليه .. فأمر أن يرحل ، وأن يحمل معه حوتا في مكتل ، أي سمكة في سلة .. وفي هذا المكان الذي ترتد فيه الحياة لهذا الحوت ويتسرب في البحر ، سيجد العبد العالم .. انطلق سيدنا موسى - طالب العلم- ومعه فتاه .. وقد حمل الفتى حوتا في سلة .. انطلقا بحثا عـــن

العبد الصالح العالم .. وليست لديهم أي علامة على المكان الذي يوجد فيه إلا معجزة ارتداد الحياة للسمكة القابعة في السلة وتسربها إلى البحر .

ويظهر عزم سيدنا موسى عليه السلام على العثور على هذا العبد العالم ولو اضطره الأمر إلى أن يسير أحقابا وأحقابا .. قيل أن الحقب عام ، وقيل ثمانون عاما .. على أية حال فهو تعبير عن التصميم ، لا عن المدة على وجه التحديد .

وصل الاثنان إلى صخرة جوار البحر.. رقد سيدنا موسى واستسلم للنعاس ، وبقي الفتى ساهرا .. وألقت الرياح إحدى الأمواج على الشاطئ فأصاب الحوت رذاذ فدبت فيه الحياة وقفز إلى البحر .. ((فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا)) [1] .. وكان تسرب الحوت إلى البحر علامة أعلم الله بها سيدنا موسى لتحديد مكان لقائه بالرجل الحكيم الذي جاء سيدنا موسى يتعلم منه .

نهض سيدنا موسى من نومه فلم يلاحظ أن الحوت تسرب إلى البحر .. ونسي فتاه الذي يصحبه أن يحدثه عما وقع للحوت .. وسار سيدنا موسى مع فتاه بقية يومهما وليلتهما وقد نسيا حوتهما .. ثم تذكر سيدنا موسى غداءه وحل عليه التعب .. ((قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا)) [2] .. ولمع في ذهن الفتى ما وقع .. ساعتئذ تذكر الفتى كيف تسرب الحوت إلى البحر هناك .. وأخبر سيدنا موسى بما وقع ، واعتذر إليه بأن الشيطان أنساه أن يذكر له ما وقع ، رغم غرابة ما وقع ، فقد اتخذ الحوت ((سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا)) [3] .. كان أمرا عجيبا ما رآه يوشع بن نون ، لقد رأى الحوت يشق الماء فيترك علامة وكأنه طير يتلوى على الرمال .

سعد سيدنا موسى من مروق الحوت إلى البحر وقال ((ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ)) [4] : هذا ما كنا نريده ، إن تسرب الحوت يحدد المكان الذي سنلتقي فيه بالرجل العالم .. ويرتد سيدنا موسى

---

[1] سورة الكهف آية ٦١ .
[2] سورة الكهف آية ٦٢ .
[3] سورة الكهف آية ٦٣ .
[4] سورة الكهف آية ٦٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفتاه يقصان أثرهما عائدين .. انظر إلى بداية القصة ، وكيف تجيء غامضة أشد الغموض ، مبهمة أعظم الإبـــهام .

أخيرا وصل سيدنا موسى إلى المكان الذي تسرب منه الحوت .. وصلا إلى الصخرة التي نامـــا عندها ، وتسرب عندها الحوت من السلة إلى البحر .. وهناك وجدا رجلا .

يقول البخاري إن موسى وفتاه وَجَدَا الخَضِرمُسَجًّى بِثَوْبِه .. قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِه .. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى .. فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِه وَقَالَ : هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلاَمٍ ؟! ، مَنْ أَنْتَ ؟ .. قَالَ : أَنَا مُوسَى .. قَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ .. قَالَ : نَعَمْ .. قَالَ : فَمَا شَأْنُكَ ؟ .. قَالَ : (جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا) .. قَالَ : أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ يَا مُوسَى ؟ .. يا موسى (إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) .

نريد أن نتوقف لحظة لنلاحظ الفرق بين سؤال سيدنا موسى الملاطف المغالي في الأدب .. ورد الْخَضِر الحاسم ، الذي يُفْهِم سيدنا موسى أن علمه لا ينبغي لموسى أن يعرفه ، كمـــا أن علـــم سيدنا موسى هو علم لا يعرفه الْخَضِر .. يقول المفسرون إن الْخَضِر قال لموسى : إن علمي أنت تجهله ، ولن تطيق عليه صبرا ، لأن الظواهر التي ستحكم بـــها على علمي لن تشفي قلبك ولن تعطيك تفسيرا .. وربما رأيت في تصرفاتي ما لا تفهم له سببا أو تدري له علة .. وإذن لن تصبر على علمي يا موسى .

احتمل سيدنا موسى كلمات الصد القاسية وعاد يرجوه أن يسمح له بمصاحبته والتعلم منـــه .. وقال له سيدنا موسى فيما قال إنه سيجده إن شاء الله صابرا ولا يعصي له أمرا .

تأمل كيف يتواضع كليم الله ويؤكد للعبد المدثر بالخفاء أنه لن يعصي له أمرا .

قال الْخَضِر لموسى - عليهما السلام- إن هناك شرطا يشترطه لقبول أن يصاحبه موسى ويتعلم منه هو ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه هو عنه .. فوافق سيدنا موسى على الشرط وانطلقا ..

انطلق سيدنا موسى مع الْخَضِر يمشيان على ساحل البحر .. مرت سفينة ، فطلـــب الْخَضِـــر وموسى من أصحابـــها أن يحملوهما ، وعرف أصحاب السفينة الْخَضِر فحملوه وحملوا سيدنا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

موسى بدون أجر ، إكراما للْخَضِر ، وفوجئ سيدنا موسى حين رست السفينة وغادرها أصحابها وركابها .. فوجئ بأن الْخَضِر يتخلف فيها ، لم يكد أصحابها يبتعدون حتى بدأ الْخَضِر يخرق السفينة .. اقتلع لوحا من ألواحها وألقاه في البحر فحملته الأمواج بعيدا .

فاستنكر سيدنا موسى فعلة الْخَضِر : لقد حملنا أصحاب السفينة بغير أجر .. أكرمونا.. وها هو ذا يخرق سفينتهم ويفسدها.. كان التصرف من وجهة نظر سيدنا موسى معيبا .. وغلبت طبيعة سيدنا موسى المندفعة عليه ، كما حركته غيرته على الحق ، فاندفع يحدث أستاذه ومعلمه وقد نسي شرطه الذي اشترطه عليه : ((قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)) [١] .. وهنا يلفت العبد الرباني نظر سيدنا موسى إلى عبث محاولة التعليم منه ، لأنه لن يستطيع الصبر عليه ((قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)) [٢] .. ويعتذر سيدنا موسى بالنسيان ويرجوه ألا يؤاخذه وألا يرهقه ((قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)) [٣] .. سارا معا.. فمرا على حديقة يلعب فيها الصبيان .. حتى إذا تعبوا من اللعب انتحى كل واحد منهم ناحية واستسلم للنعاس .. فوجئ سيدنا موسى بأن العبد الرباني يقتل غلاما .. ويثور سيدنا موسى سائلا عن الجريمة التي ارتكبها هذا الصبي ليقتله هكذا .. يعاود العبد الرباني تذكيره بأنه أفهمه أنه لن يستطيع الصبر عليه ((قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)) [٤] .. ويعتذر سيدنا موسى بأنه نسي ولن يعاود الأسئلة وإذا سأله مرة أخرى سيكون من حقه أن يفارقه ((قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا)) [٥] .. ومضى سيدنا موسى مع الخضر .. فدخلا قرية بخيلة .. لا يعرف سيدنا موسى لماذا ذهبا إلى القرية ، ولا يعرف لماذا يبيتان فيها .. نفذ ما معهما من الطعام ، فاستطعما أهل القرية فأبوا أن يضيفوهما .. وجاء عليهما المساء ، وأوى الاثنان إلى خلاء فيه جدار يريد أن ينقض ..

---

[١] سورة الكهف آية ٧١ . [٢] سورة الكهف آية ٧٢ . [٣] سورة الكهف آية ٧٣ .

[٤] سورة الكهف آية ٧٥ . [٥] سورة الكهف آية ٧٦ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جدار يتهاوى ويكاد يهم بالسقوط .. وفوجئ سيدنا موسى بأن الرجل العابد ينهض ليقضي الليل كله في إصلاح الجدار وبنائه من جديد .. ويندهش سيدنا موسى من تصرف رفيقه ومعلمه ، إن القرية بخيلة ، لا يستحق من فيها هذا العمل المجاني ((قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)) [1] .. انتهى الأمر بـــهذه العبارة .. قال عبد الله لسيدنا موسى : ((قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)) [2] .. لقد حذر العبد الرباني سيدنا موسى من مغبة السؤال .. وجاء دور التفسير الآن ..

إن كل تصرفات العبد الرباني التي أثارت سيدنا موسى وحيرته لم يكن حين فعلها تصدر عن أمره .. كان ينفذ إرادة عليا .. وكانت لهذه الإرادة العليا حكمتها الخافية ، وكانت التصرفات تشي بالقسوة الظاهرة ، بينما تخفي حقيقتها رحمة حانية .. وهكذا تخفي الكوارث أحيانا في الدنيا جوهر الرحمـــة ، وترتدي النعم ثياب المصائب وتجيد التنكر ، وهكذا يتناقض ظاهر الأمر وباطنه ، ولا يعلـــم ســـيدنا موسى ، رغم علمه الهائل غير قطرة من علم العبد الرباني ، ولا يعلم العبد الرباني من علم الله إلا بمقدار ما يأخذ العصفور الذي يبلل منقاره في البحر، من ماء البحر ..

كشف العبد الرباني لسيدنا موسى شيئين في الوقت نفسه .. كشف له أن علمـــه - أي علـــم موسى- محدود .. كما كشف له أن كثيرا من المصائب التي تقع على الأرض تخفي في ردائهـــا الأسود الكئيب رحمة عظمى .

إن أصحاب السفينة سيعتبرون خرق سفينتهم مصيبة جاءتـــهم ، بينما هي نعمة تتخفى في زي المصيبة .. نعمة لن تكشف النقاب عن وجهها إلا بعد أن تنشب الحرب ويصادر الملـــك كـــل السفن الموجودة غصبا ، ثم يفلت هذه السفينة التالفة المعيبة .. وبذلك يبقى مصدر رزق الأسرة عندهم كما هو، فلا يموتون جوعا .

أيضا سيعتبر والد الطفل المقتول وأمه أن كارثة قد دهمتهما لقتل وحيدهما الصغير البريء .. غير أن موته يمثل بالنسبة لهما رحمة عظمى ، فإن الله سيعطيهما بـــدلا منـــه غلامـــا يرعاهمـــا في

---

[1] سورة الكهف آية ٧٧ .

[2] سورة الكهف آية ٧٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شيخوختهما ولا يرهقهما طغيانا وكفرا كالغلام المقتول .

وهكذا تختفي النعمة في ثياب المحنة ، وترتدي الرحمة قناع الكارثة ، ويختلف ظاهر الأشياء عن باطنها حتى ليحتج نبي الله موسى إلى تصرف يجري أمامه ، ثم يستلفته عبد من عباد الله إلى حكمة التصرف ومغزاه ورحمة الله الكلية التي تخفي نفسها وراء أقنعة عديدة .

أما الجدار الذي أتعب نفسه بإقامته ، من غير أن يطلب أجرا من أهل القرية ، كان يخبئ تحته كنزا لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة .. ولو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن يدفعا عنه .. ولما كان أبوهما صالحا فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما ، فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته .. ثم ينفض الرجل يده من الأمر .. فهي رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف . وهو أمر الله لا أمره .. فقد أطلعه على الغيب في هذه المسألة وفيما قبلها، ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه .

واختفى هذا العبد الصالح .. لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول .. إلا أن سيدنا موسى تعلم من صحبته درسين مهمين :

- تعلم ألا يغتر بعلمه في الشريعة ، فهناك علم الحقيقة .
- وتعلم ألا يتجهم قلبه لمصائب البشر ، فربما تكون يد الرحمة الخالقة تخفي سرها من اللطف والإنقاذ ، والإيناس وراء أقنعة الحزن والآلام والموت .

هذه هي الدروس التي تعلمها سيدنا موسى كليم الله عز وجل ورسوله من هذا العبد المدثر بالخفاء .

والآن من يكون صاحب هذا العلم إذن ؟ .. أهو ولي أم نبي ؟ ..

يرى كثير من الصوفية أن هذا العبد الرباني ولي من أولياء الله تعالى ، أطلعه الله على جزء من علمه اللدني بغير أسباب انتقال العلم المعروفة .. ويرى بعض العلماء أن هذا العبد الصالح كان نبيا .. ويحتج أصحاب هذا الرأي بأن سياق القصة يدل على نبوته من وجوه :

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١. أحدها قوله تعالى فى سورة الكهف :

((فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾)) .

٢. والثاني قول موسى له فى سورة الكهف أيضا :

((قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾)) .

فلو كان وليا و لم يكن نبي، لم يخاطبه سيدنا موسى بـــهذه المخاطبة، و لم يرد على سيدنا موسى هذا الرد. ولو أنه كان غير نبي، لكان هذا معناه أنه ليس معصوما، و لم يكن هناك دافع لموســـى، وهو النبي العظيم، وصاحب العصمة، أن يلتمس علما من ولي غير واجب العصمة.

٣. والثالث :

أن الْخَضِر أقدم على قتل ذلك الغلام بوحي من الله وأمر منه .. وهذا دليل مستقل على نبوته ، وبرهان ظاهر على عصمته ، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقـــى في خلده ، لأن خاطره ليس بواجب العصمة .. إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق .. وإذن ففي إقـــدام الْخَضِر على قتل الغلام دليل نبوته .

٤. والرابع قول الْخَضِر لسيدنا موسى :

((رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى)) .. يعني أن ما فعلته لم أفعله من تلقاء نفسي ، بل أمر أمرت به من الله وأوحي إلي فيه .

فرأى العلماء أن الْخَضِر نبيا ، أما العباد والصوفية رأوا أنه وليا من أولياء الله .

ومن كلمات الْخَضِر التي أوردها الصوفية عنه .. قول وهب بن منبه : قال الْخَضِر : يا موسى إن الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بـــها .. وقول بشر بن الحارث الحافي : قال موســـى

لِلْخَضِرِ : أوصني ، قال الْخَضِرِ : يسر الله عليك طاعته .

ونحن نميل إلى اعتباره نبيا لعلمه اللدني ، غير أننا لا نجد نصا في سياق القرآن على نبوته ، ولا نجد نصا مانعا من اعتباره وليا آتاه الله بعض علمه اللدني.. ولعل هذا الغموض حول شخصه الكريم جاء متعمدا ، ليخدم الهدف الأصلي للقصة .. ولسوف نلزم مكاننا فلا نتعداه ونختصم حول نبوته أو ولايته .. وإن أوردناه في سياق أنبياء الله ، لكونه معلما لسيدنا موسى .. وأستاذا له فترة من الزمن .

- **قارون وقوم موسى :**

يروي لنا القرآن قصة قارون ، وهو من قوم موسى .. لكن القرآن لا يحدد زمن القصة ولا مكانها .. فهل وقعت هذه القصة وبنو إسرائيل وموسى في مصر قبل الخروج ؟ ، أو وقعت بعد الخروج في حياة سيدنا موسى؟ ، أم وقعت في بني إسرائيل من بعد سيدنا موسى؟ .. وبعيدا عن الروايات المختلفة ، نورد القصة كما ذكرها القرآن الكريم .

يحدثنا الله عن كنوز قارون فيقول سبحانه وتعالى إن مفاتيح الحجرات التي تضم الكنوز ، كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء .. ولو عرفنا عن مفاتيح الكنوز هذه الحال ، فكيف كانت الكنوز ذاتها ؟! .. لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه الله الثراء .. ولا يذكر القرآن فيم كان البغي ، ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور .. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم .. وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال .. حق الفقراء في أموال الأغنياء .. وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب .

ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال ، وهو المنهج السليم .. فهم يحذروه من الفرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم بهذا المال ، وينصحونه بالتمتع بالمال في الدنيا ، من غير أن ينسى الآخرة ، فعليه أن يعمل لآخرته بهذا المال .. ويذكرونه بأن هذا المال هبة من الله وإحسان ، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال ، حتى يرد الإحسان بالإحسان .. ويحذرونه من الفساد في الأرض ، بالبغي ، والظلم ، والحسد ، والبغضاء ، وإنفاق المال في غير

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجهه ، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه .. فالله لا يحب المفسدين .

فكان رد قارون جملة واحدة تحمل شتى معاني الفساد ((قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ)) [1] .. لقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها ، وفتنه المال وأعماه الثراء .. فلم يستمع قارون لنداء قومه ، و لم يشعر بنعمة ربه .

وخرج قارون ذات يوم على قومه ، بكامل زينته ، فطارت قلوب بعض القوم ، وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون ، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة .. فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان : ويلكم أيها المخدوعون ، احذروا الفتنة ، واتقوا الله ، واعلموا أن ثواب الله خير من هذه الزينة ، وما عند الله خير مما عند قارون .

وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها ، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى ، تتدخل القدرة الإلهية لتضع حدا للفتنة ، وترحم الناس الضعاف من إغراءها ، وتحطم الغرور والكبرياء ، فيجيء العقاب حاسما ((فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ)) [2] هكذا في لمحة خاطفة ابتلعته الأرض وابتلعت داره .. وذهب ضعيفا عاجزا ، لا ينصره أحد ، ولا ينتصر بجاه أو مال .

وبدأ الناس يتحدثون إلى بعضهم البعض في دهشة وعجب واعتبار .. فقال الذين كانوا يتمنون أن عندهم مال قارون وسلطانه وزينته وحظه في الدنيا : حقا إن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع عليهم ، أو يقبض ذلك ، فالحمد لله أن منّ علينا فحفظنا من الخسف والعذاب الأليم .. إنا تبنا إليك سبحانك ، فلك الحمد في الأولى والآخرة .

---

[1] سورة القصص آية ٧٨ .

[2] سورة القصص آية ٨١ .

سيدنا هارون عليه السلام

- **نبذة :**

أخو سيدنا موسى ورفيقه في دعوة فرعون إلى الإيمان بالله لأنه كان فصيحا ومتحدثا، استخلفه سيدنا موسى على قومه عندما ذهب للقاء الله فوق جبل الطور، ولكن حدثت فتنة السامري الذي حول بني إسرائيل إلى عبادة عجل من الذهب له خوار ، فدعاهم سيدنا هارون إلى الرجوع لعبادة الله بدلا من العجل ولكنهم استكبروا فلما رجع سيدنا موسى ووجد ما آل إليه قومه عاتب سيدنا هارون عتابا شديدا .

- **سيرته :**

لا يذكر الكثير عن سيرة سيدنا هارون عليه السلام إلا أن المعلوم هو أن الله أيد سيدنا موسى بأخيه سيدنا هارون في دعوته فلقد كان سيدنا هارون عليه السلام أفصح لسانا .. وورد موقف سيدنا موسى عليه السلام من أخيه حين استخلفه على بني إسرائيل وذهب للقاء ربه ، فعبدت بنو إسرائيل العجل الذي صنعه السامري .. القصة مذكورة بتفاصيلها في قصة سيدنا موسى عليه السلام .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا داود عليه السلام

• **نبذة :**

آتاه الله العلم والحكمة وسخر له الجبال والطير يسبحن معه ، وألان له الحديد .. كان عبدًا خالصًا لله شكورا يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه .. وأنزل الله عليه الزبور .. وقد أوتي ملكا عظيما وأمره الله أن يحكم بالعدل .

• **حال بنو إسرائيل قبل داود :**

قبل البدء بقصة سيدنا داود عليه السلام لنرى الأوضاع التي عاشها بنو إسرائيل في تلك الفترة .. لقد انفصل الحكم عن الدين .. فكانت الملوك تسوس بني إسرائيل وكانت الأنبياء تهديهم .. وزاد طغيان بني إسرائيل ، فكانوا يقتلون الأنبياء ، نبيا تلو نبي ، فسلط الله عليهم ملوكا منهم ظلمة جبارين طغوا عليهم .

وتتالت الهزائم على بني إسرائيل ، حتى أنهم أضاعوا التابوت .. وكان في التابوت بقية مما ترك آل موسى وهارون .. فقيل أن فيها بقية من الألواح التي أنزلها الله على موسى ، وعصاه ، وأمورا آخرى .. كان بنو إسرائيل يأخذون التابوت معهم في معاركهم لتحل عليهم السكينة ويحققوا النصر .. ولما كثرت ذنوبهم ضاع منهم التابوت فى أحد الحروب التى هزموا فيها ، وساءت أحوالهم ..

في هذه الظروف الصعبة ، كانت هنالك امرأة حامل تدعو الله كثيرا أن يرزقها ولدا ذكرا ، فولدت غلاما فسمته أشموئيل .. ومعناه بالعبرانية إسماعيل .. أي سمع الله دعائي .. فلما ترعرع بعثته إلى المسجد وأسلمته لرجل صالح ليتعلم منه الخير والعبادة .. فكان عنده ، فلما بلغ أشده ، بينما هو ذات ليلة نائم فإذا بصوت يأتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعورا ظانا أن الشيخ يدعوه .. فهرع أشموئيل إليه يسأله : أدعوتني ؟ .. فكره الشيخ أن يفزعه فقال : نعم ، نَمْ .. فنام .. ثم ناداه الصوت مرة ثانية وثالثة .. وانتبه إلى جبريل عليه السلام يدعوه : إن ربك بعثك إلى قومك ..

• اختيار طالوت ملكا :

ذهب بنو إسرائيل لنبيهم يوما .. سألوه : ألسنا مظلومين ؟ .. قال : بلى .. قالوا : ألسنا مشردين ؟ .. قال : بلى .. قالوا : ابعث لنا ملكا يجمعنا تحت رايته كي نقاتل في سبيل الله ونستعيد أرضنا ومجدنا .. قال نبيهم وكان أعلم بـــهم : هل أنتم واثقون من القتال لو كتب عليكم القتال ؟ .. قالوا : ولماذا لا نقاتل في سبيل الله ، وقد طردنا من ديارنا ، وتشرد أبناؤنا ، وساء حالنا ؟ .. قال نبيهم : إن الله اختار لكم طالوت ملكا عليكم .. قالوا : كيف يكون ملكا علينا وهو ليس من أبناء الأسرة التي يخرج منها الملوك - أبناء يهوذا - كما أنه ليس غنيا ، وفينا من هو أغنى منه ؟.. قال نبيهم : إن الله اختاره ، وفضله عليكم بعلمه وقوة جسمه .. قالوا : ما هي آية ملكه ؟ .. قال لهم نبيهم : سيرجع لكم التابوت تحمله الملائكة .. ووقعت هذه المعجزة .. وعادت إليهم التوراة يوما .. ثم تجهز جيش طالوت .. وسار الجيش طويلا حتى أحس الجنود بالعطش .. قال الملك طالوت لجنوده : سنصادف نـــهرا في الطريق ، فمن شرب منه فليخرج من الجيش ، ومن لم يذقه وإنما بَلَّ ريقه فقط فليبق معي في الجيش .. وجاء النهر فشرب معظم الجنود ، وخرجوا من الجيش ، وكان طالوت قد أعد هذا الامتحان ليعرف من يطيعه من الجنود ومن يعصاه ، وليعرف أيهم قوي الإرادة ويتحمل العطش ، وأيهم ضعيف الإرادة ويستسلم بسرعة .. لم يبق إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، لكن جميعهم من الشجعان .. كان عدد أفراد جيش طالوت قليلا ، وكان جيش العدو كبيرا وقويا .. فشعر بعض - هؤلاء الصفوة - أنـــهم أضعف من جالوت وجيشه وقالوا : كيف نـــهزم هذا الجيش الجبار ؟! .. قال المؤمنون من جيش طالوت : النصر ليس بالعُدة والعَتاد ، إنما النصر من عند الله .. ((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)) [1].. فثبّتوهم .

وبرز جالوت في دروعه الحديدية وسلاحه ، وهو يطلب أحدا يبارزه .. وخاف منه جنود طالوت جميعا.. وهنا برز من جيش طالوت راعي غنم صغير هو داود.. كان داود مؤمنا بالله ،

---

[1] سورة البقرة آية ٢٤٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان يعلم أن الإيمان بالله هو القوة الحقيقية في هذا الكون ، وأن العبرة ليست بكثرة السلاح ، ولا ضخامة الجسم ومظهر الباطل .

وكان الملك قد قال : من يقتل جالوت يصير قائدا على الجيش ويتزوج ابنتي .. ولم يكن سيدنا داود يهتم كثيرا لهذا الإغراء .. كان يريد أن يقتل جالوت لأن جالوت رجل جبار وظالِم ولا يؤمن بالله .. وسمح الملك لسيدنا داود أن يبارز جالوت .. وتقدم سيدنا داود بعصاه وخمسة أحجار ومقلاعه (وهو نبلة يستخدمها الرعاة) .. تقدم جالوت المدجج بالسلاح والدروع .. وسخر جالوت من سيدنا داود وأهانه وضحك منه ، ووضع سيدنا داود حجرا قويا في مقلاعه وطوح به في الهواء وأطلق الحجر فأصاب جالوت فقتله .. وبدأت المعركة وانتصر جيش طالوت على جيش جالوت ..

- **جمع الله الملك والنبوة لسيدنا داود :**

بعد فترة أصبح سيدنا داود عليه السلام ملكا لبني إسرائيل ، فجمع الله على يديه النبوة والملك مرة أخرى .. لقد أكرم الله نبيه الكريم بعدة معجزات : لقد أنزل عليه الزبور ((وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا))[1] ، وآتاه جمال الصوت ، فكان عندما يسبّح تسبح الجبال والطيور معه ، والناس ينظرون ، وألان الله في يديه الحديد ، حتى قيل أنه كان يتعامل مع الحديد كما كان الناس يتعاملون مع الطين والشمع ، وقد تكون هذه الإلانة بمعنى أنه أول من عرف أن الحديد ينصهر بالحرارة ، فكان يصنع منه الدروع ..

كانت الدروع الحديدية التي يصنعها صناع الدروع ثقيلة ولا تجعل المحارب حرا يستطيع أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يريد .. فقام سيدنا داود بصناعة نوعية جديدة من الدروع .. درع يتكون من حلقات حديدية تسمح للمحارب بحرية الحركة ، وتحمي جسده من السيوف والفئوس والخناجر.. أفضل من الدروع الموجودة أيامها ..

---

[1] سورة النساء آية ١٦٣ .

وشد الله ملك سيدنا داود .. جعله الله منصورا على أعدائه دائما .. وجعل ملكه قويا عظيما يخيف الأعداء حتى بغير حرب .. وزاد الله من نعمه على داود فأعطاه الحكمة وفصل الخطاب .. أعطاه الله مع النبوة والملك حكمة وقدرة على تمييز الحق من الباطل ، ومعرفة الحق ومساندته .. فأصبح نبيا ملكا قاضيا ..

• **القضايا التي عرضت على سيدنا داود :**

يروي لنا القرآن الكريم بعضا من القضايا التي وردت سيدنا على داود عليه السلام .. فلقد جلس داود كعادته يوما يحكم بين الناس في مشكلاتـــهم .. وجاءه رجل صاحب حقل ومعه رجل آخر .. وقال له صاحب الحقل : سيدي النبي .. إن غنم هذا الرجل نزلت حقلي أثناء الليل ، وأكلت كل عناقيد العنب التي كانت فيه .. وقد جئت إليك لتحكم لي بالتعويض .. قال سيدنا داود لصاحب الغنم : هل صحيح أن غنمك أكلت حقل هذا الرجل ؟ .. قال صاحب الغنم : نعم يا سيدي .. قال سيدنا داود : لقد حكمت بأن تعطيه غنمك بدلا من الحقل الذي أكلته .. قال سيدنا سليمان (وكان الله قد علمه حكمة تضاف إلى ما ورث من والده) : عندي حكم آخر يا أبي .. قال سيدنا داود: قله يا سليمان .. قال سليمان : أحكم بأن يأخذ صاحب الغنم حقل هذا الرجل الذي أكلته الغنم ، ويصلحه له ويزرعه حتى تنمو أشجار العنب .. وأحكم لصاحب الحقل أن يأخذ الغنم ليستفيد من صوفها ولبنها ويأكل منه ، فإذا كبرت عناقيد العنب وعاد الحقل سليما كما كان أخذ صاحب الحقل حقله وأعطى صاحب الغنم غنمه .. قال سيدنا داود : هذا حكم عظيم ياسليمان .. الحمد لله الذي وهبك الحكمة .

وقد ورد في الصحيح قصة أخرى : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا .. فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا : إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ .. وَقَالَتِ الأُخْرَى : إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ .. فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى ، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ : ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا .. فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لاَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا .. فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى » .. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ قَطُّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلاَّ يَوْمَئِذٍ ، مَا كُنَّا نَقُولُ إِلاَّ الْمُدْيَةَ ..

• **فتنة داود :**

وكان سيدنا داود رغم قربه من الله وحب الله له ، يتعلم دائما من الله ، وقد علمه الله يوما ألا يحكم أبدا إلا إذا استمع لأقوال الطرفين المتخاصمين .. فيذكر لنا المولى في كتابه الكريم قضية أخرى عرضت على سيدنا داود عليه السلام ..

جلس سيدنا داود يوما في محرابه الذي يصلي فيه لله ويتعبد فيه ، وكان إذا دخل حجرته أمر حراسه ألا يسمحوا لأحد بالدخول عليه أو إزعاجه وهو يصلي .. ثم فوجئ يوما في محرابه بأنه أمام اثنين من الرجال .. وخاف منهما سيدنا داود لأنـــهما دخلا رغم أنه أمر ألا يدخل عليه أحد .. سألهما سيدنا داود : من أنتما ؟ .. قال أحد الرجلين : لا تخف يا سيدي .. بيني وبين هذا الرجل خصومة ، وقد جئناك لتحكم بيننا بالحق .. سأل سيدنا داود : ما هي القضية ؟ .. قال الرجل الأول : ((إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ))[1] وقد أخذها مني .. قال : أعطها لي ، وأخذها مني .. وقال سيدنا داود بغير أن يسمع رأي الطرف الآخر وحجته : ((لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟))[2] .. وفوجئ سيدنا داود باختفاء الرجلين من أمامه .. اختفى الرجلان كما لو كانا سحابة تبخرت في الجو .. وأدرك سيدنا داود أن الرجلين مَلَكَان أرسلهما الله إليه ليعلماه درسا .. فلا يحكم بين المتخاصمين من الناس إلا إذا سمع أقوالهم جميعا .. فربما كان صاحب التسع والتسعين نعجة معه الحق .. وخر سيدنا داود راكعا ، وسجد لله ، واستغفر ربه ..

• **وفاته عليه السلام :**

عاد سيدنا داود يعبد الله ويسبحه حتى مات .. كان سيدنا داود يصوم يوما ويفطر يوما.. قال سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عن سيدنا داود : " أَفْضَلُ الصِّيَامِ

---

[1] سورة ص آية ٢٣ .
[2] سورة ص آية ٢٤ .

صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ .. كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا " [1] .. وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا ، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ، ويبكي ببكائه كل شيء ، ويشفي بصوته المهموم والمحموم ..

جاء في الحديث الصحيح أن سيدنا داود عليه السلام كان شديد الغيرة على نساءه ، فكانت نساءه في قصر ، وحول القصر أسوار ، حتى لا يقترب أحد من نساءه .. وفي أحد الأيام رأى النسوة رجلا في صحن القصر ، فقالوا : من هذا ؟! والله لن رآه داود ليبطشنّ به .. فبلغ الخبر سيدنا داود عليه السلام فقال للرجل : من أنت ؟ وكيف دخلت ؟ .. قال : أنا من لا يقف أمامه حاجز .. قال : أنت ملك الموت .. فأذن له فأخذ ملك الموت روحه .

مات سيدنا داود عليه السلام وعمره مائة سنة .. وشيع جنازته عشرات الآلاف .. فكان محبوبا جدا بين الناس .. حتى قيل : لم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كان بنو إسرائيل أشد جزعا عليه منهم على داود .. وآذت الشمس الناس فدعا سيدنا سليمان الطير قال : أظلي على داود ، فأظلته حتى أظلمت عليه الأرض ، وسكنت الريح .. وقال سيدنا سليمان للطير : أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي من ناحية الريح .. وأطاعت الطير .. فكان ذلك أول ما رآه الناس من ملك سليمان .

[1] رواه أحمد والنسائي .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا سُلَيْمان عليه السلام

• نبذة :

آتاه الله العلم والحكمة ، وعلمه منطق الطير والحيوانات ، وسخر له الرياح والجن .. وكان له قصة مع الهدهد حيث أخبره أن هناك مملكة باليمن يعبد أهلها الشمس من دون الله ، فبعث سيدنا سليمان إلى ملكة سبأ يطلب منها الإيمان ، ولكنها أرسلت له الهدايا ، فطلب من الجن أن يأتوا بعرشها ، فلما جاءت ووجدت عرشها آمنت بالله .

• سيرته :

((وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ)) [١] ورثه في النبوة والملك .. ليس المقصود وراثته في المال ، لأن الأنبياء لا يُورِّثون .. إنما تكون أموالهم صدقة من بعدهم للفقراء والمحتاجين ، لا يخصون بها أقربائهم .. قال سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ : " إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُورَثُ " [٢] .

• ملك سليمان :

لقد آتى الله سيدنا سليمان عليه السلام ملكا عظيما ، لم يؤته أحدا من قبله ، ولن يعطه لأحد من بعده إلى يوم القيامة .. فقد استجاب الله تعالى لدعوة سيدنا سليمان : ((رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ)) [٣] ..

لنتحدث الآن عن بعض الأمور التي سخرها الله لنبيه سليمان عليه السلام .. لقد سخر له أمرا لم يسخره لأحد من قبله ولا بعده .. سخر الله له "الجن" .. فكان لديه عليه السلام القدرة على حبس الجن الذين لا يطيعون أمره ، وتقييدهم بالسلاسل وتعذيبهم .. ومن يعص سليمان يعذبه الله تعالى .. لذلك كانوا يستجيبون لأوامره ، فيبنون له القصور ، والتماثيل - التي كانت مباحة في شرعهم - والأواني والقدور الضخمة جدا ، فلا يمكن تحريكها من ضخامتها .. وكانت تغوص له في أعماق البحار وتستخرج اللؤلؤ والمرجان والياقوت ..

---

[١] سورة النمل آية ١٦ . [٢] رواه أحمد . [٣] سورة ص آية ٣٥ .

وسخر الله لسليمان عليه السلام الريح فكانت تجري بأمره .. لذلك كان يستخدمها سيدنا سليمان في الحرب .. فكان لديه بساطا خشبيا ضخم جدا ، وكان يأمر الجيش بأن يركب على هذا الخشب ، ويأمر الريح بأن ترفع البساط وتنقلهم للمكان المطلوب .. فكان يصل في سرعة خارقة ..

ومن نعم الله عليه : إسالة النحاس له .. مثلما أنعم على والده سيدنا داود بأن ألان له الحديد وعلمه كيف يصهره .. وقد استفاد سليمان من النحاس المذاب فائدة عظيمة في الحرب والسلم ..

ونختم هذه النعم بجيش سيدنا سليمان عليه السلام .. كان جيشه مكون من : البشر ، والجن ، والطيور .. فكان يعرف لغتها ..

• **سليمان والخيل :**

بعد عرض نعم الله عليه ، لنبدأ بقصته عليه السلام وبعض أحداثها .. كان سيدنا سليمان عليه السلام يحب الخيل كثيرا ، خصوصا ما يسمى (بالصافنات) ، وهي من أجود أنواع الخيول وأسرعها .. وفي يوم من الأيام ، بدأ استعراض هذه الخيول أمام سيدنا سليمان عصرا ، وتذكر بعد الروايات أن عددها كان أكثر من عشرين ألف جواد ، فأخذ ينظر إليها ويتأمل فيها .. فطال الاستعراض ، فشغله عن ورده اليومي في ذكر الله تعالى ، حتى غابت الشمس .. فانتبه ، وأنّبَ نفسه لأن حبه لهذه الخيول شغله عن ذكر ربه حتى غابت الشمس .. فأمر بإرجاع الخيول له ((فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ)) [1] .. وجاءت هنا روايتان كلاهما قوي : رواية تقول إنه أخذ السيف وبدأ بضربها على رقابها وأرجلها ، حتى لا ينشغل بها عن ذكر الله .. ورواية أخرى تقول إنه كان يمسح عليها ويستغفر الله عز وجل ، فكان يمسحها ليرى السقيم منها من الصحيح لأنه كان يعدّها للجهاد في سبيل الله ..

• **ابتلاء سيدنا سليمان :**

ورغم كل هذه النعم العظيمة والمنح الخاصة ، فقد فتن الله تعالى سيدنا سليمان .. اختبره

---

[1] سورة ص آية ٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وامتحنه ، والفتنة امتحان دائم ، وكلما كان العبد عظيما كان امتحانه عظيما..

وحقيقة هذه الفتنة ما ذكره الفخر الرازي إذ قال :

إن سليمان ابتلي بمرض شديد حار فيه الطب .. مرض سليمان مرضا شديدا حار فيه أطباء الإنس والجن .. وأحضرت له الطيور أعشابا طبية من أطراف الأرض فلم يشف .. وكل يوم كان المرض يزيد عليه حتى أصبح سليمان إذا جلس على كرسيه كأنه جسد بلا روح .. كأنه ميت من كثرة الإعياء والمرض .. واستمر هذا المرض فترة كان سليمان فيها لا يتوقف عن ذكر الله وطلب الشفاء منه واستغفاره وحبه .. وانتهى امتحان الله تعالى لعبده سليمان ، وشفي سليمان .. عادت إليه صحته بعد أن عرف أن كل مجده وكل ملكه وكل عظمته لا تستطيع أن تحمل إليه الشفاء إلا إذا أراد الله سبحانه .. هذا هو الرأي الذي نرتاح إليه ، ونراه لائقا بعصمة نبي حكيم وكريم كسليمان ..

ويذكر لنا القرآن الكريم مواقف عدة تتجلى لنا فيها حكمة سيدنا سليمان عليه السلام ومقدرته الفائقة على استنتاج الحكم الصحيح في القضايا المعروضه عليه .. ومن هذه القصص ما حدث في زمن سيدنا داود عليه السلام ، قال تعالى : ((وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ))[1]..

وقد سردت القصة بالتفصيل فى سيرة سيدنا داود عليه السلام ..

- **سليمان والنملة :**

ويذكر لنا القرآن الكريم قصة عجيبة : ((وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ

---

[1] سورة الأنبياء الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾))[1] ..

يقول العلماء : " ما أعقلها من نملة وما أفصحها " .. (يَا) نادت ، (أَيُّهَا) نبّهت ، (ادْخُلُوا) أمرت ، (لا يَحْطِمَنَّكُمْ) نـــهت ، (سُلَيْمَانُ) خصّت ، (وَجُنُودُهُ) عمّت ، (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) اعتذرت .. سمع سيدنا سليمان كلام النملة فتبسم ضاحكا من قولها.. ما الذي تتصوره هذه النملة ! .. رغم كل عظمته وجيشه فإنه رحيم بالنمل .. يسمع همسه وينظر دائما أمامه ولا يمكن أبدا أن يدوسه .. وكان سيدنا سليمان يشكر الله أن منحه هذه النعمة .. نعمة الرحمة ، ونعمة الحنو والشفقة والرفق .

• **سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ :**

ولعل أشهر قصة عن سيدنا سليمان عليه السلام هي قصته مع بلقيس ملكة سبأ .. جاء يوم وأصدر سيدنا سليمان أمره لجيشه أن يستعد .. بعدها ، خرج سيدنا سليمان يتفقد الجيش ، ويستعرضه ويفتش عليه .. فاكتشف غياب الهدهد وتخلفه عن الوقوف مع الجيش .. فغضب وقرر تعذيبه أو قتله ، إلا إن كان لديه عذر قوي منعه من القدوم .. فجاء الهدهد ووقف على مسافة غير بعيدة عن سيدنا سليمان عليه السلام ((فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾))[2] .. وانظروا كيف يخاطب هذا الهدهد أعظم ملك في الأرض ، بلا إحساس بالذل أو المهانة ، ليس كما يفعل ملوك اليوم لا يتكلم معهم أحد إلا ويجب أن تكون علامات الذل ظاهرة عليه .. فقال الهدهد أن أعلم منك بقضية معينة ، فجئت بأخبـــار أكيدة من مدينة سبأ باليمن .. ((إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً)) بلقيس .. ((تَمْلِكُهُمْ)) تحكمهم .. ((وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ)) أعطاها الله قوة وملكا عظيمين وسخّر لها أشياء كثيرة .. ((وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)) وكرسي الحكم ضخم جدا ومرصّع بالجواهر .. ((وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ)) وهم يعبدون الشمس .. ((وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ))

---

[1] سورة النمل .

[2] سورة النمل .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أضلهم الشيطان .. ((فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ)) يسجدون للشمس ويتركون الله سبحانه وتعالى .. ((ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٦)) .. وذكر العرش هنا لأنه ذكر عرش بلقيس من قبل ، فحتى لا يغترّ إنسان بعرشها ذكر عرش الله سبحانه وتعالى ..

فتعجب سيدنا سليمان من كلام الهدهد ، فلم يكن شائعا أن تحكم المرأة البلاد .. وتعجب من أن قوما لديهم كل شيء ويسجدون للشمس .. وتعجب من عرشها العظيم .. فلم يصدق الهدهد و لم يكذبه إنما قَالَ : ((سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ))[1].. وهذا منتهى العدل والحكمة .. ثم كتب كتابا وأعطاه للهدهد وقال له : ((ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ))[2] ألق الكتاب عليهم ، وقف في مكان بعيد بحيث تستطيع سماع ردهم على الكتاب .. يختصر السياق القرآني في سورة النمل ما كان من أمر ذهاب الهدهد وتسليمه الرسالة ، وينتقل مباشرة إلى الملكة ، وسط مجلس المستشارين ، وهي تقرأ على رؤساء قومها ووزرائها رسالة سيدنا سليمان .. ((قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣١))[3].. هذا هو نص خطاب الملك سليمان لملكة سبأ.. إنه يأمر في خطابه أن يأتوه مسلمين .. هكذا مباشرة .. إنه يتجاوز أمر عبادتهم للشمس .. ولا يناقشهم في فساد عقيدتهم .. ولا يحاول إقناعهم بشيء .. إنما يأمر فحسب .. أليس مؤيدا بقوة تسند الحق الذي يؤمن به ؟ .. لا عليه إذن أن يأمرهم بالتسليم .. كان هذا كله واضحا من لهجة الخطاب القصيرة المتعالية المهذبة .. في نفس الوقت طرحت الملكة على رؤساء قومها الرسالة .. وكانت عاقلة تشاورهم في جميع

---

[1] سورة النمل آية ٢٧ .
[2] سورة النمل آية ٢٨ .
[3] سورة النمل الآيات من ٢٩ : ٣١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأمور : ((قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ))[1].. كان رد فعل الملأ وهم رؤساء قومها التحدي .. أثارت الرسالة بلهجتها المتعالية المهذبة غرور القوم ، وإحساسهم بالقوة .. أدركوا أن هناك من يتحداهم ويلوح لهم بالحرب والهزيمة ويطالبهم بقبول شروطه قبل وقوع الحرب والهزيمة ، قالوا ((نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ))[2].. أراد رؤساء قومها أن يقولوا : نحن على استعداد للحرب .. ويبدو أن الملكة كانت أكثر حكمة من رؤساء قومها .. فإن رسالة سيدنا سليمان أثارت تفكيرها أكثر مما استنفرتـــها للحرب .. فكرت الملكة طويلا في رسالة سيدنا سليمان .. كان اسمه مجهولا لديها ، لم تسمع به من قبل ، وبالتالي كانت تجهل كل شيء عن قوته ، ربما يكون قويا إلى الحد الذي يستطيع فيه غزو مملكتها وهزيمتها .

ونظرت الملكة حولها فرأت تقدم شعبها وثراءه ، وخشيت على هذا الثراء والتقدم من الغزو .. ورجحت الحكمة في نفسها على التهور ، وقررت أن تلجأ إلى اللين ، وترسل إليه بِهَدية .. وقدرت في نفسها أنه ربما يكون طامعا قد سمع عن ثراء المملكة ، فحدثت نفسها بأن تـــهادنه وتشتري السلام منه بِهدية .. قدرت في نفسها أيضا إن إرسالها بِهدية إليه ، سيمكن رسلها الذين يحملون الهدية من دخول مملكته ، وإذن سيكون رسلها عيونا في مملكته .. يرجعون بأخبار قومه وجيشه ، وفي ضوء هذه المعلومات سيكون تقدير موقفها الحقيقي منه ممكنا ..

أخفت الملكة ما يدور في نفسها ، وحدثت رؤساء قومها بأنـــها ترى استكشاف نيات الملك سليمان عن طريق إرسال هدية إليه ، انتصرت الملكة للرأي الذي يقضي بالانتظار والترقب .. وأقنعت رؤساء قومها بنبذ فكرة الحرب مؤقتا ، لأن الملوك إذا دخلوا قرية انقلبت أوضاعها وصار رؤساءها هم أكثر من فيها تعرضا للهوان والذل .. واقتنع رؤساء قومها حين لوحت الملكة بما يتهددهم من أخطار ..

---

[1] سورة النمل آية ٣٢ .

[2] سورة النمل آية ٣٣ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصلت هدية الملكة بلقيس إلى الملك النبي سليمان .. جاءت الأخبار لسيدنا سليمان بوصول رسل بلقيس وهم يحملون الهدية .. وأدرك سيدنا سليمان على الفور أن الملكة أرسلت رجالها ليعرفوا معلومات عن قوته لتقرر موقفها بشأنه .. ونادى سيدنا سليمان في المملكة كلها أن يحتشد الجيش .. ودخل رسل بلقيس وسط غابة كثيفة مدججة بالسلاح .. فوجئ رسل بلقيس بأن كل غناهم وثرائهم يبدو لا شيء وسط بـــهاء مملكة سليمان .. وصغرت هديتهم في أعينهم .. وفوجئوا بأن في الجيش أسودا ونمورا وطيورا .. وأدركوا أنـــهم أمام جيش لا يقاوم .. ثم قدَّموا لسيدنا سليمان هدية الملكة بلقيس على استحياء شديد .. وقالوا له : نحن نرفض الخضوع لك ، لكننا لا نريد القتال ، وهذه الهدية علامة صلح بيننا ونتمنى أن تقبلها .. نظر سيدنا سليمان إلى هدية الملكة وأشاح ببصره ((فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ))[1] .. كشف الملك سليمان بكلماته القصيرة عن رفضه لهديتهم ، وأفهمهم أنه لا يقبل شراء رضاه بالمال .. يستطيعون شراء رضاه بشيء آخر ((أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ))[2] .. ثم هددهم ((ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ))[3] ..

وصل رسل بلقيس إلى سبأ .. وهناك هرعوا إلى الملكة وحدثوها أن بلادهم في خطر .. حدثوها عن قوة سيدنا سليمان واستحالة صد جيشه .. أفهموها أنـــها ينبغي أن تزوره وترضاه .. وجهزت الملكة نفسها وبدأت رحلتها نحو مملكة سليمان ..

جلس سيدنا سليمان في مجلس الملك وسط رؤساء قومه ووزرائه وقادة جنده وعلمائه .. كان يفكر في بلقيس .. يعرف أنـــها في الطريق إليه .. تسوقها الرهبة لا الرغبة .. ويدفعها الخوف لا الاقتناع .. ويقرر سليمان بينه وبين نفسه أن يبهرها بقوته ، فيدفعها ذلك للدخول في الإسلام .. فسأل من حوله ، إن كان بإمكان احدهم أن يحضر له عرش بلقيس قبل أن تصل الملكة لسليمان ..

---

[1] سورة النمل آية ٣٦ . [2] سورة النمل آية ٣١ . [3] سورة النمل آية ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فعرش الملكة بلقيس هو أعجب ما في مملكتها .. كان مصنوعا من الذهب والجواهر الكريمة ، وكانت حجرة العرش وكرسي العرش آيتين في الصناعة والسبك .. وكانت الحراسة لا تغفل عن العرش لحظة .. فقال أحد الجن : أنا أستطيع إحضار العرش قبل أن ينتهي المجلس (وكان عليه السلام يجلس من الفجر إلى الظهر) وأنا قادر على حمله وأمين على جواهره .. لكن شخص آخر يطلق عليه القرآن الكريم (الذي عنده علم الكتاب) قال لسليمان : أنا أستطيع إحضار العرش في الوقت الذي تستغرقه العين في الرمشة الواحدة .

واختلف العلماء في "الذي عنده علم الكتاب" فمنهم من قال أنه وزيره أو أحد علماء بني إسرائيل وكان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب .. ومنهم من قال أنه جبريل عليه السلام .. لكن السياق القرآني ترك الاسم وحقيقة الكتاب غارقين في غموض كثيف مقصود .. نحن أمام سر معجزة كبرى وقعت من واحد كان يجلس في مجلس سليمان .. والأصل أن الله يظهر معجزاته فحسب ، أما سر وقوع هذه المعجزات فلا يعلمه إلا الله .. وهكذا يورد السياق القرآني القصة لإيضاح قدرة سليمان الخارقة ، وهي قدرة يؤكدها وجود هذا العالم في مجلسه .

هذا هو العرش ماثل أمام سيدنا سليمان .. تأمل تصرف سيدنا سليمان بعد هذه المعجزة .. لم يستخفه الفرح بقدرته ، ولم يزهه الشعور بقوته ، وإنما أرجع الفضل لمالك الملك .. وشكر الله الذي يمتحنه بـــهذه القدرة ، ليرى أيشكر أم يكفر .

تأمل سيدنا سليمان عرش الملكة طويلا ثم أمر بتغييره ، أمر بإجراء بعض التعديلات عليه ، ليمتحن بلقيس حين تأتي ، ويرى هل تـــهتدي إلى عرشها أم تكون من الذين لا يهتدون .. كما أمر سيدنا سليمان ببناء قصر يستقبل فيه بلقيس .. واختار مكانا رائعا على البحر وأمر ببناء القصر بحيث يقع معظمه على مياه البحر .. وأمر أن تصنع أرضية القصر من زجاج شديد الصلابة ، وعظيم الشفافية في نفس الوقت ، لكي يسير السائر في أرض القصر ويتأمل تحته الأسماك الملونة وهي تسبح ، ويرى أعشاب البحر وهي تتحرك .

تم بناء القصر ، ومن فرط نقاء الزجاج الذي صنعت منه أرض حجراته ، لم يكن يبدو أن هناك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زجاجا .. تلاشت أرضية القصر في البحر وصارت ستارا زجاجيا خفيا فوقه .

يتجاوز السياق القرآني استقبال سيدنا سليمان لها إلى موقفين وقعا لها بتدبيره .. الأول : موقفها أمام عرشها الذي سبقها بالمجيء ، وقد تركته وراءها وعليه الحراس .. والثاني : موقفها أمام أرضية القصر البلورية الشفافة التي تسبح تحتها الأسماك ..

لما اصطحب سيدنا سليمان عليه السلام بلقيس إلى العرش نظرت إليه فرأته كعرشها تماما .. وليس كعرشها تماما .. إذا كان عرشها فكيف سبقها في المجيء ؟ .. وإذا لم يكن عرشها فكيف أمكن تقليده بهذه الدقة ؟ .. قال سيدنا سليمان وهو يراها تتأمل العرش : ((أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ))[1].. قالت بلقيس بعد حيرة قصيرة : ((كَأَنَّهُۥ هُوَ)) .. قال سيدنا سليمان : ((وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)) ..

توحي عبارته الأخيرة إلى الملكة بلقيس أن تقارن بين عقيدتـــها وعلمها ، وعقيدة سليمان المسلمة وحكمته .. إن عبادتـــها للشمس ، ومبلغ العلم الذي هم عليه ، يصابان بالخسوف الكلي أمام علم سيدنا سليمان وإسلامه .. لقد سبقها سيدنا سليمان إلى العلم بالإسلام ، بعدها سار من السهل عليه أن يسبقها في العلوم الأخرى ، هذا ما توحي به كلمة سيدنا سليمان لبلقيس .. أدركت بلقيس أن هذا هو عرشها ، وأنكرت فيه أجزاء ، لقد سبقها إلى المجيء وهي لم تزل تقطع الطريق لسليمان ! .. أي قدرة يملكها هذا النبي الملك سليمان ؟!

انبهرت بلقيس بما شاهدته من إيمان سيدنا سليمان وصلاته لله ، مثلما انبهرت بما رأته من تقدمه في الصناعات والفنون والعلوم .. وأدهشها أكثر هذا الاتصال العميق بين إسلام سيدنا سليمان وعلمه وحكمته .

انتهى الأمر واهتزت داخل عقلها آلاف الأشياء .. رأت عقيدة قومها تتهاوى هنا أمام سليمان ، وأدركت أن الشمس التي يعبدها قومها ليست غير مخلوق خلقه الله تعالى وسخره لعباده ،

---

[1] سورة النمل آية ٤٢ .

وانكسفت الشمس للمرة الأولى في قلبها ، أضاء القلب نور جديد لا يغرب مثلما تغرب الشمس .

ثم قيل لبلقيس : ادخلي القصر .. فلما نظرت لم تر الزجاج ، ورأت المياه ، وحسبت أنها ستخوض البحر ، ((وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا)) [1] أى رفعت ثيابَها فوق قدميها حتى لا يتل رداؤها .

نبهها سيدنا سليمان – دون أن ينظر– ألا تخاف على ثيابـــها من البلل .. ليست هناك مياه .. ((إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ)) .. إنه زجاج ناعم لا يظهر من فرط نعومته ..

اختارت بلقيس هذه اللحظة لإعلان إسلامها .. اعترفت بظلمها لنفسها ، وأسلمت ((مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ)) .. وتبعها قومها على الإسلام .. أدركت أنـــها تواجه أعظم ملوك الأرض ، وأحد أنبياء الله الكرام .

يسكت السياق القرآني عن قصة بلقيس بعد إسلامها .. ويقول المفسرون أنـــها تزوجت سيدنا سليمان بعد ذلك .. ويقال أنـــها تزوجت أحد رجاله .. أحبته وتزوجته ، وثبت أن بعض ملوك الحبشة من نسل هذا الزواج .. ونحن لا ندري حقيقة هذا كله .. لقد سكت القرآن الكريم عن ذكر هذه التفاصيل التي لا تخدم قصه سيدنا سليمان . ولا نرى نحن داعيا للخوض فيما لا يعرف أحد ..

• **إعادة بناء المسجد الأقصى :**

من الأعمال التي قام بـــها سيدنا سليمان عليه السلام إعادة بناء المسجد الأقصى الذي بناه سيدنا يعقوب من قبل .. وقد ورد في الهدي النبوي الكريم أن سيدنا سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل ثلاثا ، فأعطاه الله اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سأله حكما يصادف حكمه – أي أحكاما عادلة كأحكام الله تعالى– فأعطاه إياه ، وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، ونسأل الله أن تكون لنا .

---

[1] سورة النمل آية ٤٤ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

• وفاته عليه السلام :

عاش سيدنا سليمان وسط مجد دانت له فيه الأرض .. ثم قدر الله تعالى عليه الموت فمات .. ومثلما كانت حياة سيدنا سليمان قمة في المجد الذي يمتلئ بالعجائب والخوارق .. كان موته آية من آيات الله تمتلئ بالعجائب والخوارق .. وهكذا جاء موته منسجما مع حياته ، متسقا مع مجده ، جاء نـــهاية فريدة لحياة فريدة وحافلة .

لقد قدر الله تعالى أن يكون موت سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بشكل ينسف فكرة معرفة الجن للغيب .. تلك الفكرة التي فُتِن الناس بـــها فاستقرت في أذهان بعض البشر والجن ..

كان الجن يعملون لسيدنا سليمان طالما هو حي .. فلما مات انكسر تسخيرهم له ، وأعفوا من تبعة العمل معه .. وقد مات سيدنا سليمان دون أن يعلم الجن ، فظلوا يعملون له ، وظلوا مسخرين لخدمته ، ولو أنـــهم كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .

كان سيدنا سليمان متكئا على عصاه يراقب الجن وهم يعملون .. فمات وهو على وضعه متكئا على العصا .. ورآه الجن فظنوا أنه يصلي واستمروا في عملهم .. ومرت أيام طويلة .. ثم جاءت دابة الأرض ، وهي نملة تأكل الخشب .. وبدأت تأكل عصا سليمان .. كانت جائعة فأكلت جزء من العصا .. استمرت النملة تأكل العصا أياما .. كانت تأكل الجزء الملامس للأرض ، فلما ازداد ما أكلته منها اختلت العصا وسقطت من يد سيدنا سليمان .. اختل بعدها توازن الجسد العظيم فهوى إلى الأرض .. ارتطم الجسد العظيم بالأرض فهرع الناس إليه .. أدركوا أنه مات من زمن .. تبينت الجن أنـــهم لا يعلمون الغيب .. وعرف الناس هذه الحقيقة أيضا ((لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)) ما لبثوا يعملون وهم يظنون أن سيدنا سليمان حي ، بينما هو ميت منذ فترة ..

بـــهذه النهاية العجيبة ختم الله حياة هذا النبي الملك .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا إلياس عليه السلام

• **نبذة :**

أُرْسِل إلى أهل بعلبك غربي دمشق فدعاهم إلى عبادة الله وأن يتركوا عبادة صنم كانوا يسمونه بعلا فآذوا سيدنا إلياس عليه السلام .. وقال ابن عباس هو عم اليسع .

• **سيرته :**

قال تعالى : ((وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾))[1] ..

هذه الآيات القصار هي كل ما يذكره الله تعالى من قصة سيدنا إلياس .. لذلك اختلف المؤرخون في نسبه وفي القوم الذين أرسل إليهم .. فقال الطبري أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص ابن العيزار بن هارون .. أما ابن كثير فيقول إن إلياس والياسين اسمين لرجل واحد ، فالعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها .

• **الروايات المختلفة حول دعوته :**

جاء في تاريخ الطبري عن ابن اسحق ما ملخصه : أن سيدنا الياس عليه السلام لما دعا بني إسرائيل إلى نبذ عبادة الأصنام ، والاستمساك بعبادة الله وحده ، رفضوه و لم يستجيبوا له ، فدعا ربه فقال : اللهم إن بني إسرائيل قد أبو إلا الكفر بك والعبادة لغيرك ، فغير ما بهم من نعمتك .. فأوحي الله إليه إنا جعلنا أمر أرزاقهم بيدك ، فأنت الذي تأمر في ذلك .. فقال سيدنا إلياس : اللهم فأمسك عليهم المطر .. فحُبس عنهم ثلاث سنين ، حتى هلكت الماشية والشجر ، وجهد الناس جهدًا شديدًا .. وما أن دعا عليهم حتى استخفي عن أعينهم ، وكان يأتيه رزقه حيث كان ..

---

[1] سورة الصافات .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكان بنو إسرائيل كلما وجدوا ريح الخبز في دار قالوا هنا إلياس فيطلبونه ، وينال أهل المنـــزل منهم شر .. وقد أوي ذات مرة إلى بيت امرأة من بنى إسرائيل ، لها ابن يقال له اليسع بن خطوب به ضر ، فآوته واخفت أمره .. فدعا ربه لابنها فعافاه من الضر الذي كان به ، واتبع سيدنا إلياس وآمن به وصدقه ولزمه ، فكان يذهب معه حيثما ذهب .. وكان سيدنا إلياس قد أسن وكبر ، وكان اليسع غلامًا شابًا .. ثم إن سيدنا إلياس قال لبني إسرائيل : إذا تركتم عبادة الأصنام دعوت الله أن يفرج عنكم .. فأخرجوا أصنامهم ومحدثاتـــهم ، فدعا الله لهم ففرج عنهم وأغاثهم .. فحييت بلادهم ، ولكنهم لم يرجعوا عما كانوا عليه ، ولم يستقيموا .. فلما رأي سيدنا إلياس منهم ذلك دعا ربه أن يقبضه إليه فقبضة ورفعه .

ويذكر ابن كثير أن رسالته كانت لأهل بعلبك غربي دمشق ، وأنه كان لهم صنم يعبدونه يسمي (بعلا) وقد ذكره القرآن الكريم على لسان سيدنا إلياس حين قال لقومه : ((أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝))[1] ..

ويذكر بعض المؤرخين أنه عقب انتهاء ملك سليمان بن داود (عليهما السلام) وذلك في سنة ٩٣٣ قبل الميلاد انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى قسمين .. الأول : يخضع لملك سلالة سيدنا سليمان وأول ملوكهم رحبعام بن سليمان .. والثاني : يخضع لأحد أسباط افرايم بن يوسف الصديق واسم ملكهم جربعام .. وقد تشتت دولة بنى إسرائيل بعد سيدنا سليمان عليه السلام بسبب اختلاف ملوكهم وعظمائهم على السلطة ، وبسبب الكفر والضلال الذي انتشر بين صفوفهم .. وقد سمح أحد ملوكهم وهو أخاب لزوجته بنشر عبادة قومها في بني إسرائيل ، وكان قومها عبادًا للأوثان فشاعت العبادة الوثنية ، وعبدوا الصنم الذي ذكره القرآن الكريم واسمه (بعل) فأرسل إليهم سيدنا إلياس عليه السلام الذي تحدثنا عن دعوته .. فلما توفي سيدنا إلياس عليه السلام أوحي الله تعالى إلى أحد الأنبياء واسمه اليسع عليه السلام ليقوم في بني إسرائيل ، فيدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار .. وأرجح الآراء إن سيدنا إلياس هو النبي المسمى إيليا في التوراة ..

---

[1] سورة الصافات .

سيدنا اليسع عليه السلام

• **نبذة :**

من العبدة الأخيار .. ورد ذكره في القرآن مرتين .

• **سيرته :**

من أنبياء الله تعالى ، الذين يذكر الحق أسمائهم ويثني عليهم ، ولا يحكي قصصهم .. نبي الله تعالى اليسع .. قال تعالى في سورة (ص) : ((وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾)) .. وقال جل جلاله في سورة (الأنعام) : ((وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾)) ..

جاء في تاريخ الطبري حول ذكر نسبه أنه : اليسع بن أخطوب .. ويقال أنه ابن عم سيدنا إلياس النبي عليهما السلام .. وذكر الحافظ ابن عساكر نسبه على الوجه الآتي : اسمه أسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام .. وهو من أنبياء بني إسرائيل .. وقد أوجز القرآن الكريم عن حياته فلم يذكر عنها شيئًا ، وإنما اكتفى بِعَدِّه في مجموعة الرسل الكرام الذي يجب الإيمان بـــهم تفصيلاً .

قام بتبليغ الدعوة بعد انتقال سيدنا إلياس إلى جوار الله .. فقام يدعو إلى الله مستمسكاً بمنهاج نبي الله إلياس وشريعته .. وقد كثرت في زمانه الأحداث والخطايا ، وكثر الملوك الجبابرة ، فقتلوا الأنبياء وشردوا المؤمنين ، فوعظهم سيدنا اليسع وخوفهم من عذاب الله ، ولكنهم لم يأبـــهوا بدعوته .. ثم توفاه الله وسلط على بني إسرائيل من يسومهم سوء العذاب ، كما قص علينا القرآن الكريم .. ويذكر بعض المؤرخين أن دعوته في مدينة تسمى بانياس إحدى مدن الشام ، ولا تزال حتى الآن موجودة وهي قرية من بلدة اللاذقية .. والله أعلم ..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا زكريا عليه السلام

• **نبذة :**

عبد صالح تقي أخذ يدعو للدين الحنيف .. كفل السيدة مريم العذراء .. دعا الله أن يرزقه ذرية صالحة فوهب له سيدنا يحيى الذي خلفه في الدعوة لعبادة الله الواحد القهار .

• **امرأة عمران :**

في ذلك العصر القديم كان هناك نبي ، وعالِم عظيم يصلي بالناس .. كان اسم النبي : زكريا عليه السلام .. أما العالم العظيم الذي اختاره الله للصلاة بالناس ، فكان اسمه : عمران عليه السلام .

وكان لعمران زوجته لا تلد .. وذات يوم رأت طائرا يطعم ابنه الطفل في فمه ويسقيه .. ويأخذه تحت جناحه خوفا عليه من البرد .. وذكرها هذا المشهد بنفسها فتمنت على الله أن تلد .. ورفعت يديها وراحت تدعو خالقها أن يرزقها بطفل .. واستجابت لها رحمة الله فأحست ذات يوم أنـــها حامل .. وملأها الفرح والشكر لله فنذرت ما في بطنها محررا لله .. كان معنى هذا أنـــها نذرت لله أن يكون ابنها خادما للمسجد طوال حياته .. يتفرغ لعبادة الله وخدمة بيته .

• **ولادة مريم :**

وجاء يوم الوضع ووضعت زوجة عمران بنتا ، وفوجئت الأم ! .. كانت تريد ولدا ليكون في خدمة المسجد والعبادة ، فلما جاء المولود أنثى قررت الأم أن تفي بنذرها لله برغم أن الذكر ليس كالأنثى .. سمع الله سبحانه وتعالى دعاء زوجة عمران ، والله يسمع ما نقوله ، وما نـــهمس به لأنفسنا ، وما نتمنى أن نقوله ولا نفعله .. يسمع الله هذا كله ويعرفه .. سمع الله زوجة عمران وهي تخبره أنـــها قد وضعت بنتا ، والله أعلم بما وضعت .. الله هو وحده الذي يختار نوع المولود فيخلقه ذكرا أو يخلقه أنثى .. سمع الله زوجة عمران تسأله أن يحفظ هذه الفتاة التي سمتها مريم ، وأن يحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم .

ويروي الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا مِنْ

مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلاَّ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ » .. ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ..

• **كفالة سيدنا زكريا للسيدة مريم :**

أثار ميلاد السيدة مريم بنت عمران مشكلة صغيرة في بداية الأمر .. كان عمران قد مات قبل ولادة مريم .. وأراد علماء ذلك الزمان وشيوخه أن يربوا مريم .. كل واحد يتسابق لنيل هذا الشرف .. أن يربي ابنة شيخهم الجليل العالِم وصاحب صلاتـــهم وإمامهم فيها .

قال سيدنا زكريا : أكفلها أنا .. هي قريبتي ، زوجتي هي خالتها ، وأنا نبي هذه الأمة وأولاكم بِهَا .. وقال العلماء والشيوخ : ولماذا لا يكفلها أحدنا ؟ .. لا نستطيع أن نتركك تحصل على هذا الفضل بغير اشتراكنا فيه .

ثم اتفقوا على إجراء قرعة .. أي واحد يكسب القرعة هو الذي يكفل مريم ، ويربيها ، ويكون له شرف خدمتها ، حتى تكبر هي وتخدم المسجد وتتفرغ لعبادة الله .. وأجريت القرعة .. وصعت مريم وهي مولودة على الأرض ، ووضعت إلى جوارها أقلام الذين يرغبون في كفالتها ، وأحضروا طفلا صغيرا ، فأخرج قلم زكريا ..

قال سيدنا زكريا : حكم الله لي بأن أكفلها .. قال العلماء والشيوخ : لا .. القرعة ثلاث مرات . وراحوا يفكرون في القرعة الثانية .. حفر كل واحد اسمه على قلم خشبي ، وقالوا : نلقي بأقلامنا في النهر .. من سار قلمه ضد التيار وحده فهو الغالب .

وألقوا أقلامهم في النهر ، فسارت أقلامهم جميعا مع التيار ما عدا قلم زكريا .. سار وحده ضد التيار .. وظن سيدنا زكريا أنـــهم سيقتنعون ، لكنهم أصروا على أن تكون القرعة ثلاث مرات .. قالوا : نلقي أقلامنا في النهر .. القلم الذي يسير مع التيار وحده يأخذ مريم .. وألقوا أقلامهم فسارت جميعا ضد التيار ما عدا قلم زكريا .. وسلموا لزكريا ، وأعطوه مريم ليكفلها .. وبدأ سيدنا زكريا يخدم السيدة مريم ، ويربيها ويكرمها حتى كبرت ..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان لها مكان خاص تعيش فيه في المسجد .. كان لها محراب تتعبد فيه .. وكانت لا تغادر مكانـــها إلا قليلا .. يذهب وقتها كله في الصلاة والعبادة .. والذكر والشكر والحب لله .. وكان سيدنا زكريا يزورها أحيانا في المحراب .. وكان يفاجأه كلما دخل عليها أنه أمام شيء مدهش .. يكون الوقت صيفا فيجد عندها فاكهة الشتاء .. ويكون الوقت شتاء فيجد عندها فاكهة الصيف .. ويسألها زكريا من أين جاءها هذا الرزق ؟! .. فتجيب السيدة مريم : إنه من عند الله .. وتكرر هذا المشهد أكثر من مرة .

• دعاء زكريا ربه :

كان سيدنا زكريا شيخا عجوزا ضعف عظمه ، واشتعل رأسه بالشعر الأبيض ، وأحس أنه لن يعيش طويلا .. وكانت زوجته وهي خالة السيدة مريم عجوزا مثله و لم تلد من قبل في حياتـــها لأنـــها عاقر.. وكان سيدنا زكريا يتمنى أن يكون له ولد يرث علمه ويصير نبيا ويستطيع أن يهدي قومه ويدعوهم إلى كتاب الله ومغفرته .. وكان سيدنا زكريا لا يقول أفكاره هذه لأحد .. حتى لزوجته .. ولكن الله تعالى كان يعرفها قبل أن تقال .. ودخل سيدنا زكريا ذلك الصباح على السيدة مريم في المحراب .. فوجد عندها فاكهة ليس هذا أوانـــها.. سألها سيدنا زكريا : ((قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا)) ؟! [1] .. قالت السيدة مريم : ((هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) .. قال سيدنا زكريا في نفسه : سبحان الله .. قادر على كل شيء .. وغرس الحنين أعلامه في قلبه وتمنى الذرية .. فدعا ربه ..

سأل سيدنا زكريا خالقه بغير أن يرفع صوته أن يرزقه طفلا يرث النبوة والحكمة والفضل والعلم .. وكان سيدنا زكريا خائفا أن يضل القوم من بعده و لم يبعث فيهم نبي .. فرحم الله تعالى زكريا واستجاب له .. فلم يكد زكريا يهمس في قلبه بدعائه لله حتى نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب : ((يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا))[2] ..

---

[1] سورة آل عمران آية ٣٧ .

[2] سورة مريم آية ٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فوجئ سيدنا زكريا بـــهذه البشرى .. أن يكون له ولد لا شبيه له أو مثيل من قبل .. أحس سيدنا زكريا من فرط الفرح باضطراب .. تسائل من موضع الدهشة : ((قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا))[1] أدهشه أن ينجب وهو عجوز وامرأته لا تلد .. ((قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا))[2] أفهمته الملائكة أن هذه مشيئة الله وليس أمام مشيئة الله إلا النفاذ .. وليس هناك شيء يصعب على الله سبحانه وتعالى .. كل شيء يريده يأمره بالوجود فيوجد .. وقد خلق الله زكريا نفسه من قبل و لم يكن له وجود .. وكل شيء يخلقه الله تعالى بمجرد المشيئة ((إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ))[3] .

امتلأ قلب سيدنا زكريا بالشكر لله وحمده وتمجيده .. وسأل ربه أن يجعل له آية أو علامة .. فأخبره الله أنه ستجيء عليه ثلاثة أيام لا يستطيع فيها النطق .. سيجد نفسه غير قادر على الكلام رغم أنه سَوِيٌّ صحيح غير معتل .. إذا حدث له هذا أيقن أن امرأته حامل ، وأن معجزة الله قد تحققت .. وعليه حينئذ أن يتحدث إلى الناس عن طريق الإشارة .. وأن يسبح الله كثيرا في الصباح والمساء ..

وخرج سيدنا زكريا يوما على الناس وقلبه مليء بالشكر .. وأراد أن يكلمهم فاكتشف أن لسانه لا ينطق .. وعرف أن معجزة الله قد تحققت .. فأومأ إلى قومه أن يسبحوا الله في الفجر والعشاء .. وراح هو يسبح الله في قلبه .. صلى لله شكرا على استجابته لدعوته ومنحه يحيى .. ظل سيدنا زكريا عليه السلام يدعوا إلى ربه حتى جاءت وفاته .

---

[1] سورة مريم آية ٨ . [2] سورة مريم آية ٩ . [3] سورة يس آية ٨٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سيدنا يحيى عليه السلام

• **نبذة :**

ابن نبي الله زكريا .. ولد استجابة لدعاء زكريا لله أن يرزقه الذرية الصالحة فجعل آية مولده أن لا يكلم الناس ثلاث ليال سويا .. وقد كان سيدنا يحيى نبيا وحصورا ومن الصالحين ، كما كان بارًّا تقيًّا وَرِعًا منذ صباه .

• **سيرته :**

ذكر خبر ولادة سيدنا يحيى عليه السلام في قصة نبي الله زكريا .. وقد شهد الحق عز وجل له أنه لم يجعل له من قبل شبيها ولا مثيلا .. وهو النبي الذي قال الحق عنه : ((وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا)) [1] .. ومثلما أوتي الْخَضِر علما من لدن الله ، أوتي سيدنا يحيي حنانا من لدن الله .. والعلم مفهوم ، والحنان هو العلم الشمولي الذي يشيع في نسيجه حب عميق للكائنات ورحمة بـــها .. كأن الحنان درجة من درجات الحب الذي ينبع من العلم ..

ولقد كان سيدنا يحيي في الأنبياء نموذجا لا مثيل له في النسك والزهد والحب الإلهي .. هو النبي الناسك .. كان يضيء حبا لكل الكائنات ، وأحبه الناس وأحبته الطيور والوحوش والصحاري والجبال ، ثم أهدرت دمه كلمة حق قالها في بلاط ملك ظالم ، بشأن أمر يتصل براقصة بغي .

• **فضل يحيى عليه السلام :**

يذكر العلماء فضل سيدنا يحيي ، ويوردون لذلك أمثلة كثيرة .. كان سيدنا يحيي معاصرا لسيدنا عيسى وقريبه من جهة الأم (ابن خالة أمه) ..

وتروي السنة أن سيدنا يحيي وسيدنا عيسى التقيا يوما .. فقال سيدنا عيسى لسيدنا يحيي : استغفر لي يا يحيي ، أنت خير مني .. قال سيدنا يحيي : استغفر لي يا عيسى ، أنت خير مني .. قال سيدنا عيسى : بل أنت خير مني ، سلمتُ على نفسي وسلَّمَ الله عليك .

---

[1] سورة مريم آية ١٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تشير القصة إلى فضل سيدنا يحيي حين سلم الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.
ويقال إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوما فوجدهم يتذاكرون فضل الأنبياء .. قال قائل : موسى كليم الله .. وقال قائل : عيسى روح الله وكلمته .. وقال قائل : إبراهيم خليل الله .. ومضى الصحابة يتحدثون عن الأنبياء ، فتدخل الرسول عليه الصلاة والسلام حين رآهم لا يذكرون يحيي .. أين الشهيد ابن الشهيد ؟ يلبس الوبر ، ويأكل الشجر مخافة الذنب .. أين يحيي بن زكريا ؟ .

• **نشأته :**

ولد سيدنا يحيي عليه السلام .. كان ميلاده معجزة .. فقد جاء لأبيه سيدنا زكريا بعد عمر طال حتى يئس الشيخ من الذرية .. وجاء بعد دعوة نقية تحرك بـــها قلب النبي زكريا .. ولد سيدنا يحيي عليه السلام فجاءت طفولته غريبة عن دنيا الأطفال .. كان معظم الأطفال يمارسون اللهو ، أما هو فكان جادا طوال الوقت .. كان بعض الأطفال يتسلى بتعذيب الحيوانات ، وكان سيدنا يحيي يطعم الحيوانات والطيور من طعامه رحمة بـــها ، وحنانا عليها ، ويبقى هو بغير طعام .. أو يأكل من أوراق الشجر أو ثمارها.
وكلما كبر سيدنا يحيي في السن زاد النور في وجهه ، وامتلأ قلبه بالحكمة وحب الله والمعرفة والسلام .. وكان سيدنا يحيي يحب القراءة ، وكان يقرأ في العلم من طفولته .. فلما صار صبيا نادته رحمة ربه : ((يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا))[1] .. صدر الأمر ليحيي وهو صبي أن يأخذ الكتاب بقوة ، بمعنى أن يدرس الكتاب بإحكام ، كتاب الشريعة .. رزقه الله الإقبال على معرفة الشريعة والقضاء بين الناس وهو صبي .. كان أعلم الناس وأشدهم حكمة في زمانه .. درس الشريعة دراسة كاملة ، ولهذا السبب آتاه الله الحكم وهو صبي .. كان يحكم بين الناس ، ويبين لهم أسرار الدين ، ويعرفهم طريق الصواب ، ويحذرهم من طريق الخطأ.
وكبر سيدنا يحيي فزاد علمه ، وزادت رحمته ، وزاد حنانه بوالديه ، والناس ، والمخلوقات ،

---

[1] سورة مريم آية ١٢ .

www.alukah.net

والطيور ، والأشجار .. حتى عم حنانه الدنيا وملأها بالرحمة .. كان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب ، وكان يدعو الله لهم .. ولم يكن هناك إنسان يكره سيدنا يحيي أو يتمنى له الضرر .. كان محبوبا لحنانه وزكاته وتقواه وعلمه وفضله .. ثم زاد سيدنا يحيي على ذلك بالتنسك .

وكان سيدنا يحيي إذا وقف بين الناس ليدعوهم إلى الله أبكاهم من الحب والخشوع .. وأثر في قلوبهم بصدق الكلمات وكونها قرية العهد من الله وعلى عهد الله ..

وجاء صباح خرج فيه سيدنا يحيي على الناس .. امتلأ المسجد بالناس ، ووقف سيدنا يحيي بن زكريا وبدأ يتحدث .. قال : إن الله عز وجل أمرني بكلمات أعمل بها ، وآمركم أن تعملوا بها .. أن تعبدوا الله وحده بلا شريك .. فمن أشرك بالله وعبد غيره فهو مثل عبد اشتراه سيده فراح يعمل ويؤدي ثمن عمله لسيد غير سيده .. أيكم يحب أن يكون عبده كذلك ؟! .. وآمركم بالصلاة لأن الله ينظر إلى عبده وهو يصلي ، ما لم يلتفت عن صلاته ، فإذا صليتم فاخشعوا .. وآمركم بالصيام ، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك جميل الرائحة ، كلما سار هذا الرجل فاحت منه رائحة المسك المعطر .. وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا ، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه أعداؤه فأسرع لحصن حصين فأغلقه عليه ، وأعظم الحصون ذكر الله .. ولا نجاة بغير هذا الحصن .

- **مواجهة الملك :**

كان أحد ملوك ذلك الزمان طاغية ضيق العقل غبي القلب يستبد برأيه ، وكان الفساد منتشرا في بلاطه .. وكان يسمع أنباء متفرقة عن سيدنا يحيي فيدهش لأن الناس يحبون أحدا بهذا القدر، وهو ملك ورغم ذلك لا يحبه أحد .. وكان الملك يريد الزواج من ابنة أخيه ، حيث أعجبه جمالها ، وهي أيضا طمعت بالملك ، وشجعتها أمها على ذلك .. وكانوا يعلمون أن هذا حرام في دينهم .. فأراد الملك أن يأخذ الإذن من سيدنا يحيى عليه السلام .. فذهبوا يستفتون سيدنا يحيى ويغرونه بالأموال ليستثني الملك .. لم يكن لدى الفتاة أي حرج من الزواج بالحرام ، فلقد كانت بغيّ فاجرة .. لكن سيدنا يحيى عليه السلام أعلن أمام الناس تحريم

زواج البنت من عمّها ، حتى يعلم الناس – إن فعلها الملك – أن هذا انحراف .. فغضب الملك وأسقط في يده ، فامتنع عن الزواج .. لكن الفتاة كانت لا تزال طامعة في الملك .. وفي إحدى الليالي الفاجرة أخذت البنت تغني وترقص فأرادها الملك لنفسه فأبت ، وقالت : إلا أن تتزوجني .. قال : كيف أتزوجك وقد نـــهانا يحيى .. قالت : ائتني برأس يحيى مهرا لي .. وأغرته إغراء شديدا فأمر في حينه بإحضار رأس يحيى له .. فذهب الجنود ودخلوا على سيدنا يحيى وهو يصلي في المحراب ، وقتلوه ، وقدموا رأسه على صحن للملك ، فقدّم الصحن إلى هذه البغيّ ، وتزوجها بالحرام .

سيدنا عيسى عليه السلام

• **نبذة :**

مَثَلُ سيدنا عيسى مثل سيدنا آدم خلقه الله من تراب وقال له كن فيكون .. هو عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم .. وهو الذي بشر بالنبي محمد ﷺ .. آتاه الله البينات وأيده بروح القدس .. وكان وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين .. كلم الناس في المهد وكهلا .. وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله .. ويبرئ الأكمه والأبرص ويخرج الموتى كل بإذن الله .. دعا سيدنا المسيح قومه لعبادة الله الواحد الأحد ولكنهم أبوا واستكبروا وعارضوه .. ولم يؤمن به سوى بسطاء قومه .. رفعه الله إلى السماء وسيهبط حينما يشاء الله إلى الأرض ليكون شهيدا على الناس .

• **سيرته :**

الحديث عن نبي الله عيسى عليه السلام يستدعي الحديث عن أمه مريم ، بل وعن ذرية آل عمران ، هذه الذرية التي اصطفاها الله تعالى واختارها ، كما اختار آدم ونوحا وآل إبراهيم على العالمين .

آل عمران أسرة كريمة مكونة من عمران والد مريم ، وامرأة عمران أم مريم ، والسيدة مريم ، وسيدنا عيسى عليه السلام .. فعمران جد عيسى لأمه ، وامرأة عمران جدته لأمه .. وكان عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه .. وكانت زوجته امرأة عمران امرأة صالحة كذلك ، وكانت لا تلد ، فدعت الله تعالى أن يرزقها ولدا ، ونذرت أن تجعله مفرغا للعبادة ، ولخدمة بيت المقدس ، فاستجاب الله دعاءها ، ولكن شاء الله أن تلد أنثى هي السيدة مريم .. وجعل الله تعالى كفالتها ورعايتها إلى سيدنا زكريا عليه السلام ، وهو زوج خالتها .. وإنما قدر الله ذلك لتقتبس منه علما نافعا ، وعملا صالحا .

كانت السيدة مريم مثالا للعبادة والتقوى .. وأسبغ الله تعالى عليها فضله ونعمه مما لفت أنظار الآخرين .. فكان سيدنا زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا ، فيسألها : من أين لك هذا ؟ فتجيب : ((هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))[1] .. كل

---

[1] سورة آل عمران آية ١٣٧ .

ذلك إنما كان تمهيدا للمعجزة العظمى ؛ حيث ولد عيسى عليه السلام من هذه المرأة الطاهرة النقية ، دون أن يكون له أب كسائر الخلق .

واستمع إلى بداية القصة كما أوردها القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ((وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾))[1] .. بهذه الكلمات البسيطة فهمت السيدة مريم أن الله يختارها ، ويطهرها ويختارها ويجعلها على رأس نساء الوجود .. هذا الوجود ، والوجود الذي لم يخلق بعد .. هي أعظم فتاة في الدنيا وبعد قيامة الأموات وخلق الآخرة .. وعادت الملائكة تتحدث : ((يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾))[2] ..

• **ولادة عيسى عليه السلام :**

كان الأمر الصادر بعد البشارة أن تزيد من خشوعها ، وسجودها وركوعها لله .. وملأ قلب السيدة مريم إحساس مفاجئ بأن شيئا عظيما يوشك أن يقع .. ويروي الله تعالى في القرآن الكريم قصة ولادة سيدنا عيسى عليه السلام فيقول : ((وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾))[3] ..

جاء جبريل عليه السلام للسيدة مريم وهي في المحراب على صورة بشر في غاية الجمال .. فخافت السيدة مريم وقالت : (إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا) أرادت أن تحتمي في الله .. وسألته هل هو إنسان طيب يعرف الله ويتقيه .. فجاء جوابه ليطمئنها بأنه يخاف الله ويتقيه : (قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا) .. اطمئنت السيدة مريم للغريب ، لكن

---

[1] سورة آل عمران آية ٤٢ . [2] سورة آل عمران آية ٤٣ . [3] سورة مريم .

www.ulukah.net

سرعان ما تذكّرت ما قاله (لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا) استغربت السيدة مريم العذراء من ذلك .. فلم يمسسها بشر من قبل .. ولم تتزوج ، ولم يخطبها أحد ، كيف تنجب بغير زواج !! فقالت لرسول ربّها : (أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) .. قال الروح الأمين : (كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) ..

استقبل عقل السيدة مريم كلمات الروح الأمين .. ألم يقل لها إن هذا هو أمر الله ؟ .. وكل شيء ينفذ إذا أمر الله .. ثم أي غرابة في أن تلد بغير أن يمسسها بشر ؟ .. لقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم من غير أب أو أم ، لم يكن هناك ذكر وأنثى قبل خلق آدم .. وخلقت حواء من آدم فهي قد خلقت من ذكر بغير أنثى .. ويخلق ابنها من غير أب .. يخلق من أنثى بغير ذكر .. والعادة أن يخلق الإنسان من ذكر وأنثى .. العادة أن يكون له أب وأم .. لكن المعجزة تقع عندما يريد الله تعالى أن تقع .. عاد جبريل عليه السلام يتحدث : ((إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝))[1] .. زادت دهشة السيدة مريم .. قبل أن تحمله في بطنها تعرف اسمه ، وتعرف أنه سيكون وجيها عند الله وعند الناس ، وتعرف أنه سيكلم الناس وهو طفل وهو كبير .. وقبل أن يتحرك فم السيدة مريم بسؤال آخر .. نفخ جبريل عليه السلام في جيب مريم - الجيب هو شق الثوب الذي يكون في الصدر - فحملت فورًا .

ومرت الأيام .. كان حملها يختلف عن حمل النساء .. لم تمرض ولم تشعر بثقل ولا أحست أن شيئا زاد عليها ولا ارتفع بطنها كعادة النساء .. كان حملها به نعمة طيبة .. وجاء الشهر التاسع .. وفي العلماء من يقول إن الفاء تفيد التعقيب السريع .. بمعنى أن السيدة مريم لم تحمل بعيسى تسعة أشهر ، وإنما ولدته مباشرة كمعجزة .. خرجت السيدة مريم ذات يوم إلى مكان بعيد .. إنّها تحس أن شيئا سيقع اليوم .. لكنها لا تعرف حقيقة هذا الشيء .. قادتْها أقدامها إلى مكان يمتلئ بالشجر والنخل .. مكان لا يقصده أحد لبعده .. مكان لا يعرفه غيرها .. لم يكن الناس

---

[1] سورة آل عمران الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يعرفون أن السيدة مريم حامل .. وأنـــها ستلد .. كان المحراب مغلقا عليها ، والناس يعرفون أنـــها تتعبد فلا يقترب منها أحد .

جلست السيدة مريم تستريح تحت جذع نخلة ؛ لم تكن نخلة كاملة ، إنما جذع فقط ، لتظهر معجزات الله سبحانه وتعالى للسيدة مريم عند ولادة سيدنا عيسى فيطمئن قلبها .. وراحت تفكر في نفسها .. كانت تشعر بألم .. وراح الألَم يتزايد ويجيء في مراحل متقاربة .. وبدأت السيدة مريم تلد .. ((فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا))[1] .. إن ألَم الميلاد يحمل لنفس العذراء الطاهرة آلاما أخرى تتوقعها و لم تقع بعد .. كيف يستقبل الناس طفلها هذا ؟ .. وماذا يقولون عنها ؟ .. إنـــهم يعرفون أنَّها عذراء ، فكيف تلد العذراء ؟ .. هل يصدق الناس أنـــها ولدته بغير أن يمسسها بشر ؟ .. وتصورت نظرات الشك .. وكلمات الفضول .. وتعليقات الناس .. وامتلأ قلبها بالحزن ..

وولدت في نفس اللحظة من قُدِّرَ عليه أن يحمل في قلبه أحزان البشرية .. لم تكد السيدة مريم تنتهي من تمنيها الموت والنسيان ، حتى نادها الطفل الذي وُلِد : ((فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِٰنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾))[2] ..

نظرت السيدة مريم إلى سيدنا المسيح .. سمعته يطلب منها أن تكف عن حزنـــها .. ويطلب منها أن تـــهز جذع النخلة لتسقط عليها بعض ثمارها الشهية .. فلتأكل ، ولتشرب ، ولتمتلئ بالسلام والفرح ولا تفكر في شيء .. فإذا رأت من البشر أحدا فلتقل لهم أنـــها نذرت للرحمن صوما فلن تكلم اليوم إنسانا .. ولتدع له الباقي ..

لم تكد تلمس جذعها حتى تساقط عليها رطب شهي .. فأكلت وشربت ولفّت الطفل في

---

[1] سورة مريم آية ٢٣ .

[2] سورة مريم .

ملابسها .. كان تفكير السيدة مريم العذراء كله يدور حول مركز واحد : هو سيدنا عيسى ، وهي تتساءل بينها وبين نفسها : كيف يستقبله اليهود ؟ .. ماذا يقولون فيه ؟ .. هل يصدق أحد من كهنة اليهود ؟ .. هل يصدق أحدهم وهو بعيد عن الله أن الله هو الذي رزقها هذا الطفل ؟ .. إن موعد خلوتـــها ينتهي ، ولابد أن تعود إلى قومها .. فماذا يقولون الناس ؟ ..

• **مواجهة القوم :**

كان الوقت عصرا حين عادت السيدة مريم .. وكان السوق الكبير الذي يقع في طريقها إلى المسجد يمتلئ بالناس الذي فرغوا من البيع والشراء وجلسوا يثرثرون .. لم تكد السيدة مريم تتوسط السوق حتى لاحظ الناس أنـــها تحمل طفلا ، وتضمه لصدرها وتمشي به في جلال وبطئ .. تسائل أحد الفضوليين : أليست هذه مريم العذراء ؟.. طفل من هذا الذي تحمله على صدرها ؟!.. قال أحدهم : هو طفلها ، تُرَى أي قصة ستخرج بـــها علينا ؟ .. وجاء كهنة اليهود يسألونـــها : ابن من هذا يا مريم ؟ لماذا لا ترديـن ؟ هو ابنك قطعا ، كيف جاءك ولد وأنت عذراء ؟ .. ((يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾))[1] .. الكلمة ترمي السيدة مريم بالبغاء .. هكذا مباشرة دون استماع أو تحقيق أو تثبت .. ترميها بالبغاء وتعيرها بأنـــها من بيت طيب وليست أمها بغيا ، فكيف صارت هي كذلك ؟ .. راحت الاتـــهامات تسقط عليها وهي مرفوعة الرأس .. تومض عيناها بالكبرياء والأمومة .. ويشع من وجهها نور يفيض بالثقة .. فلما زادت الأسئلة ، وضاق الحال ، وانحصر المجال ، وامتنع المقال ، اشتد توكلها على ذي الجلال والإكرام وأشارت إليه .. أشارت بيدها لعيسى .. واندهش الناس .. فهموا أنـــها صائمة عن الكلام وترجو منهم أن يسألوه هو كيف جاء .. تساءل الكهنة ورؤساء اليهود كيف يوجهون السؤال لطفل ولد منذ أيام .. هل يتكلم طفل في لفافته ؟!.. قالوا لمريم : ((كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا))[2] .. قال سيدنا عيسى : ((قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا

---

[1] سورة مريم آية ٢٨ .

[2] سورة مريم آية ٢٩ .

كُنتُ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾))[1] .. لم يكد سيدنا عيسى ينتهي من كلامه حتى كانت وجوه الكهنة والأحبار ممتقعة وشاحبة .. كانوا يشهدون معجزة تقع أمامهم مباشرة .. هذا طفل يتكلم في مهده.. طفل جاء بغير أب .. طفل يقول إن الله قد آتاه الكتاب وجعله نبيا .. هذا يعني إن سلطتهم في طريقها إلى الانـــهيار .. سيصبح كل واحد فيهم بلا قيمة عندما يكبر هذا الطفل .. لن يستطيع أن يبيع الغفران للناس ، أو يحكمهم عن طريق ادعائه أنه ظل السماء على الأرض ، أو باعتباره الوحيد العارف في الشريعة .. شعر كهنة اليهود بالمأساة الشخصية التي جاءتـــهم بميلاد هذا الطفل .. إن مجرد مجيء المسيح يعني إعادة الناس إلى عبادة الله وحده .. وهذا معناه إعدام الديانة اليهودية الحالية .. فالفرق بين تعاليم سيدنا موسى وتصرفات اليهود كان يشبه الفرق بين نجوم السماء ووحل الطرقات .. وتكتم رهبان اليهود قصة ميلاد سيدنا عيسى وكلامه في المهد .. واتـــهموا السيدة مريم العذراء ببهتان عظيم .. اتـــهموها بالبغاء .. رغم أنـــهم عاينوا بأنفسهم معجزة كلام ابنها في المهد .

وتخبرنا بعض الروايات أن السيدة مريم هاجرت بسيدنا عيسى إلى مصر ، بينما تخبرنا روايات أخرى بأن هجرتـــها كانت من بيت لحم لبيت المقدس .. إلا أن المعروف لدينا هو أن هذه الهجرة كانت قبل بعثته .

• **معجزاته :**

كبر سيدنا عيسى .. ونزل عليه الوحي ، وأعطاه الله الإنجيل .. وكان عمره آنذاك – كما يرى الكثير من العلماء – ثلاثون سنة .. وأظهر الله على يديه المعجزات .. يقول المولى عزّ وجل في كتابه عن معجزات عيسى عليه السلام : ((وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ

---

[1] سورة مريم .

www.alukah.net

ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾))[1] .. فكان سيدنا عيسى عليه السلام رسولا لبني إسرائيل فقط .. ومعجزاته هي :

- علّمه الله التوراة .
- يصنع من الطين شكل الطير ثم ينفخ فيه فيصبح طيرا حيّا يطير أمام أعينهم بإذن الله .
- يعالج الأكمه (وهو من وُلد أعمى) ، فيمسح على عينيه أمامهم فيبصر بإذن الله .
- يعالج الأبرص (وهو المرض الذي يصيب الجلد فيجعل لونه أبيضا) ، فيمسح على جسمه فيعود سليما بإذن الله .
- يخبرهم بما يخبئون في بيوتهم ، وما أعدّت لهم زوجاتهم من طعام بإذن الله .
- وكان عليه السلام يحي الموتى بإذن الله .

- **إيمان الحواريون :**

جاء سيدنا عيسى ليخفف عن بني إسرائيل بإباحة بعض الأمور التي حرمتها التوراة عليهم عقابا لهم .. إلا أن بني إسرائيل - مع كل هذه الآيات – كفروا .. قال تعالى : ((فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾))[2] .. وقال تعالى : ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ

---

[1] سورة آل عمران .
[2] سورة آل عمران .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ)) [1] ..

قيل أن عدد الحواريين كان سبعة عشر رجلا ، لكن الروايات الأرجح أنهم كانوا اثني عشر رجلا .. آمن الحواريون ، لكن التردد لا يزال موجودا في نفوسهم .. قال الله تعالى قصة هذا التردد : ((إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾))[2] .. استجاب الله عز وجل ، لكنه حذّرهم من الكفر بعد هذه الآية التي جاءت تلبية لطلبهم .. نزلت المائدة ، وأكل الحواريون منها ، وظلوا على إيمانهم وتصديقهم لسيدنا عيسى عليه السلام إلا رجل واحد ، كفر بعد رفع سيدنا عيسى عليه السلام .

• **رفع عيسى عليه السلام :**

لما بدأ الناس يتحدثون عن معجزات سيدنا عيسى عليه السلام ، خاف كهنة اليهود أن يتبع الناس الدين الجديد فيضيع سلطانهم ، فتآمروا على قتله مع الحاكم الروماني الذي كان يحكم بيت المقدس ، بعد أن أفهموه أن دعوة سيدنا عيسى عليه السلام خطر على الحكم الروماني وعلى الشعب ، فإنه سيجمع الأمة على رفع سلطتهم عن الأرض المقدسة وإجلائهم عنها ،

---

[1] سورة الصف آية ١٤ .

[2] سورة المائدة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعاونـــهم الحاكم الروماني على قتله ، واتخذوا من أحد حواريه جاسوسا عليه ، يرصد حركاته وتنقلاته ، ويخبرهم بـــها ، وكان اسمه يهوذا الإسخريوطي .. وقد جعلوا له – في مقابل ذلك – ثلاثين قطعة من الفضة .. وفي يوم عيد لهم ، كان السيد المسيح ضيفا مع حواريه عند بعض اتباعه ، وكان يهوذا معهم ، فأخبرهم – السيد المسيح – أن أحدهم سيسلمه إلى الأعداء .. فقال يهوذا : هل هو أنا يا معلم ؟ .. قال : أنت قلت ..

وفي اليوم التالي جاءت قوة من الرومان يتقدمهم يهوذا ، ودخلوا على سيدنا عيسى عليه السلام في دار مضيفه ، فألقى الله شبه المسيح على يهوذا ، ورفع عيسى إليه ، فقبضوا على يهوذا ليصلبوه ويقتلوه ، فقال لهم : أنا يهوذا !! .. فقالوا : بل أنت عيسى ، فإن كُنْتَ يهوذا كما تدعي فأين عيسى ؟! .. فقال لهم هذا الشبيه : إن كنت أنا عيسى – كما قلتم – فأين يهوذا ؟ .. فلم يأبـــهوا لجداله ، وأخذوه وصلبوه [1] .. ومما يؤكد أن المصلوب هو يهوذا أنه لم يَعُدْ موجودا بصورته الأصلية منذ لحظة القبض عليه إلى أن تم صلبه .. وهذا ما أكدته الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى الآن .. وظل النصارى على التوحيد أكثر من مائتين سنة .. ثم آمن أحد ملوك الروم واسمه قسطنطين ، وأدخل الشركيات في دين النصارى ..

يقول ابن عباس : افترق النصارى ثلاث فرق .. فقالت طائفة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء .. وقالت طائفة : كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه .. وقلت طائفة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله إليه .. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. فذلك قول الله تعالى : ((فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ)) [2] ..

وقال تعالى عن رفعه : ((وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ

---

[1] إنجيل برنابا ، ملخصا .
[2] سورة الصف آية ١٤ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾)) [1] ..

لا يزال عيسى عليه السلام حيا .. ويدل على ذلك أحاديث صحيحة كثيرة .. والحديث الجامع لها في مسند الإمام أحمد :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ ، دِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى .. وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ .. وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ .. فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا غَيْرَ الإِسْلاَمِ ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ .. وَتَقَعُ الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الإِبِلُ مَعَ الأُسْدِ جَمِيعًا ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ ، لا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا .. فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ يُتَوَفَّى ، فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ)) ..

(مربوع) : ليس بالطويل وليس بالقصير .. (إلى الحمرة والبياض) : وجهه أبيض فيه احمرار .. (سبط) : شعره ناعم .. (ممصرتين) : عصاتين أو منارتين ، وفي الحديث الآخر ينـــزل عند المنارة البيضاء من مسجد دمشق .. وفي الحديث الصحيح الآخر يحدد لنا رسولنا الكريم مدة مكوثه في الأرض فيقول : (فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ) ..

لابد أن يذوق الإنسان الموت .. عيسى لم يمت وإنما رفع إلى السماء ، لذلك سيذوق الموت في نـــهاية الزمان .

ويخبرنا المولى عز وجل بحوار لم يقع بعد ، هو حواره مع سيدنا عيسى عليه السلام يوم القيامة فيقول : ((وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ

---

[1] سورة النساء .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾)) [1] ..

هذا هو سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام ، آخر الرسل قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

[1] سورة المائدة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

• **نبذة :**

هو النبي الأمي العربي .. من بنى هاشم .. ولد في مكة بعد وفاة أبيه عبد الله بأشهر قليلة .. توفيت أمه : آمنة وهو لا يزال طفلا .. كفله جده : عبد المطلب ثم عمه : أبو طالب .. ورعى الغنم لزمن .. وتزوج من السيدة خديجة بنت خويلد وهو في الخامسة والعشرين من عمره .. دعا الناس إلى الإسلام أي إلى الإيمان بالله الواحد ورسوله .. بدأ دعوته في مكة فاضطهده أهلها ، فهاجر إلى المدينة حيث اجتمع حوله عدد من الأنصار عام ٦٢٢ م فأصبحت هذه السنة بدء التاريخ الهجري .. توفي عليه أفضل الصلاة والسلام بعد أن حج حجة الوداع ..

• **سيرته :**

بِهَذا النبي الكريم ختم الله سبحانه وتعالى سلسلة هداة البشرية من الأنبياء .. ولمعرفة سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالتفصيل يرجع إلى كتاب سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الصادر من جمعية تبليغ الإسلام لفضيلة الشيخ الدكتور / محمد الطيب النجار (رحمه الله) ..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاتمة

● **وبعد .. أيها القارئ الكريم ..**

لعلك لاحظتَ أن جميع الرسل والأنبياء دعوا أقوامهم إلى التوحيد الخالص .. إلى شهادة : لا إله إلا الله .. دعوهم إلى دين الإسلام .. فالإله واحد .. والدين واحد ، هو الإسلام .. يقول جل شأنه : ((إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ)) [١] .. ويقول سبحانه وتعالى : ((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)) [٢] .

فجميع الأنبياء والرسل مسلمون موحدون لله تعالى .. ولعلك أيضا لاحظت أن كل رسول أرسل إلى أمته خاصة ودعاهم إلى التوحيد مع التركيز على إصلاح جانب خاص فى حياتهم .. فمثلا سيدنا لوط عليه السلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن ارتكاب فاحشة اللواط (إتيان الذكران دون النساء) .. وسيدنا شعيب دعا قومه إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن بخس الميزان والمكيال .. وهكذا .. فى حين أن نبى الله ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بُعِثَ للناس أجمعين .. ((وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ)) [٣] .. ورسالته جاءت لتصحيح العقائد السابقة .. ((وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)) [٤] ..

ودعت رسالة الإسلام إلى التوحيد الخالص بالإضافة إلى أنها اشتملت على جميع جوانب الدين والحياة من عبادات ومعاملات وأخلاقيات .. إلخ ، لأنها الرسالة الخاتمة التى وضعت الضوابط لسعادة الفرد والمجتمع والشعوب والدول .. ونحن نشهد أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأن محمدًا رسُول الله .. أَرْسَلَهُ اللهُ للعَالَمِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ ، وأَدَّى الأَمَانَةَ ، ونَصَحَ الأُمَّةَ ، وجَاهَدَ فِي أَمْرِ اللهِ حَتَّى قَبَضَ اللهُ رُوحَهُ حَمِيدًا مَحْمُودًا .. فَجَزَاهُ اللهُ عَنْ صَغِيرِنَا وكَبِيرِنَا خَيْرَ الجَزَاءِ .. وصَلَّى عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلاةِ وأَزْكَاهَا ، وَأَتَمَّ التَّحِيَّةِ وأَنْمَاهَا ..

والحمد لله رب العالمين ..

---

[١] سورة آل عمران آية ١٩ . [٢] سورة آل عمران آية ٨٥ . [٣] سورة الأنبياء آية ١٠٧ . [٤] سورة المائدة آية ٤٨ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وللإستزادة يمكن الرجوع إلى الكتب والمراجع الآتية :

(١) قصص الأنبياء ، للإمام / ابن كثير .

(٢) تفسير القرآن ، للإمام القرطبي .

(٣) تفسير المنار ، للشيخ / محمد رشيد رضا .

(٤) التفسير الوسيط ، الصادر من مجمع البحوث الإسلامية .

(٥) محاسن التأويل ، للقاسمي .

(٦) قصص الأنبياء ، للدكتور / محمد بكر إسماعيل .

(٧) أنبياء الله ، للأستاذ / أحمد بـــهجت .

(٨) قصص الأنبياء ، للدكتور / طارق سويدان .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

بيـــان	صفحة
• سيدنا آدم عليه السلام	١
• سيدنا إدريس عليه السلام	١٠
• سيدنا نوح عليه السلام	١٢
• سيدنا هود عليه السلام	٢١
• سيدنا صالح عليه السلام	٢٨
• سيدنا إبراهيم عليه السلام	٣٢
• سيدنا لوط عليه السلام	٥٢
• سيدنا إسماعيل عليه السلام	٥٦
• سيدنا إسحاق عليه السلام	٦٢
• سيدنا يعقوب عليه السلام	٦٣
• سيدنا يوسف عليه السلام	٦٥
• سيدنا أيوب عليه السلام	٩٢
• سيدنا ذو الكفل عليه السلام	٩٥
• سيدنا يونس عليه السلام	٩٦
• سيدنا شعيب عليه السلام	٩٩
• أنبياء أهل القرية عليهم السلام	١٠٥
• سيدنا موسى عليه السلام	١١٠
• سيدنا هارون عليه السلام	١٦٤
• سيدنا داود عليه السلام	١٦٥

تابع الفهرس

بيـــان	صفحة
• سيدنا سليمان عليه السلام	١٧١
• سيدنا إلياس عليه السلام	١٨٢
• سيدنا اليسع عليه السلام	١٨٤
• سيدنا زكريا عليه السلام	١٨٥
• سيدنا يحيى عليه السلام	١٨٩
• سيدنا عيسى عليه السلام	١٩٣
• سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام	٢٠٤

هذا الكتاب منشور في